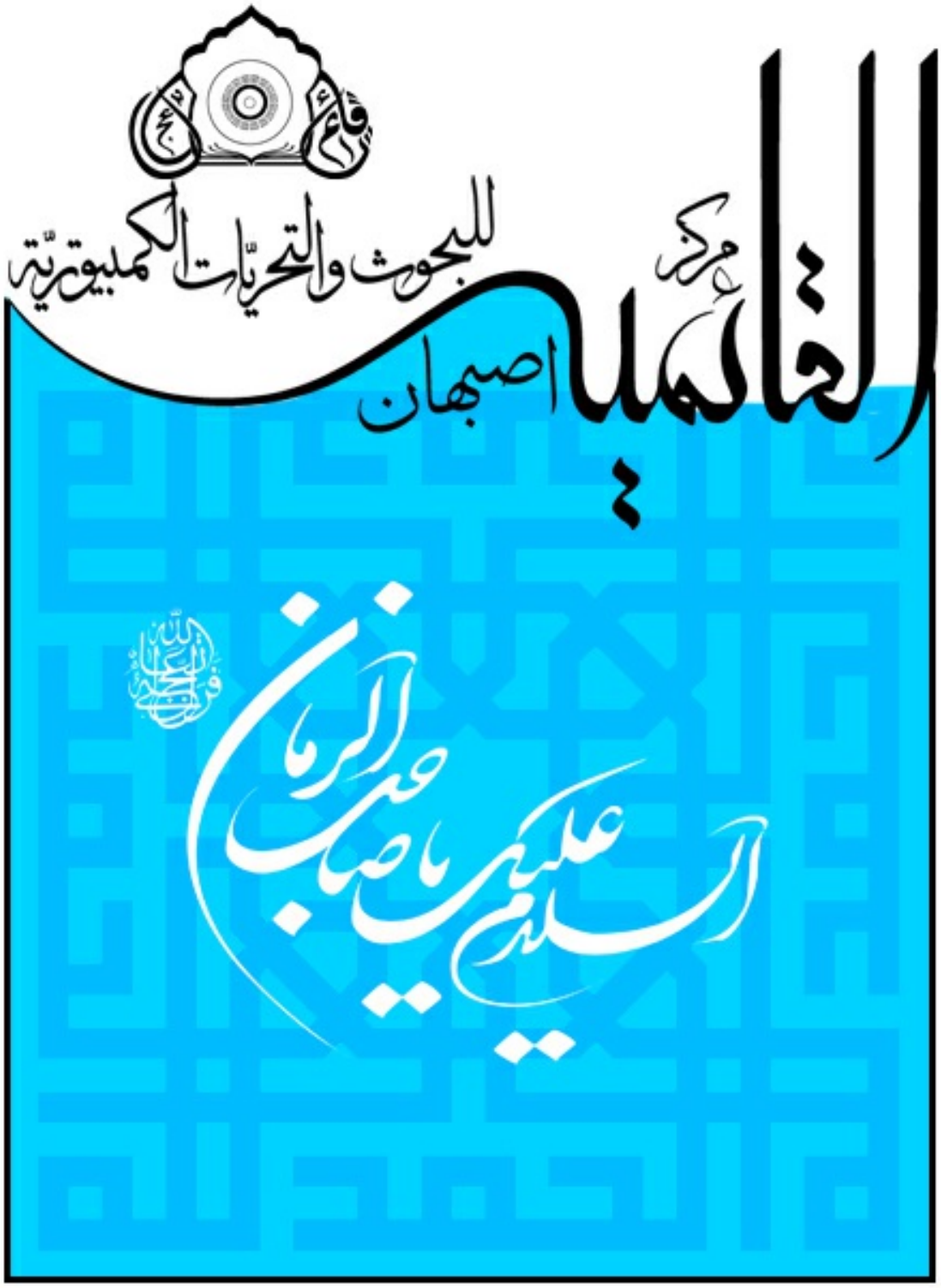

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

٥٠
نساء الطفوف
تأليف: فواطمة الموسى
كفاح الحداد

بسم الله الرحمن الرحیم

نساء الطفوف

كاتب:

محمد على الحلو

نشرت فى الطباعة:

العتبه الحسينيه المقدسه

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
نساء الطفوف ----- ۱۱
اشاره ----- ۱۱
اشاره ----- ۱۱
الاهداء ----- ۱۵
مقدمه اللجنه العلميه ----- ۱۶
المقدمه ----- ۱۸
الفصل الأول: المرأه قبل الطفوف ----- ۲۳
اشاره ----- ۲۳
۱ - المرأه فی العصر الجاهلی ----- ۲۵
۲ - المرأه فی العصر النبوی (العصر الذهبی) ----- ۲۷
۳ - المرأه فی عصر خلافه الشیخین ----- ۳۹
۴ - المرأه فی العصر الأموی ----- ۵۴
الفصل الثانی: نساء الطفوف ----- ۶۸
اشاره ----- ۶۸
لماذا حمل الإمام نساءه وعیاله إلی کربلاء؟ ----- ۷۲
أدوار النساء فی ملحمه الطفوف ----- ۸۰
اشاره ----- ۸۰
۱ - دور نصره الثوره ودعمها بشتی الوسائل ----- ۸۰
ألف - دور حرائر أهل البیت فی نصره الإمام الحسین علیه السلام ونصره ثورته ----- ۸۰
باء - دلهم بنت عمیر ----- ۸۲
جیم - دور طوعه فی نصره مسلم بن عقیل سفیر الإمام الحسین علیه السلام ----- ۸۶
دال - دور ام وهب فی نصره آل البیت علیهم السلام ----- ۸۷
هاء - ام عمرو بن جناده الانصاری ----- ۸۹

واو- دور ماریه بنت منقذ العبدی ---- ۸۹
زاء - دور النساء النادبات علی الإمام علیه السلام فی منع تعیین عمر بن سعد والیاً علی الکوفه ---- ۹۱
حاء - ام سلمه تبکی الإمام علیه السلام ---- ۹۲
طاء - مجالس العزاء ---- ۹۵
۲ - دور المتابعه والحمایه ---- ۹۵
۳ - الدور القیمی ---- ۱۰۲
اشاره ---- ۱۰۲
ألف . الدفاع عن المقدس ---- ۱۰۴
باء . قیم حمایه المرأه ---- ۱۰۹
اشاره ---- ۱۰۹
۱ - منع الإمام الحسین علیه السلام النساء من القتال ---- ۱۱۰
۲ - خاطب الإمام الأعداء بان لا یتعرضوا للنساء فهو الذی یقاتل ---- ۱۱۰
۳ - حفر الخندق حول الخیام ---- ۱۱۱
۴ - منع النساء من الخروج من الخیام حتی استشهاده علیه السلام ---- ۱۱۱
۵ - مراعاه مشاعر النساء ---- ۱۱۲
جیم . ادب التعامل مع المصاب الجلل ---- ۱۱۶
دال . ایثار المصلحه العامه علی المصلحه الخاصه ---- ۱۱۹
اشاره ---- ۱۱۹
۱ . الأم تحث ولدها علی الشهاده لنصره الإمام ---- ۱۲۱
۲ . ام عمرو بن جناده الانصاری ---- ۱۲۱
۳ . دلهم تحث زوجها علی الالتحاق بالحسین علیه السلام ---- ۱۲۱
هاء . القیم الانسانیه والاخلاقیه ---- ۱۲۲
اشاره ---- ۱۲۲
أ- قیمه الوفاء ---- ۱۲۲
ب - قیمه استنکار الظلم ---- ۱۲۳
اشاره ---- ۱۲۳

١ . موقف نساء ربيعه ومضر من عمر ابن سعد فى توليه الإماره ---- ١٢٣
٢ - موقف النوار ---- ١٢٣
٣ - موقف العيوف ---- ١٢٤
۴ - موقف نساء المدينه لما جاء خبر استشهاد الامام عليه السلام ---- ١٢٤
۵- امرأه من بنى بكر بن وائل ---- ١٢۶
۶- موقف أُم عبد الله ابنه الحر... ---- ١٢۶
٧- ما ظهر من مواقف السيده زينب عليها السلام مع ابن زياد ويزيد ---- ١٢٧
٨- موقف امرأه فى قصر يزيد ---- ١٢٧
٩- موقف نساء أُخريات لم يكنّ مواليات ولكن لم يدُرْ فى خلدهن ان يزيد سيقوم بارتكاب هذه الجريمه البشعه كزوجه يزيد ---- ١٢٧
ج - قيمه الصدق ---- ١٢٨
د - قيمه حفظ العز ---- ١٢٨
ه - قيم العطاء ---- ١٢٨
و - قيمه الإيثار والتضحيه ---- ١٢٩
ز - قيمه الصبر ---- ١٣٠
واو . قيم تكامل الشخصيه ---- ١٣١
اشاره ---- ١٣١
أ - التكيف الذكى ---- ١٣١
ب - التصميم والإراده ---- ١٣٢
ج - الأمل بالمستقبل ---- ١٣٣
د - الثقه بالنفس ---- ١٣٣
ه - الجرأه الشخصيه ---- ١٣٣
۴ - الدور الإعلامى ---- ١٣۴
اشاره ---- ١٣۴
المرحله الأولى ---- ١٣۶
اشاره ---- ١٣۶
ألف - مجىء النساء إلى أرض المعركه بعد الاستشهاد ---- ١٣۶

باء - عند باب الكوفه ---- ۱۳۹
جیم - فی مجلس ابن زیاد ---- ۱۴۷
المرحله الثانیه من الدور الإعلامی ---- ۱۵۱
اشاره ---- ۱۵۱
محطات من خطاب السیده زینب علیها السلام فی قصر یزید ---- ۱۵۵
المرحله الثالثه من الدور الإعلامی ---- ۱۵۹
اشاره ---- ۱۵۹
ألف - القسم الأول ---- ۱۵۹
باء - القسم الثانی ---- ۱۶۲
الدور الإعلامی فی المیزان ---- ۱۶۷
۵ - روایه المقتل الحسینی ---- ۱۷۴
۶ - اعلان الحزن العام (الحداد الرسمی) ---- ۱۷۶
اشاره ---- ۱۷۶
السبی.. المأساه الکبری ---- ۱۷۸
الفصل الثالث: نساء الطفوف فی دائره الضوء ---- ۱۹۲
اشاره ---- ۱۹۲
الموازنه بین أدوار الجنسین ---- ۱۹۴
اشاره ---- ۱۹۴
العنف السیاسی ضد نساء الطفوف ---- ۱۹۶
التعامل مع الضغوط ---- ۱۹۸
غیاب الشکوی ---- ۲۰۰
المهارات الحیاتیه ---- ۲۰۱
اشاره ---- ۲۰۱
۱ - مهارات الحوار ---- ۲۰۱
۲ - مهاره التعاون والمشارکه ---- ۲۰۲
۳ - مهاره الاتصال الشفوی والتواصل اللفظی ---- ۲۰۲

۴ - مهاره التعاطف ---- ۲۰۲
۵ - مهاره الاقناع عبر تقديم الدليل والبرهان ---- ۲۰۲
۶ - مهاره اتخاذ القرار وحل المشكلات ---- ۲۰۳
۷ - مهارات إداره المشاعر ---- ۲۰۳
الضبط العاطفی ---- ۲۰۳
الاستقلاليه ---- ۲۰۷
نساء الطفوف.. صلاح وإصلاح ---- ۲۰۹
اشاره ---- ۲۰۹
الإمام الحسين رائد الإصلاح ---- ۲۱۲
غياب أم حضور؟ ---- ۲۱۴
دور المرأه فی صناعه التاريخ ---- ۲۱۴
نساء بين النهضتين ---- ۲۲۰
ما بين نساء الانتظار ونساء الطفوف ---- ۲۲۰
نساء الطفوف.. القدوه الخالده ---- ۲۲۹
السيده زينب عليها السلام .. المثل الأعلى للمرأه المسلمه ---- ۲۲۹
نساء الطفوف ... القدوه الحسنه ---- ۲۳۱
الشهيده بنت الهدى ..نموذج معاصر ---- ۲۳۴
كيف تبقى صورهم فی الذاكره؟ ---- ۲۳۶
الفصل الرابع: سيده الطف الأولى ---- ۲۴۰
اشاره ---- ۲۴۰
السيده زينب بنت على بن أبی طالب عليهم السلام ---- ۲۴۲
اشاره ---- ۲۴۲
مناقبها الفاضله ---- ۲۴۳
زواجها المبارک ---- ۲۴۴
زينب... المرأه الصابره ---- ۲۴۵
تأملات فی خطاب السيده زينب (عليها السلام) فی مجلس ابن زياد ---- ۲۵۷

اشاره ----- ۲۵۷
۱ - الشجب والتأنیب والتقریع ----- ۲۵۸
۲ - عاقبه الخذلان ----- ۲۵۹
۳ - التعمیم فی الخطاب ----- ۲۶۰
۴ - الإمهال فی العذاب ----- ۲۶۴
۵ – الإحباط ----- ۲۶۷
۶ - علاقه الکوارث الکونیه بسیّئات الناس ----- ۲۶۹
اشاره ----- ۲۶۹
الکوارث الکونیه عند مصرع الحسین علیه السلام ----- ۲۷۰
الکوارث الکونیه وعلاقتها بسیئات الناس فی القرآن ----- ۲۷۱
النعمه وعلاقتها بالتقوی ----- ۲۷۳
العلاقه بین العمل والجزاء ----- ۲۷۴
۷ - ما یقدمه الإنسان بین یدیه إلی الله ----- ۲۷۵
المصادر ----- ۲۸۰
المحتویات ----- ۲۸۲
تعریف مرکز ----- ۲۹۷

نساء الطفوف

اشاره

رقم الإيداع فی دار الكتب والوثائق وزاره الثقافه العراقيه

لسنه ۲۰۱۰؛ ۱۶۶۵

الحداد، كفاح، ۱۹۵۹ - م.

نساء الطفوف / لكفاح الحداد[تدقيق ....، تقديم محمد على الحلو]. - كربلاء: العتبه الحسينيه المقدسه، قسم الشؤون الفكريه والثقافيه ۱۴۳۲ق. = ۲۰۱۱م.

ص ۲۷۱. - (قسم الشؤون الفكريه والثقافيه؛ ۵۰)

المصادر: ص ۲۶۳ - ۲۶۴؛ وكذلك فی الحاشيه.

۱ . الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، ۴ - ۶۱ ق. أصحاب - النساء. ۲ . واقعه كربلاء، ۶۱ ق. والنساء المسلمات. ۳ . النساء فی الإسلام. ۴ . النساء والمهدويه - الانتظار. ۵ . عاشوراء — فلسلفه — روابط — النساء. ۶ . زينب بنت على بن أبی طالب (س)، ۶ - ۶۲ق. ۷ . الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، ۴ — ۶۱ ق. — النساء — دراسه وتعريف . ألف. الحلو، محمد على، ۱۹۵۷ - م.، مقدم ب. .... ج. العنوان.

۴ ح ۵ ن / ۷۵۰۹ / ۴۱ BP

تمت الفهرسه قبل النشر فی مكتبه العتبه الحسينيه المقدسه

ص: ۱

اشاره

نساء الطفوف

للباحثه الاجتماعيه

كفاح الحداد

إصدار

قسم الشؤون الفكريه والثقافيه

فى العتبه الحسينيه المقدسه

وحده الدراسات التخصيصه فى الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

حقوق النشر محفوظه

للعتبه الحسينيه المقدسه

الطبعه الأولى

۱۴۳۲ه ۲۰۱۱م

العراق: كربلاء المقدسه - العتبه الحسينيه المقدسه

قسم الشؤون الفكريه والثقافيه - هاتف: ۳۲۶۴۹۹

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

الاهداء

إلی المولوده فی معقل العصمه والتقی ومهبط الوحی والهدی إلی

المرأه الصالحه

والمجاهده الناصحه

والحره الأبیه

واللبوه الطالبیه

والمعجزه المحمدیه

والذخیره الحیدریه

والودیعه الفاطمیه

إلی سیدتی ومولاتی زینب بنت أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیهم السلام

اقدم هذه الوریقات

کفاح الحداد

مقدمه اللجنه العلميه

لم تكن عاشوراء حكايه عابره يستمتع بها قراءها، ولا هى بالحادثه الغابره يستذكرها قصاصها، ولا هى واقعه تقادم عليها الزمان فيرتجعها ذكرى من ذكريات الزمن المهدور... بل غدت عاشوراء أنشوده الأجيال على مر العصور، وباتت واقعتها صانعه الأبطال تستنزل الذكريات مصاغه بصورها الملائكيه يوم كانت الأنوثه فى ربواتها تستصرخ الشهامه فتحيلها ثوره متلبسه بلبوس الشخوص، ومختاله بعنفوان التحدى وإعجاز الغيب يدفعها صانعةً لملاحم الذكريات... هذه هى عاشوراء تترجل الخطى فى مواقف يستجمعها الكتاب فى باقةٍ عطرةٍ من الأسماء: زينب بنت على، فاطمه، سكينه، أم كلثوم، الرباب ومن خلف هذا الجمع الهاشمى تستدرج الكاتبه كواكب التضحيه، دلهم بنت عمرو، طوعه، ماريه بنت منقذ، النوار إلى غيرها من أريج باقه الفداء التى غدت تسطع فى أفق الخلود.

ان الكتابه عن عاشوراء مسأله فذه تحتاجُ معها إلى سبر أغوار تاريخيهٍ وأخلاقيه واجتماعيه خصوصاً إذا كانت الكتابه فيها عن أشخاص ملكت نفوسهم طاعةً إلهيه تتمثل فى طاعه الإمام وليبلغوا عنفوان التضحيه والفداء بما قدموه وما سجلوه من مواقف ومثل عليا يعجز عندها الوصف، ويخشعُ دونها الطرف، ولا يبقى للمدح فى شموخها وكبريائها الا الانزواء فى خضم هذا الموج الهادر من الولاء والفداء.

لقـد جـالت أقلامـ الباحثين وحاولت همم المؤلفين أن يقفوا على أعتاب الملحمه العاشورائيه فلم يجـدوا إلا البقاء خارج الحقيقه لأن عاشوراء سرٌ مكنون لا يناله إلا أصحابها.

لقـد حرصت الباحثه أن تقـدمَ الطفوفَ بنسائه لنقرأهُ على مُكثٍ، ونسـتذوقه على حقيقته المنزّله من فصول المعجزات، ولم يدّخر البحث جهدا فى تقديم هذه النماذج التى اختلطت بدمائها مواقفها، وتجذرت من قيمها أفكارها، واستحالت تتلظى فى وهاد عالم يرفضُ قيم التفـانى، ويسترخصُ مبـادئ الولاـء ويعـجُ بأفكـارٍ خـاويه خاليه من المكرمات.. والبحث فى هـذا قـدّم نموذج المعرفه بوحده واحده لكنها بتجليات عده تسترخص معها التضحيات وتستجلب نساء الطفوف فى تألقِ الإبداع، وعنفوان العطاء الهاشمى، والألق الملكوتى الغابر فى غمرات الدهور...

عن اللجنه العلميه السيد محمدعلى الحلو

١٠ شعبان ١۴٣١ه - النجف الأشرف

المقدمه

فی تاریخ الاسلام الممتد وعلی مدی قرون عدیده نجد ان صوره المرأه تسطع فیه إلی جانب صوره الرجل حتی فی اشد المراحل حراجه وخطوره وصعوبه، فهو لم یک تاریخا ذکوریا محضاً کما لم یک تاریخا انثویا محضا بل هو تاریخ الانسانیه المشترکه بصورتها الآدمیه لکلا الجنسین. فمنذ ظهوره رفض صنادید قریش ورجالاتهم الإیمان بالدعوه المحمدیه علواً واستکباراً فکانت السیده خدیجه هی المسلمه الأولی والمؤمنه الأولی التی أحنت برسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وقدمت الدعم المادی للرساله الجدیده.. وعاشت معه أیاماً صعبه تحملت فیها ما جری علی المسلمین من تعذیب واضطهاد علی ید المشرکین. وذاقت ألم الجوع والحرمان (وهی الثریه الغنیه) فی شعب ابی طالب حتی قضت نحبها فی عام سماه الرسول صلی الله علیه وآله وسلم بعام الحزن.. وکان یذکرها کثیرا ویعرّف بمکانتها فی نفسه. فقد قال صلی الله علیه وآله وسلم عنها فی رده علی زوجته عائشه التی انکرت علیه هذا الذکر الکثیر للسیده خدیجه سلام الله علیها بالقول: وهل کانت إلا عجوزاً ابدلک الله خیراً منها فقال صلی الله علیه وآله وسلم:

«لا والله ما ابدلنی الله خیراً منها آمنت بی إذ کفر الناس وصدقتنی إذ کذّبنی الناس وواستنی فی مالها إذ حرمنی الناس ورزقنی الله منها أولاداً إذ حرمنی أولاد النساء»(۱).

۱- الصقلانی، الاصابه فی تمییز الصحابه.

وقـد كانت المرأه حاضـره مع الرجل فى تدعيم الدوله الاسـلاميه الفتيه من خلال البيعه والهجره والمشاركه فى الحروب والاقبال على التعلم الى غير ذلـك. ثم اسـتمرت الـدعوه الإلـهيه لتمر على منعطـف صـعب وشديـد الخطوره فكـانت صوره الزهراء عليها السـلام وهى تطوف على بيوت المسـلمين تـذكّرهم بعهدهم للرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم وما جرى فى حجه الوداع وكان علياً عليه السـلام معها يقود بغلتها ويشـد ازرها. وما وهنت عليها السـلام فى دفاعها عن حقها وعن تبيين المسار المنحرف الـذى دخلت فيه الامّه حتى آخر لحظات حياتها.. ثم كان رحيلها وتغييب قبرها ليكون وثيقه احتجاج خالده على مدى الزمان!..

ثم كان المنعطف الفيصل حينما خرج الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء مع نساءه وعياله فكانت ملحمه الطف العظيمه «يوم شبهه البعض بيوم القيامه»(۱) لما كان فيه من مصائب وكروب يشيب لها الولدان شيباً. وكانت القضيه التى قادها الإمام الحسين عليه السـلام والتى تمثلت فى طلب الإصـلاح لهذه الأمه العظيمه بكل امتدادتها.. والتى تجسدت بشكل ملحمه عظيمه لا مثيل لها قبل وبعـد الثوره ..كانت هـذه الثوره قد أظهرت الادوار العظيمه لنساء الطفوف فى الواقعه وبعدها وعلى رأس هؤلاء اخت الإمام الحسين عليه السـلام السيده زينب بنت على بن أبى طالب عليه السلام والتى كانت لها الأدوار الرياديه فى قياده القضيه الحسينيه وفى نشر أفكارها بعد استشهاد الإمام وصحبه الكرام.

فى كربلاء نقف وباجلال على تضحيه الرجل والمرأه على حد سواء، فكربلاء صوره لتجلى إخلاص المرأه والرجل، وتنافس المرأه مع الرجل الى نصره الدين والى حمايه مقدساته ولكن كل بطريقته التى تتناسب مع خلقته وعظمته ومع خط السير الربانى.

۱- محمد جواد مغنيه فى كتابه الحسين وبطله كربلاء.

لقد كانت كربلاء صوره رجوليه عليا فى التضحيه والشهاده والفداء وصوره نسائيه عليا فى الصبر والصمود وفى حمل هموم الرساله والدفاع عنها وعن كل المقدسات التى جاهد من أجل صيانه قيمها الساميه الابطال من الرجال والنساء مع الحفاظ على كل القيم التى آمن بها الرجل والمرأه على حد سواء.

وبعباره أخرى فاننا نجد فى هذه الواقعه سمواً إنسانياً رفيعاً عالياً فالإنسان الخليفه هو الحاضر الذى رسم ايدولوجيه المعركه وعرّف باهدافها وقيمها.. ومع ارتقاء هويه الإنسان - الإنسانيه بشقيها الذكر والانثى-. تبدو الواقعه وكأنها تجسيد لقيم الإنسان بعيداً عن التقوقع فى دائره الخصوصيه الجنسيه المحدوده.

وإذ يرى الكثير من المفكرين الإسلاميين والباحثين بانه لولا وجود النساء فى هذه المعركه لما رسخت القضيه العاشورائيه فى الوجدان الشعبى وهذا لا يعد تغيباً لدور المعصوم عليه السلام فى هذا الشأن وغيره .

ولما عرفنا أصلاً أسباب الثوره وأهدافها وشخوصها فقد ضاعت الكثير من الوقائع المهمه فى التاريخ ولسبب بسيط هو انها لم تجد الألسنه التى تعبر عنها (والوكالات الخبريه أو الفضائيات) التى تبثها إلى الرأى العام لتعرفه بها وهذا عكس ما حصل مع ملحمه كربلاء حيث حملت النساء فيها رساله الإعلام بنبل وآباء وبوضوح بعيداً عن التشويه والتزييف وطمس الحقائق.

والحق ان دور المرأه فى الثوره الحسينيه كان دوراً واسعاً متعدد الوجوه متعدد العطاءات كما انه كان دوراً ثقيلاً فى زمن عسير وفى منعطف وعر من التحديات والمصاعب التى عاشها أهل البيت عليهم السلام بل وعاشتها رساله الإسلام كلها.. ولكن هذا الدور العظيم الذى جعله البعض عدلاً لدور الشهاده(١) لم يلاقِ من التعريف

١- يراجع كتاب الخطاب الحسينى للشيخ محمد مهدى الاصفى.

والنشر بشكل يتلائم مع عظمه شخوصه وأحداثه فما أكثر الكتب التى تناولت الحديث عن أسباب الثوره وأهدافها وشخوصها - وهو أمر مهم ومطلوب - لكن بين هذا الكم الكبير من الأوراق المنشوره.. كم نجد تعريفاً لهذا - العدل - وكم نجد توضيحاً لدور النساء فى المعركه وبعدها؟.. ربما لا نجد إلا همساً!! .. ولهذا أرى - ويرى غيرى أيضاً - ان دور المرأه فى النهضه الحسينيه قد تعرض للاجحاف والظلم والتهميش وسوء الفهم حتى من قبل انصار الثوره وحمله المنبر الحسينى .. فلقد رسمنا لهن صورا مسوّره بسور العجز والذل والانكسار المحبط وحصرناهن فى دائره الرثاء والأسى والحزن ونسينا ان هؤلاء [وعلى رأسهن السيده زينب عليها السلام] كن قمماً فى الصلابه وقوه الإراده والثقه بالنفس إلى غير ذلك من الصفات المهمه.. وما اكثر الباكين والنادبين الذين يبكون هؤلاء النساء وعلى ما جرى لهن من مصائب جمه لكنهم يقتلون هؤلاء النساء فى اليوم والليله مئات المرات من خلال أميه نساءهم وهيمنه الجهل والتخلف على أوضاعهن وحبسهن فى سرادق الوهم والتخلف.. وساهمت النساء فى قتل سبايا الطفوف من خلال افراغهن من كل محتوى فكرى وحضارى وحصر وجودهن فى بكاء انفعالى جامد غير قادر على هز الشخصيه الراكده لتخرج رطباً جنياً.

من ذلك كله نرى أنفسنا بحاجه إلى الارتباط بهؤلاء النساء العظيمات وبمواقفهن وأدوارهن وذلك لكى:

١ - نفهم أنفسنا ونفهم هويتنا الإنسانيه والرساليه.

٢ - نفهم أدوارنا ومسؤولياتنا وما هو المطلوب منا.

٣ - نفهم دورنا المطلوب فى نصره الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف والتمهيد لظهوره وهو الذى سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

٤ - ولكى نستقرئ منظومه القيم التى عندنا ونرى إلى أى مدى هى متوافقه مع قيم نساء الطفوف.

ومن هنا جاءت فكره كتابه هذه الوريقات المحدوده التى هى:

هى تذكره بهؤلاء النساء العظيمات فى التاريخ.

وهى دعوه للتأسى بهن والاقتداء بمنهجهن.

ولا ادعى القدره على عرض المطلوب فما تفلح قطره من بحر المعرفه فى التعريف بالبحر كله لكنها بدايه متواضعه ولعلها تكون سبباً للمزيد من البحوث.

وأود ان أشير الى ان جلّ الحديث فى هذا الكتاب سيكون عن نساء أهل البيت عليهم السلام، وخاصه عن السيده زينب عليها السلام، باعتبارها سيده الطف الأولى آملين ان نوفق فى التاسيس لبرنامج اعاده قراءه التاريخ برؤى معاصره.

((وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)).

كفاح الحداد

الفصل الأول: المرأه قبل الطفوف

اشاره

ويمكن تقسيم هذه المرحله الى ۴ مراحل وهى:

١- المرأه فى العصر الجاهلى.

٢- المرأه فى العصر الذهبى (العصر النبوى).

٣- المرأه فى عصر خلافه الشيخين

۴- المرأه فى العصر الأموى.

١ – المرأه فى العصر الجاهلى

عُرف المجتمع الجاهلى بظلمه للانسان بصورتيه الذكر والانثى .. فقد عاش الرجل فيه مراره الرق وامتهان الكرامه وتغييب الحقوق الانسانيه وكان حال المرأه اشد ايلاما واعظم جرحاً.. فقد كانت مظالم النساء فى العصر الجاهلى كثيره تبدأ بالوأد ولا تنتهى عند العضل والظهار. وكانت تحرم من ارثها ولكنها فى نفس الوقت تصبح سلعه ومتاعا يورث كما يورث أى متاع! وللوارث الحق فى البيع والتزويج والحبس حتى الموت أيا كانت!. ولم تكن تملك حق اختيار الزوج أو حق التصرف فى أموالها، وكانت تعانى من الوأد الذى كان موجوداً عند قبيله واحده ثم اصبح عاده وعرفاً عند باقى القبائل!. والمؤوده المقتوله هى (الجاريه تدفن حيه سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤدها

أی یثقلها حتی تموت) وکان الوأد أحیاناً بسبب الفقر وغالباً ما یعود السبب إلی حمیه الجاهلیه حیث کانت القبائل العربیه یغیر بعضها علی بعض ولکی لا تصبح البنات اسارى عند الاعداء عُمد إلی قتلهن وهن صغار، وکان الوأد یتم بعده طرق منها ان المرأه فی الجاهلیه کانت إذا حملت حفرت حفره وتمخضت علی رأسها فان ولدت جاریه رمت بها فی الحفره وردت التراب علیها وان ولدت غلاماً حبسته ومنه قول الراجز:

سمیتها إذ ولدت تموت

والقبر صهر ضامن زمیت

فعد القبر صهر ضامن زمیت (أی وقور).

وفی تفسیر القرطبی والطبری عن قتاده قال: کانت الجاهلیه یقتل أحدهم ابنته ویغدو کلبه فعاتبهم الله علی ذلک وتوعدهم بقوله:(۱)

((وَإِذَا الْمَوْؤُودَهُ سُئِلَتْ (۸) بِأَیِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ)).(۲)

ولهذا کان أحدهم یغتم إذا ولدت له بنتاً، وإلی هذا یشیر القرآن الکریم:

((وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَی ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ کَظِیمٌ (۵۸) یَتَوَارَی مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَیُمْسِکُهُ عَلَی هُونٍ أَمْ یَدُسُّهُ فِی التُّرَابِ أَلَا سَاء مَا یَحْکُمُونَ)).(۳)

(فالإنسان الجاهلی کان یئد ابنته التی من صلبه ویتبنی ابن الفجور ویلحقه به!) وکان القوی یأکل الضعیف ویحّرم الرجال اطعمه علی النساء لکنها حلال علیهم، وکان القوم یتکسبون بفروج الاماء والجواری حتی شاعت ظاهره الرایات المنصوبه فی الأسواق وعلی الأبواب لدعوه الناس إلی الفجور والبغاء.(۴)

۱- السید مرتضی العسکری، القرآن الکریم وروایات المدرستین، ص ۴۵.

۲- سوره التکویر، الآیه ۸-۹.

۳- سوره النحل، الآیه ۵۸ - ۵۹.

۴- السید مرتضی العسکری، القرآن الکریم وروایات المدرستین، ص ۴۵.

ولم تحصل المرأه على ما يعينها على بناء شخصيتها وذاتها من العلم والمعرفه أو العمل النظيف إلى غير ذلك، وإلى وضع المرأه فى العصر الجاهلى يشير العلامه الطباطبائى رحمه الله فى تفسير الميزان إلى أحوال المرأه قبل الإسلام من خلال عده امور منها:

۱ . انهم كانوا يرونها إنساناً ضعيف الإنسانيه منحطاً لا يؤمن شره وفساده لو اطلق من قيد التبعيه واكتسب الحريه فى حياته.

۲ . انهم كانوا يرون فى وزنها الاجتماعى انها خارجه من هيكل المجتمع المركب غير داخله فيه وانما هى من شرائطه التى لا غنى عنها كالمسكن لا غنى عن الالتجاء إليه.

۳ . انهم كانوا يرون حرمانها من عامه الحقوق التى امكن انتفاعها منها الا بمقدار يرجع انتفاعها إلى انتفاع الرجال القيمين بأمرها.

۴ . ان أساس معاملتهم معها فيما عاملوا هو غلبه القوى على الضعيف وبعباره أخرى قريحه الاستخدام.

۲ – المرأه فى العصر النبوى (العصر الذهبى)

وهو عصر الإسلام ويبتدء من ظهوره فى مكه حتى وفاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عام ۱۱ه فى المدينه. وإنما سُمى بالعصر الذهبى لأنه العصر الوحيد الذى طبق فيه الإسلام وبالتالى فهو العصر الوحيد الذى حصلت فيه المرأه على حقوقها السياسيه والثقافيه والاجتماعيه كما كان للمراه دور واضح فى الحياه العامه وفى تغيير الكثير من العادات والقيم التى كانت سائده آنذاك. ويمكن القول ان المرأه فى هذا العصر بدأت تعرف ذاتها ونفسها وتسعى لبناء شخصيتها وفق آيات القرآن الكريم وبدأت تتسابق مع الرجل لتحصيل سعاده آخرويه مطلوبه.

وباجمال عام يمكن ان نتناول ما أحدثه الاسلام من تغيير فى وضع المرأه الذاتى والعام من خلال عده أمور منها:

انه اعاد إليها اعتبارها الإنسانى الـذى افتقـدته على مر التاريخ فمن ناحيه اعتبرها الاسـلام صـنو الرجل فى الخلق ولا تمايز بينهما فى أصل الخلقه والتكوين، قال تعالى:

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَهٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا)).(۱)

فالإنسان واحد وله صورتان صوره المرأه والرجل ولا فضل لاحدهما على الآخر إلا بالتقوى قال تعالى:

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)).(۲)

وهاجم الإسلام بشده عادات الجاهليه التى تؤذى المرأه فهاجم الوأد هجوماً شرساً. قال تعالى:

((وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ)).(۳)

واعلن احتجاجه على قتل الأولاد بسبب الفقر فالله هو الرزاق الكريم. قال تعالى:

((وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَهَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءًا كَبِيرًا)).(۴)

۱- سوره النساء، الآيه ۱.

۲- سوره الحجرات، الآيه ۱۳.

۳- سوره التكوير، الآيه ۱۱.

۴- سوره الاسراء، الآيه ۳۱.

بل ان القرآن الكريم هاجم وبشده الكراهه التى يظهرها الآباء عند ولاده البنت، قال تعالى:

((وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (۵۸) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِى التُّرَابِ أَلَا سَاء مَا يَحْكُمُونَ)).(۱)

وحرم القرآن التعامل مع المرأه على انها متاع يورث كما تورث الامتعه والمواشى حيث كان الوارث يتحكم فيها كيفما يشاء فله الحق فى ان يعضلها من الزواج أو يزوجها من يشاء أو يبتز مالها قال تعالى:

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ)).(۲)

واعطاها الحق الكامل فى الاحتفاظ بمالها وثروتها قال تعالى:

((لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ)).(۳)

و منحها من الحقوق ما للرجل قال تعالى:

((وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)).(۴)

ولأنه اعتبرها إنساناً كاملاً ـ كالرجل فهى إذاً كائن مكلف وعليها ان تؤدى ما عليها من الطاعات والعبادات ولها من الثواب ماله وعليها من العقاب ماعليه كما انه سبحانه وتعالى بيّن مقاييس التفاضل بين الرجال والنساء سواء بين الجنس الواحد أو

۱- سوره النحل، الآيه ۵۹.

۲- سوره النساء، الآيه ۱۹.

۳- سوره النساء، الآيه ۳۲.

۴- سوره البقره، الآيه ۲۲۸.

بین الجنسین وهی مقاییس اکتسابیه لا تقوم علی الجنس أو الخلق أو الصوره أو النسب الی غیر ذلک من الاعتبارات الدنیویه بل تقوم علی اساس الإیمان والعمل الصالح والتقوی قال تعالی:

((إِنَّ أَکْرَمَکُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاکُمْ)).(۱)

وقال أیضاً:

((مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَکَرٍ أَوْ أُنثَی وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْیِیَنَّهُ حَیَاهً طَیِّبَهً وَلَنَجْزِیَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا کَانُواْ یَعْمَلُونَ)).(۲)

ومدح القرآن الرجال والنساء لا للذکوره أو الانوثه بل لمؤهلاتهم التکامليه ولایمانهم.

قال تعالی:

((إِنَّ الْمُسْلِمِینَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِینَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِینَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِینَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِینَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِینَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِینَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِینَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِینَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاکِرِینَ اللَّهَ کَثِیرًا وَالذَّاکِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَهً وَأَجْرًا عَظِیمًا)).(۳)

وهاجم القرآن من یتعرض للمؤمنین والمؤمنات بالاذی علی حد سواء قال تعالی:

۱- سوره الحجرات، الآیه ۱۳.

۲- سوره النحل، الآیه ۹۷.

۳- سوره الاحزا ب، الآیه ۳۵.

((وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا)).(۱)

وكشف لهم عن صوره الآخره وعرفهم بالنور الذى سيميزهم عن غيرهم، قال تعالى:

((يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)).(۲)

وجعل موازين الفلاح قائمه على الصلاه والزكاه والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ورسم ابعاد العلاقه بين الرجل والمرأه بانها علاقه ولاء من اجل خدمه دين الله، قال تعالى:

((وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ)).(۳)

وجعل الخبيه فى عكس ذلك تماماً خيبه واضحه لكلا الجنسين، قال تعالى:

((الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)).(۴)

وقال أيضاً:

((وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا)).(۵)

۱- سوره الاحزاب، الآيه ۵۸.

۲- سوره الحديد، الآيه ۱۲.

۳- سوره التوبه ، الآيه ۷۱.

۴- سوره التوبه، الآيه ۶۷.

۵- سوره التوبه، الآيه ۶۸.

وقال أيضاً:

((يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ)).(۱)

والقى بمسؤوليه اعاله المرأه وتأمين نفقاتها على الرجال وخفف عليها فى عبادتها فهى لا تقضى صلاتها ولكن تقضى صومها، بل انه تعهد لها بالحمايه والرحمه كما جاء فى الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام:

«ان الله تبارك وتعالى على الاناث أرأف منه على الذكور».(۲)

وضربها الله مثلاً للرجال والنساء على حد سواء قال تعالى:

((وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى الْجَنَّهِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (۱۱) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ)).(۳)

((ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ)).(۴)

وكرّم الإسلام الأم وجعل الجنه تحت أقدامها وامر ببرها والاحسان إليها. فقد جاء فى الحديث الشريف:

«الجنه تحت أقدام الأمهات».

وقال تعالى:

۱- سوره الحديد، الآيه ۱۳.

۲- الكلينى، الكافى، ح ۶، ص ۶.

۳- سوره التحريم، الآيه ۱۱-۱۲.

۴- سوره التحريم، الآيه ۱۰

((وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ)).(۱)

ومن محصله ذلك كله كانت (النساء شقائق الرجال) كما عبر الحديث الشريف فبدأت المرأه المسلمه تشعر ان لها كياناً مستقلاً وان عليها واجبات ولديها حقوق وانها تتنافس مع الرجل من أجل الوصول إلى رضا الخالق وتحصيل النعيم الاخروى.

((إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (۲۲) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (۲۳) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (۲۴) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (۲۵) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)).(۲)

وبهذا بدأنا نلمس حضوراً جديداً للمرأهلم يكن سابقاً فقد شاركت فى البيعه (آيه ۱۳، سوره الممتحنه)، وشاركت فى الهجره (الآيه ۱۰، سوره الممتحنه)، وكانت حاضره فى الحروب والغزوات فهذه اميمه بنت القيس بن ابى الصلت الغفارى تعالج مرضى وجرحى المسلمين وتلك نسيبه المازنيه تقاتل فى المعركه دفاعاً عن رسالتها ودينها وتحامى عن رسول الله يوم أحد وكانت تقى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى اصابتها جراحات كثيره.. يقول الواقدى فى المغازى:

وكن جئن (بعد معركه أحد) أربع عشره امرأه منهن فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحملن الطعام والشراب على ظهورهن ويسقين الجرحى ويداوينهم.

كما ظهر خطاب جديد للمرأه فبدأت مطالبات وتصريحات واخذت النساء المسلمات يطرحن افكارهن وما يجول فى خاطرهن على القياده العليا المتمثله بالرسول

۱- سوره لقمان الايه ۱۴.

۲- سوره المطففين، الآيات ۲۲ - ۲۶.

صلی الله علیه وآله وسلم دونما ادنی حرج واصبحت المرأه تطالب بحقوق وامتیازات أکثر ومن هذه الصور مطالبه اسماء بنت یزید الانصاریه، فقد جاء فی المأثور انها اتت الرسول صلی الله علیه وآله وسلم وهو بین اصحابه صلی الله علیه وآله وسلم، فقالت له: بأبی أنت وأمی انی وافده النساء إلیک، واعلم نفسی لک الفداء انه ما من امرأه کائنه فی شرق ولا غرب سمعت بمخرجی هذا إلا وهی علی مثل رأیی، ان الله بعثک بالحق إلی الرجال والنساء فآمنا بک وبالهک الذی ارسلک، وإنّا - معشر النساء - محصورات مقسورات، قواعد بیوتکم ومقضی شهواتکم وحاملات أولادکم وانکم - معشر الرجال - فُضلتم علینا بالجمعه والجماعات وعیاده المرضی وشهود الجنائز والحج بعد الحج وأفضل من ذلک الجهاد فی سبیل الله. وان الرجل منکم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مرابطاً حفظنا لکم أموالکم وغزلنا لکم اثوابکم وربینا لکم أولادکم فما نشارککم فی الأجر یا رسول الله؟

التفت النبی صلی الله علیه وآله وسلم إلی أصحابه وقال: هل سمعتم مقاله امرأه قط احسن من مساءلتها فی أمر دینها من هذه؟(۱) فاجابه الصحابه: یا رسول الله ما ظننا ان امرأه تهتدی إلی مثل هذا.

ومطالبه أم سلمه اذ تسأل رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: یا رسول الله لا اسمع الله ذکر النساء فی الهجره بشیء فنزلت الآیه:

((فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّی لاَ أُضِیعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنکُم مِّن ذَکَرٍ أَوْ أُنثَی بَعْضُکُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِینَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِیَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِی سَبِیلِی وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُکَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَیِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ

۱- الطباطبائی، تفسیر المیزان، ج ۲، ص ۳۵۰.

تَجْرِی مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ)).(۱)

وهذه الآیات نزلت فی رکب الفواطم (فاطمه بنت اسد، وفاطمه بنت محمد صلی الله علیه وآله وسلم، وفاطمه بنت الزبیر) اللائی هاجرن مع علی بن أبی طالب بعد الرسول صلی الله علیه وآله وسلم، ولحقت بهم فی ضجنان أم ایمن ونفر من ضعفاء المؤمنین فساروا وهم یذکرون الله فی جمیع أحوالهم حتی لحقوا بالنبی صلی الله علیه وآله وسلم.(۲)

یروی البخاری ومسلم عن أبی سعید الخدری قال: «جاءت امرأه إلی رسول الله صلی الله علیه وسلم فقالت: یا رسول الله! ذهب الرجال بحدیثک، فاجعل لنا من نفسک یومًا نأتیک فیه، تعلمنا مما علمک الله. قال: اجتمعن یوم کذا وکذا، فاجتمعن، فأتاهنَّ النبی صلی الله علیه وسلم، فعلمهنَّ مما علمه الله. فهذه امرأه من الصحابیات تأتی الرسول صلوات الله علیه بجرأه أدبیه مشکوره وتخاطبه برباطه جأشٍ وتعرض علیه مطالیبها ومطالب النساء الاخریات وتحظی بالاجابه!. وهذا بحد ذاته ارتقاء فی سلم التطور الفکری والوعی النسائی.

وبدأت المرأه تشارک فی التغییر الاجتماعی عبر ازاحه الظواهر السلبیه التی کانت موجوده آنذاک کظاهره الظهار کما ورد فی سوره المجادله:

((قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِی تُجَادِلُکَ فِی زَوْجِهَا وَتَشْتَکِی إِلَی اللَّهِ وَاللَّهُ یَسْمَعُ تَحَاوُرَکُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِیعٌ بَصِیرٌ (۱) الَّذِینَ یُظَاهِرُونَ مِنکُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ

۱- سوره آل عمران، الآیه ۱۹۵.

۲- الطباطبائی، المیزان، ج ۴، ص ۹۵.

أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِی وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَیَقُولُونَ مُنکَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ)).(۱)

وإذا كانت بدايه التغيير الإنسانى تبدأ من تغيير العقائد والأفكار فمعنى ذلك ان العقيده الإسلاميه قد حملت أساس التغيير الأولى للمرأه والرجل على حد سواء، فلم تنطلق المرأه بمفردها نحو الكمال والتكامل بل كانت مع الرجل فى مسيره الدعوه والتزكيه، فإذاً هو تغيير شامل كاسح لكل القيم الجاهليه التى تُبنى على أساس الصوره والجنس، ولئن كان الإسلام قد رسم اطار الحياه الخاصه للمرأه فى دائره حياتها الزوجيه والاسريه فكانت هناك تباينات ظاهريه فى بعض الحقوق فان هذا لا يعد موشراعلى التمييز ضد المرأه لان الإسلام ينطلق من رؤيه شامله واسعه للمجتمع كله وعلى اساس العداله والمساواه وليس المساواه فقط (وان كانت المطالبه الان تدور حول التشابه قبل المساواه والعداله!).

وبهذا كان ظهور الإسلام منعطفاً كبيراً فى حياه المرأه والرجل على حد سواء.. فالإنسان الجاهلى الذى آمن بالاسلام اخذ يعيش همَ الرساله والدين.. واصبح ذو هدف عالمى فى نشر الإسلام فى ارجاء المعموره، وشعر الرجل والمرأه بانهما معنيان بشؤون المجتمع واعمار الكون وان الارتقاء الذاتى والاجتماعى يتحقق عن طريق تبنى القيم الدينيه العليا وليس على أساس المتعه الماديه الرخيصه أو العادات الجاهليه.

وفى هذه الحقبه الزمنيه القصيره لمعت اسماء فى سماء الرساله وازهرت نجوم لا تضاهى وكانت هؤلاء النساء هن القدوه الحسنه الصالحه للاقتداء وهن يعبرن عن الإسلام كمنظومه صالحه لقياده الأمه واعداد النموذج النسائى الرفيع المتسامى على الشهوات والغرائز والذى يعيش غايات عليا تتمثل فى رضا الله وتحصيل الدار الآخره

۱- سوره المجادله، الآيه ۱-۲.

ونصره الرساله.. وتأتى السيده خديجه بنت خويلد أم المؤمنين كنموذج سامى لامرأه ثريه انفقت ما لديها من أجل نصره عقيده امنت بها، نموذج لامرأه قويه الشخصيه صمدت أمام حراب المجتمع وبغض نساءه وواست فقراء المسلمين بما عاشته من جوع أيام الحصار القاسى...

وكانت فاطمه الزهراء عليها السلام بضعه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نجماً زاهرا فى سماء العقيده. هذه المرأه التى عاشت عمراً قصيراً لكنها كانت مع الرساله وتعيش هم الرساله كله حتى سمّاها أبوها النبى القائد صلى الله عليه وآله وسلم بأم أبيها.. فقد كانت الزهراء نموذجاً لامرأه تشارك فى الحياه الثقافيه من خلال ما كان لديها من حلقات ثقافيه تقيمها لنساء المدينه حيث تعلمهن شؤون دينهن وترد فيها على اسئلتهن(۱).

ثم كانت هى النموذج السياسى من خلال مشاركتها فى حمل الهم السياسى وكانت هى النائبه عن النساء المسلمات فى مؤتمر المباهله. ثم انها عليها السلام كانت ذات حضور اجتماعى واسع تشهد لها به سوره الدهر فيما ورد فى فضائلها الكثيره التى لا مجال للحديث عنها الآن، بل انه حتى فى طريقه تعامل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم معها فى اكرامه لها وقيامه لها واعانته لها فى شؤونها البيتيه لهونموذج لتبديل صوره الكراهه التى كانت تلاقى بها الانثى فى المجتمع الجاهلى الى صوره انسانيه عظيمه.

ان هذه النماذج العليا كانت تعبيراً واضح المعالم عن اطروحه الرساله وما جاء به الإسلام الجديد بالنسبه للمرأه وما يريد أن تكون عليه.

وكانت هناك نماذج نسائيه رفيعه كسميه أم ياسر.. الشهيده الاولى.. والتى

۱- فكانت أول المدارس الثقافيه فى الإسلام فى المدينه وبذلك قادت الحركه الفكريه الأولى للنساء المسلمات.

يبشرها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع زوجها وولدها بالقول: صبراً آل ياسر ان موعدكم الجنه.. ربما لم تصل سميه إلى مرتبه الوعى الفكرى الموجود حالياً عند نساءنا لكنها جسدت إيمانها فى صوره خالده وفى سلوك عملى مثمر.

وواجهت هذه السيده كما واجهت خديجه عليها السلام وغيرها من المسلمات الأوائل شتى أنواع العنف السياسى القاسى ضد المرأه المسلمه - كما هى الحال فى الرجل - لكنها كانت ذات اراده قويه فى الله وكشفت عن صلابتها وصمودها امام التحديات.

وهذه «نسيبه المازنيه» التى كانت تخرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى غزواته، وكان ابنها معها، فأراد أن ينهزم ويتراجع، فحملت عليه، فقالت: يا بنى، إلى اين تفر عن الله وعن رسوله، فردته.

فحمل عليه رجل فقتله، فأخذت سيف أبنها، فحملت على الرجل فقتلته. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بارك الله عليك يا نسيبه.

وكانت تقى رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى أصابتها جراحات كثيره.(۱)

ويمكن القول ان هذه الصور العليا للنساء قد اوضحت للمرأه ما لها وما عليها من حقوق وواجبات ومسؤوليات وبالتالى اخرجت المرأه من اطار الاستغراق الذاتى والانغماس فى شؤون الحياه الخاصه إلى أفق الحياه العامه التى هى للجميع رجالاً ـ ونساءاً وبذلك قدّمن النموذج العملى للصوره التى يريدها الإسلام للمرأه المسلمه.. والتى هى صوره عليا لا ـ تستغرقها الشهوات والملذات بل تتسامى فى حجابها وعفافها وفى طلبها للعلم وتبحث فى الدائره الحياتيه الواسعه عن ميادين سبق مع الرجل المسلم لتحصيل رضا الله والفوز بالجنه.

۱- عن سفينه البحار، ج۲، ص ۵۸۵.

۳ – المرأه فی عصر خلافه الشیخین

یبدأ هذا العصر منذ وفاه الرسول صلی الله علیه وآله وسلم عام ۱۱ه حتی استشهاد أمیر المؤمنین علیه السلام فی عام ۴۰ه.. یتمیز هذا العصر بانه یبتدئ باحتجاج شدید اللهجه من قبل الزهراء بنت الرسول صلی الله علیه وآله وسلم علی الخلیفه الأول، تشارکها فی هذه المواجهه مفردات من النساء مع مفردات رجالیه بقیت ثابته علی عهدها لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یوم الغدیر.

وقد کان احتجاج الزهراء علیها السلام بشأن سلب حقها فی ارض فدک ولم تکن الأرض -کمنفعه شخصیه - هی السبب الوحید فی الاحتجاج علی الحکومه آنذاک بل ارادت الزهراء ان تکشف للأمه الإسلامیه من خلال قضیه فدک بدایه الانحراف الذی تتعرض له الأمه وبدایه التزییف والاقصاء للنهج القرانی والذی بدا واضحاً فی سلب أمیر المؤمنین علیه السلام حقه فی الخلافه واستغلال انشغاله بتکفین الرسول ودفنه کی یثّبت الحکم خارج البیت النبوی بصوره تدل علی استغراق الناکثین للبیعه فی حمّی الدنیا وحمّی الجاهلیه المقیته ونموذجاً للذوب فی الانا والذات بعیداً عن مصلحه الإسلام العلیا. ولم یکن هیناً علی ابنه الرسول صلی الله علیه وآله وسلم ان تقیم دعوی الاحتجاج علی الخلیفه ولکن کان لابد من حرکه کی یفهم الناس وعوره الطریق الذی دخلو فیه.. وابتدأ احتجاج الزهراء علیها السلام من خلال مواقف عده مره مع الخلیفه نفسه ومره أمام الأمه نفسها.. لقد واجهت الخلیفه نفسه دون خوف أو تردد.. وانی یکون ذلک وهی بضعه الرسول التی یغضب البارئ لغضبها.. فقد روی عبد الله بن الحسن بإسناده عن آبائه علیهم السلام:

أنه لما اجتمع أبو بکر وعمر علی منع فاطمه الزهراء علیها السلام فدکاً، وبلغها ذلک، لاثت خمارها علی رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت

فی لمّه من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذیولها، ما تخرم مشیتها مشیه أبیها رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، حتی دخلت علی أبی بکر وهو فی حشد من المهاجرین والأنصار وغیرهم، فنیطت دونها ملاءه، فجلست، ثم أنَت أنّهً أجهش القوم لها بالبکاء، فارتج المجلس، ثم أمهلت هنیهه حتی إذا سکن نشیج القوم وهدأت فورتهم.

قالت: ...

یا أیها الناس أعلموا أنی فاطمه، وأبی صلی الله علیه وآله وسلم أقول عوداً وبدءاً، ولا أقول غلطاً ولا أفعل ما أفعل شططاً.

((لَقَدْ جَاءکُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِکُمْ عَزِیزٌ عَلَیْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِیصٌ عَلَیْکُم بِالْمُؤْمِنِینَ رَؤُوفٌ رَّحِیمٌ)).

فإن تعزوه، وتعرفوه تجدوه أبی دون نسائکم، وأخاً ابن عمّی دون رجالکم ... إلی اخر خطبتها العظیمه.(۱)

وقد حاول الخلیفه استرضاءها لکنها اعلنت موقفها بصراحه بالقول:

أیها المسلمون! أأغلبُ علی إرثیه؟ یا ابن أبی قحافه! أفی کتاب الله أن ترث أباک ولا أرث أبی؟ لقد جئت شیئاً فرّیاً علی رسول الله!! أفعلی عمدٍ ترکتم کتاب الله، ونبذتموه وراء ظهورکم؟

إذ یقول:

((وَوَرِثَ سُلَیْمَانُ دَاوُودَ)).

وقال فیما اقتضّ من خبر یحیی بن زکریا (علیه السلام) إذ قال:

((فَهَبْ لِی مِن لَّدُنکَ وَلِیًّا (۵) یَرِثُنِی وَیَرِثُ مِنْ آلِ یَعْقُوبَ)).

۱- الخطبه موجوده بکاملها فی کتاب (بلاغات النساء) لابن طیفور وفی الاحتجاج للطبرسی وکتب اخری.

وقال:

((وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِى كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ)).

وقال:

((يُوصِيكُمُ اللّهُ فِى أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ)).

وقال:

((إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ)).

وزعمتم أن لا حظوه لى ولا إرث من أبى ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآيه من القرآن أخرج أبى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) منها؟ أم تقولون: أهل الملتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا وأبى من أهل ملّه واحده؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبى وابن عمى؟ فدونكها مخطومه مرحوله تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد (صلى الله عليه آله وسلم) والموعد القيامه، وعند الله الساعه يخسر المبطلون، ولا ينفعكم ما قلتم إذ تندمون، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم.

((وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى اللّهُ الشَّاكِرِينَ)).

إيها بنى قيله أأهضمَ تراث أبى؟ وأنتم بمرأى منى ومسمع؟ ومنتدى ومجمع؟ تلبسكم الدعوه، وتشملكم الخبره، وأنتم ذوو العدد والعدهً، والأداه والقوه، وعندكم السلاح والجنّه توافيكم الدعوه فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخه فلا تغيثون، وأنتم موصفون بالكفاح، معرفون بالخير

والصلاح والنجب التی انتجبت والخیره التی اختیرت، لنا أهل البیت، قتلتم العرب وتحملتم الکدّ والتعب وناطحتم الأمم وکافحتم البُهم، لا نبرح أو تبرحون، نأمرکم فتأتمرون، حتی إذا دارت بنا رحی الإسلام، ودرّ حلبُ الأیام، وخضعت نعره الشرک، وسکتت فوره الإفک، وخمدت نیران الکفر، وهدأت دعوه الهرج، واستوسق نظام الدین، فأنّی حرتم بعد البیان؟ وأسررتم بعد الإعلان؟ ونکصتم بعد الإقدام؟ وأشرکتم بعد الإیمان؟ بؤساً لقوماً نکثوا إیمانهم من بعد عهدهم، وهمّوا بإخراج الرسول، وهم بدأوکم أول مره، أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن کنتم مؤمنین.

ألا قد أری ان قد أخلدتم إلی الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض، ورکنتم إلی الدعه، ونحوتم بالضیقه بعد السعه، فمججتم ما وعیتم، ..، فإن تکفروا أنتم ومن فی الأرض جمیعاً فإن الله لغنی حمید.

ألا۔ وقد قلت ما قلت علی معرفه منّی بالخذله التی خامرتکم والغدره التی استشعرتها قلوبکم، ولکنها فیضه النفس ونفثه الغیظ وخور القناه، وبثه الصدور، وتقدمه الحجه، فدونکموها فاحتقبوها دبره الظهر، نقبه الخفّ باقیه العار، موسومه بغضب الله وشنار الأبد، موصوله بنار الله الموقده التی تطّلع علی الأفئده، فبعین الله ما تفعلون، وسیعلم الذین ظلموا أی منقلب ینقلبون، وأنا ابنه نذیر لکم بین یدی عذاب شدید.

فأجاب أبی بکر قال: یا ابنه رسول الله! لقد کان أبوک بالمؤمنین عطوفاً کریماً، ورؤوفاً رحیماً، وعلی الکافرین عذاباً ألیماً، وعقاباً عظیماً، إن عزوناه وجدناه أباک دون النساء، وأخاً لبعلک دون الإخلاء، آثره علی کل حمیم، وساعده فی کل أمر جسیم، لا یحبکم إلا کل سعید، ولا یبغضکم إلا کلّ شقی بعید، فأنتم عتره رسول

الله (صلی الله علیه وآله وسلم) الطیبون، والخِیره المنتجبون، علی الخیر أدلّتنا، وإلی الجنه مسالکنا، وأنتِ یا خیره النساء، وابنه خیر الأنبیاء، صادقه فی قولک، سابقه فی وفور عقلک، غیر مردوده عن حقک، ولا مصدوده عن صدقک، والله ما عدوت رأی رسول الله، ولا عملت إلا بإذنه، وأن الرائد لا یکذب أهله، وإنی أشهد الله وکفی به شهیداً، إنی سمعت رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم) یقول: نحن معاشر الأنبیاء لا نوّرث ذهباً ولا فضه ولا داراً ولا عقاراً، وإنما نورث الکتاب والحکمه، والعلم والنبوه، وما کان لنا من طعمه فلولیّ الأمر بعدنا أن یحکم فیه بحکمه، وقد جعلنا ما حاولته فی الکراع والسلام، یقاتل بها المسلمون ویجاهدون الکفّار.. وذلک بإجماع من المسلمین!! لم أتفرد به وحدی، ولم استبد بما کان الرأی عندی، وهذه حالی ومالی، هی لک وبین یدیک لا نزوی عنک ولا ندخّر دونک، وأنت سیده أمه أبیک، والشجره الطیبه لبنیک، لا ندفع مالک من فضلک، ولا نوضع من فرعک وأصلک، حکمک نافذ فیما ملکت یدای، فهل ترین أن أخالف فی ذلک أباک (صلی الله علیه وآله وسلم)؟

فقالت (سلام الله علیها):

سبحان الله! ما کان أبی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم عن کتاب الله صادفاً ولا لأحکامه مخالفاً، بل کان یتبع أثره، لا ویقتنی سوره، أفتجمعون الی الغدر اعتلالاً علیه بالزور والبهتان وهذا بعد وفاته شبیه بما بغی له من الغوائل فی حیاته فهذا کتاب الله، حکماً عدلاً وناطقاً فصلاً، ویقول:

((یَرِثُنِی وَیَرِثُ مِنْ آلِ یَعْقُوبَ))؛

((وَوَرِثَ سُلَیْمَانُ دَاوُودَ))،

فبیّن الله عز وجل فیما وزع علیه من الأقساط وشرع من الفرائض والمیراث،

وأباح من حظ الذكران والإناث ما أزاح به علّه المبطلين وأزال التظنّى والشبهات فى الغابرين كلا بل سولت لكم أنفسكم أمراً، فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون.

فقال لها أبو بكر: صدق الله، وصدق رسوله، وصدقت أبنته، أنتِ معدن الحكمه، وموطن الهدى والرحمه، وركن الدين، وعين الحجه، ولا أبعد صوابك، ولا أنكر خطابك، هؤلاء المسلمين بينى وبينك، قلدونى ما تقلدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت، غير مكابر ولا مستبد، ولا مستأثر، وهم بذلك شهود.

فالتفت فاطمه (عليها السلام) إلى الناس، وقالت:

معاشر المسلمين المسرعه إلى قيل الباطل، المغيضه على الفعل القبيح الخاسر، أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟ كلا، بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأولتم، وساء ما به أشرتم، وشرّ ما منه إعتصبتم، لتجدنّ والله محمله ثقيلاً ـ.. إذا كشف لكم الغطاء، وبان ما ورائه الضرّاء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هناك المبطلون.

ثم عطفت على قبر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنبثه

لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها

وختل قومك فاشهدهم فقد نكبوا

وكل أهل له قربى ومنزله

عند الإله على الأذنين مقترب

أبدى رجال لنا نجوى صدورهم

لما مضيت وحالت دونك التراب

تجهمنا رجال واستخف بنا

لما فقدت وكل الإرث مغتصب

وكنت بدرا ونورا يستضاء به

عليك تنزل من ذى العزه الكتب

وكان جبريل بالآيات يؤنسنا

فقد فقدت وكل الخير محتجب

فليت قبلك كان الموت صادفنا

لما مضيت وحالت دونك الكتب

إنا رزئنا بما لم يرزّى ذو شجن

من البريه لا عجم ولا عرب

قال الراوى فما رأينا أكثر باكياً ولا باكيه من ذلك اليوم.

والـذى يتأمل هـذا الحوار الساخن والذى كان امام الانصار والمهاجرين فانه يقف امام قوه امرأه وثباتها ولا يتردد اثنان فى القول ان الذى دفعها لمحاججه الخلفه الاول هو شعورها بالمسؤوليه وحرصها على مصلحه الامه وعملا بفريضه الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وجاء الخطاب ورسول الله راحل للتو والزهراء والامه معزاه برسول الله.

ترك هذا الموقف صداه على المرأه المسلمه فها هى سيده نساء العالمين وبضعه الرسول التى مَن آذاها فقد آذى رسول الله ومن اذى الرسول فقـد اذى الله.. تغبن فى جمله حقوقهـا وهى تـدافع عن حقهـا وتـاتى بالشـهود وتـاتى بالاـدله والبراهين ولكن لا من

سامع! فكيف بالاخريات؟ ثم ما هو الموقف المطلوب هل هو السكوت امام كل الاخطاء والانحرافات ام هو الانزواء والانكماش ونبذ كل الصور المشرقه التى كانت للمرأه المسلمه فى عصرها الذهبى؟ وكيفما تكون الاجابات فلقد ترك الموقف المؤلم صداه وولّد عند المراه المسلمه ان الجاهليه قد عادت وبدا العصر الذهبى للمرأه المسلمه يتحول الى طيف عابر الى الزمن الماضى وبذلك أُعلن عن بدايه تجميد الطاقات النسائيه التى تشكل نصف المجتمع.

وبوفاه الزهراء عليها السلام تغيب – والى امد – القدوه الصالحه المطلقه للنساء وتتسع المسافه بين ما هو مطلوب وما هو موجود الامر الذى يؤدى الى مزيد من الانكماش الانزواء. ويمكن القول ان عصر الخلافه الراشده هو عصر الافول بالنسبه للمرأه أو عصر القهقرى فلا نسمع عن مطالبات أو احتجاجات الا الشيء اليسير كما

حصل أبان حكم الخليفه الثانى وهو يخطب فى المسلمين وينهاهم عن المغالاه فى المهور، فانبرت له امرأه من صف الناس، وقالت: ما ذاك لك.

فقال: ولمه؟

اجابت: لأن الله تعالى يقول:

((... وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً)).(۱)

فرجع عمر عن رأيه، وقال: أخطأ عمر واصابت امرأه.

واما الحادثه الثانيه التى تركت اثرها فى هذه الفتره فهى خروج السيده عائشه زوج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على أمير المؤمنين وحدوث حرب الجمل فى البصره، وقد اتسمت هذه الحاله بالامتداد - بين المدينه والبصره - وعرّفها الكثيرون بانها فتنه لما خرجت (أم المؤمنين على أمير المؤمنين) وسمتها بنت الشاطئ بالمأساه!.(وقد انفردت «عائشه» بدور البطوله فى تلك المأساه المعروفه فى التاريخ باسم موقعه «الجمل» الذى ركبته أم المؤمنين على رأس الجموع المعارضه الثائره، وكانت هى القائده العليا للجيش: تصدر الأوامر، وتعين الأمراء، وتوجه الرسل بكتبها ذات اليمين وذات اليسار مصدره بالعباره التاليه:

«من عائشه ابنه أبى بكر، أم المؤمنين، حبيبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إلى ابنها الخالص فلان..».

«أما بعد فإن أتاك كتابى هذا فاقدم فانصرنا، فإن لم تفعل فخذّل للناس عن على».

۱- سوره النساء، الآيه ۲۰.

ولباها من لبى، ورد عليها من يقول:

«... أما بعد فأنا ابنك الخالص إن اعتزلت ورجعت إلى بيتك، وإلا فأنا أول من ينابذك».

أو يقول:

«رحم الله أم المؤمنين! أُمرت أن تلزم بيتها، وأمرنا أن نقاتل، فتركت ما أمرت به وأمرتنا به، وصنعت ما أمرنا به ونهتنا عنه»![(۱)]

وقد نهتها ام سلمه حين أتت عائشه وقالت لها:

«أى خروج هذا الذى تخرجين؟... الله من وراء هذه الأمه!! لو سرت مسير هذا ثم قيل لى: ادخلى الفردوس. لاستحييت أن ألقى محمداً هاتكه حجاباً قد ضربه علىّ!».

لكن «عائشه» لم ترجع... بل مضت فى طريقها. وتخلفت أمهات المؤمنين عنها. - وكن قد خرجن معها إلى مكه - مؤثرات أن يرجعن إلى «المدينه»، إلا «حفصه بنت عمر» فإنها قالت: «رأيى لرأى عائشه تبع».

وأرادت أن تخرج معها إلى البصره. فحال أخوها «عبد الله بن عمر» دون ذاك، ولم تجد «حفصه» بداً من الاعتذار والقعود![(۲)]

وكان لهذه الواقعه تأثيرها على جمهورالمسلمين فى عدد الضحايا والذين كانوا يقدرون ب۱۵ الفا من حمله القرآن!! مضافا اليها تداعيات اخرى كثيره لا مجال لذكرها هنا. والمهم انها شوشت وشوهت المفاهيم حول وضع المرأه وعلاقتها بالسلطه والمجتمع،

۱- الدكتوره عائشه عبد الرحمن، بنت الشاطئ، السيده زينب، ص ۶۲.

۲- نفس المصدر السابق، ص ۶۹.

كما انها زعزعت هذه الواقعه ثقه المرأه بنفسها وجعلتها فى حيره من أمرها(۱).

فما هو المطلوب منها وما هى أدوارها ومشاركتها فى الحياه الاجتماعيه والسياسيه وهل المطلوب لها ان تتحرك بهذا الاسلوب فى اشعال لهيب الحرب فى بلاد المسلمين ام المطلوب اللجوء الى لغه الحوار وحفظ الاولويات الاساسيه للامه والتى تقوم عليها قيمها الدينيه العليا، ومن جانب آخر فقد ضاعفت هذه الفتنه من نسبه التشوشات عند الرجل نفسه فى رؤيته للمرأه فما هى الصوره الصحيحه لحركه المرأه فى المجتمع؟ ومَن الذى يرسم الابعاد الصحيحه لهذه الحركه؟ وما هو الامتداد الواجب منها؟.

وإذا ما استعرضنا هذه الفتره التى امتدت اكثر من ۳۰ عاماً تقريباً لوجدنا ان انحسار المرأه الطويل عن الحياه العامه ثم مجىء حرب الجمل كخروج صريح عن المألوف والمطلوب ثم كانت هناك الفتوحات الكثيره التى استغرقت المسلمين وجعلتهم يعيشون همّ الأراضى والغنائم (لا هم الرساله والدين) الامر الذى افرز نوعاً من الابتعاد عن القيم الدينيه الأصليه وتصوير الدين بانه مجرد طقوس جوفاء!.

فإذاً هناك تغيرات على أكثر من صعيد.. فهناك استغراق فى الجانب المادى والاقتصادى بسبب الفتوحات والتمايز الطبقى وهناك اهمال مقصود واقصاء واضح لأهل البيت عليهم السلام عن الحياه العامه. كما ان هناك تغيرات اجتماعيه وفكريه كثيره.

ويمكن ان نستقرئ الأسباب التى ادت إلى أفول العصر الذهبى للمرأه وإلى انحسار وجودها الفاعل فى الحياه العامه إلى أمور منها:

۱ - بقاء النزعه الجاهليه فى النفوس، تلك النزعه التى تنظر إلى المرأه على انها

۱- هذه الواقعه شوهت تصورات المرأه عن ذاتها وعن الدين وعن القدوه.

مخلوق ثـانوی للمتعه ولیس أکـثر، وهی تـابع للرجـل ولیس کائنـاً مسـتقلاً. هـذه النزعه التی بقیت رواسـبها فی النفوس حیث ان الفتره الزمنیه بین فتح مکه سنه ۸ ه بین وفاه الرسول صـلی الله علیه وآله وسلم سنه ۱۱ه کانت قصیره الامد وقد دخل فی الإسلام خلق کثیر من طوائف ونماذج شتی فیهم المعانـدین وفیهم السـذج والجهال والحاقـدین وبالتالی لم یتفهّم هؤلاء (فی هذا الظرف القصـیر) رؤیه الإسلام حول المرأه ولم یجدو الوقت الکافی للاهتمام بامور الدین واکتفوا بقول الشهادتین دون وعی لمتطلباتها.. وهؤلاء عـاشو منـذ البـدایه رؤیه ان فی انعزال النسـاء عن الحیـاه المجتمعیه منفعه لهم فی قضـاء شؤونهم وغیـاب من یحـاججهم ویناقشـهم فی الشـؤون العـامه واقصـاء للمنـافس لهم فی سـلطانهم الازلی وبعبـاره أخری للابقـاء علی الارث القـدیم (ذکـوریه المجتمع) مع الحفـاظ علی کون المرأه مخلوق ثـانوی اعجم لا یفقه أمور المجتمع ولا دور لهـا فیه. وللأسف بقی هـذا الأرث متواصلاً حتی جاء إلینا ونحن فی القرن الحادی والعشرین!.

۲ - انشـغال المسـلمین بـأمر الفتوحـات واتساع الـدوله الإسـلامیه بحیث اصـبح ذلک شـغلهم الشاغل وغاب ازاء ذلک اهتمامهم بالفکر والوعی الدینی وإلی هذا الأمر یشیر الاستاذ مازن هاشم بالقول:

إن اتساع الدوله الإسـلامیه ودخول اعراف کثیره ونماذج شتی فی الإسـلام قد أدی إلی تغییرات اجتماعیه فی نمط الحیاه واتساع المدن إلی غیر ذلک، ویضیف:

فی مثـل هـذا الجو بـدأت المرأه انسـحابها من المشـارکه فی الحیاه العامه، وکان المجتمع فی الفترات اللاحقه یتکون فی غالبیته السـاحقه - والتی اصـبحت تشـکل الواقع - من خلیط من البشـر أصـبح انسـیاقهم للإسـلام فی جزء منه نوعاً من التماشـی الثقافی التقلیدی أکثر منه التزاماً فکریاً وإیمانیاً بحتاً.(۱)

۱- مازن هاشم، المنعطف، عدد ۱۵/۱۶، ص ۹.

۳ - اقصاء أهل البيت عليهم السلام عن الحياه العامه بكل تشعباتها السياسيه والثقافيه والاجتماعيه وهذا ما مهد لظهور الكثير من الانحرافات وسهّل المروق عن النهج السليم، مما أدى إلى اتساع الفارق بين النظريه والتطبيق. وإلى فرض الطوق حول اهل البيت وتحجيم ادوارهم الاساسيه طوال هذه المده. ولقد وقع الخلفاء انفسهم فى اخطاء وزلات عكست حاله العجز عن فهم الرؤيه الاسلاميه الصحيحه فى الأمور التى اعترضت مسارهم مما جعلهم يستغيثون بأمير المؤمنين على عليه السلام مرات ومرات وهم القائلون: (اعوذ بالله من معضله ليس لها ابا الحسن)(۱). ولكنهم فى نفس الوقت حاصروا وجود أهل البيت عليهم السلام الفكرى والثقافى والدينى فبقى الناس - غالبيتهم - فى جهلهم للاسلام واحكامه. فمثلاً صلاه الميت والتى صلوها مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ملايين المرات لكنهم اختلفوا فى عدد تكبيراتها بعده!!.. وهذا هو السبب فى اختلاف الرؤى والمناهج فى وقتنا الحاضر فهناك من يرى ان فى تعليم النساء جنوناً وهناك من يرى ان النساء تخرج من بيتها مرتين مره لزوجها ومره لقبرها وإذا ما تكلم أحد عن حقوق المرأه الحقيقيه فى الإسلام ومسؤولياتها العظيمه ودورها فى زمن الانتظار فانه يُتهم ويُهاجم وينُبذ والله أعلم بعدها ماذا يحصل؟!.

على هذا انكمشت المرأه وعاشت فراغاً فكرياً بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اقسى من الفراغ الفكرى الذى عاشه الرجل وحيل بينها وبين فهم الدين الصحيح لضعف الصله بين الناس ونساء أهل البيت عليهم السلام كالسيده زينب عليها السلام وباقى الصالحات كأم سلمه (رض) الأمر الذى ابقى المرأه فى دائره الوهم وضيق الافق وغياب الوعى. وازاء امرأه كهذه ماذا نتوقع ان تكون النتائج؟ وهل هناك انتظار لانطلاقات نسويه أو ممارسات ثقافيه أو اسهامات أو ابداعات فى الصعيد

۱- تاريخ ابن كثيرج۷ ص۳۵.

الاجتماعی أو الفکری أو السیاسی؟.

إلی هذا یشیر الاستاذ مازن هاشم بالقول: ان المرأه شارکت فی الفتره الأولی عملیاً وعلی جمیع الاصعده بحیث کان من غیر الممکن ان یتم عزلها عن عملیه الجهاد وهی التی کانت تشارک بشکل أساس فی مختلف فعالیات الحیاه والمجتمع بدءاً من عملیات اتخاذ القرارات وانتهاءاً بالمشارکه العملیه فی تنفیذها وذلک بحکم المنظومه السیاسیه والاجتماعیه الشوریه.. بینما تغیرت فی الفترات اللاحقه تلک المنظومه وضاقت إلی حد کبیر لتخرج منها شرائح کبیره کان فی مقدمتها المرأه التی انعزلت شیئاً فشیئاً داخل جدران المنازل والقصور وساهم نمط الحیاه المیسر فی ذلک.(۱)

وأبان خلافه امیر المؤمنین الامام علی بن ابی طالب علیه السلام وخاصه بعد انتهاء التحکیم الذی حصل فی صفین. بدأ الامویون بترتیب اوضاعهم تمهیدا لاستیلاءهم علی الخلافه لاحقاً.. وقد حصلت انتهاکات کثیره منها ما فعله العامری حیث قتل عاملا لعلی یقال له حسان بن حسان مع جمع من الموالین لأهل البیت وإلی هذا اشار الامام فی احدی خطبه بالقول:

هذا أخو عامر قد جاء الأنبار فقتل عاملها حسّان بن حسّان وقتل رجالاً کثیر أو نساءً، والله بلغنی انّه کان یأتی المرأه المسلمه والأخری المعاهده فینزع حجلها ورعائها ثم ینصرفون موفورین لم یکلم أحدٌ منهم کلماً، فلو أنَّ امرءاً مسلماً مات دون هذا أسفاً لم یکن علیه ملوماً بل کان به جدیراً.(۲)

وهذ الخطبه تبین ألم الامام علیه السلام لما حصل للنساء وتکشف لنا عن المنحدر الذی سقطت فیه الامه.

۱- مازن هاشم، المنعطف ۱۵/۱۶، ص ۱۰.

۲- عبد الحسین احمد الأمینی النجفی، الغدیر فی الکتاب والسنّه والادب، ج۱۱، ص ۱۷.

وقد اغار بسر بن ارطأه علی همدان وسبی نسائهم فکن اول مسلمات سبین فی الاسلام.(۱)

وقد کانت هناک احتجاجات نسائیه علی السلوک الاموی منها احتجاج نساء من بنی کنانه علی قیام بسر بذبح ولدی عبید الله بن عباس.. قال ابن یونس: کان عبید الله بن العبّاس قد جعل ابنیه عبد الرّحمن وقثم عند رجل من بنی کنانه وکانا صغیرین فلمّا انتهی بُسر الی بنی کنانه بعث إلیهما لیقتلهما، فلمّا رأی ذلک الکنانی دخل بیته فأخذ السیف واشتدّ علیهم بسیفه حاسراً وهو یقول:

أللیث من یمنع حافات الدار

ولا یزال مصلتاً دون الدار(۲)

إلا فتی أروع غیر غدّار

فقال له بُسر: ثکلتک أمّک والله ما أردنا قتلک فِلمَ عرضتَ نفسکَ للقتل. فقال: أُقتل دون جاری فعسی أعذر عند الله وعند الناس.

فضرب بسیفه حتّی قُتل، وقدّم بُسرم الغلامین فذبحهما ذبحاً، فخرج نسوهٌ من بنی کنانه فقال قائلهٌ منهنَّ: یا هذا هؤلاء الرجال قتلت فعلامَ تقتل الولدان؟ والله ما کانوا یُقتلون فی الجاهلیّه ولا إسلام والله انّ سلطاناً لا یقوم إلا بقتل الرضَّع الصغیره والمدره الکبیر، وبرفع الرّحمه وعقوق الأرحام لسلطان سوء فقال لها بُسر: والله لقد هممت أن أضع فیکنَّ السیف.

فقالت: تالله انّها لأخت التی صنعت، وما أنا بها منک بآمنه. ثمَّ قالت للنساء اللواتی حولها: ویحکنَّ تفرَّقن.(۳)

۱- نفس المصدر، ص۲۱.

۲- والصحیح: ولا یزال مصلتاً دون الجار.

۳- عبد الحسین احمد الامینی النجفی، الغدیر فی الکتاب والسنّه والادب، ج۱۱، ص۲۲.

۴ – المرأه فی العصر الأموی

واجه المجتمع الإسلامی فی العصر الأموی الکثیر من الضغوطات والتحدیات، فقد اتبع الأمویون سیاسه الترهیب ضد کل من لا یتبنی النهج الاموی والذی یقوم اساسا علی بغض علی بن ابی طالب علیه السلام وسبه علی المنابر!!. وبهذا بدات حقبه دمویه مقیته تقوم علی تصفیه کل الموالین لآل البیت علیهم السلام. فقد کتب معاویه إلی ولاته فی جمیع الأمصار: «انظروا مَنْ قامت علیه البیّنه أنّه یحبّ علیّاً وأهل بیته، فامحوه من الدیوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه»(۱).

وکتب کتاباً آخر جاء فیه: «مَنْ اتّهمتموه بموالاه هؤلاء القوم، فنکّلوا به، واهدموا داره»(۲).

وقد صوّر الإمام محمّد الباقر (علیه السلام) تلک المأساه الدامیه بأقصر عباره وأدقها حین قال:

«فقُتلت شیعتنا بکلِّ بلده، وقطعت الأیدی والأرجل علی الظنّه، وکان منْ یُذکِّر بحبِّنا والانقطاع إلینا سُجن، أو نُهِبَ ماله، أو هُدِمَت داره، ثمّ لم یزل البلاء یشتدّ ویزداد إلی زمانِ عبید الله بن زیاد قاتل الحسین (علیه السلام)»(۳).

وبهذا استشهد خلق کثیر کحجر بن عدی وعمرو بن حمق الخزاعی ورشید الهجری وغیره.

۱- ابن أبی الحدید، شرح نهج البلاغه، ط دار احیاء الکتب العربیه، بیروت، الطبعه الثانیه، ۱۳۸۷ه، ج۱۱، ص۴۵.

۲- المصدر السابق.

۳- المصدر السابق، ص ۴۳.

وكثيراً ما كان الانصار والموالين يمكثون بلا عطاء ولا ذنب لهم الا أنهم ينصرون أهل البيت عليهم السلام(۱).

وكانوا (الامويون) إذا عصاهم أحد من المسلمين قطعوا عطاءه ولو كان العاصون بلدةً برمتها.(۲)

واتبع الأمويون سياسه الترغيب عبر اغداق الأموال لشراء الذمم ووضع الأحاديث المزيفه ونسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهى التى تمسح عن أهل البيت وخاصه أمير المؤمنين عليه السلام كل فضيله وتهب فضائله إلى آل أميه!!.

كما أثار معاويه الروح القبليه والقوميه وبذلك اثيرت الصراعات والتمييز العنصرى بين طبقات المجتمع الواحد. وعمد الامويون الى اتباع سياسه الاقصاء لأهل البيت عليهم السلام عن الحياه العامه وبكل الوسائل اينما كانوا وكيفما كانوا رجالاً ونساءاً. وعمل الامويون ايضا على تجويع انصاراهل البيت واغداق الأموال الطائله على أعدائهم وعلى الشعراء الذين يمدحون بنى اميه وعلى وضّاع الأحاديث فقد اُعطى سمره بن جندب ۴۰۰ ألف درهم ليجعل الآيه:

((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ)).

نازله فى ابن ملجم ففعل!.(۳)

واما عبد الرّحمان بن عوف فقد قسّم ميراثه على سته عشر سهماً، فبلغ نصيب كلّ امرأه له ثمانين ألف درهم!.(۴)

۱- محمد مهدى شمس الدين، ثوره الحسين ، ۶۸، نقلاً عن زيدان، التمدن الإسلامى.

۲- نفس المصدر.

۳- ابن ابى الحديد، شرح نهج البلاغه، ج ۴، ص ۷۳.

۴- المسعودى، مروج الذهب، ج ۳، ص ۲۳.

وحصل مروان بن الحكم على خمسمائه ألف دينار من موارد أفريقيه!.(۱)

وحصل ابن العاص على هديّه مقدارها مائه ألف درهم!.(۲)

كما حصل عبد الله بن خالد بن أسيد على هديه مقدارها أربعمائه ألف درهم!.

وظهرت فى هذه الفتره الفرق المتعدده كالجبريه والقدريه والتى مارست دور المخدر فى شل الحركه الثوريه عند الناس وجعلهم يرضخون للحاكم الظالم.

وبهذا يمكن وصف هذه المرحله بانها فوضى فكريه دينيه ماليه اجتماعيه سياسيه اشتدت بعد تنصيب يزيد ولياً للعهد واجبار الناس على مبايعته.

وفى فوضى كهذه هل تجد المرأه الوقت الكافى لبناء ذاتها أو تفّهم مجريات الأمور واستقراء الساحه السياسيه؟.

وإذا كانت المرأه قد اقصيت عن الحياه العامه قبل ان يتشكل البيت الاموى ثم اصبحت اسيره الجهل والتضليل الفكرى واخرس لسانها الخوف فاصبحت كائناً ثانوياً تابعاً غير قادر على القيام بأى دور وهذه الحال لا تخص المرأه وحدها بل تمس شرائح كثيره من المجتمع بل وحتى الرجل نفسه.

يضاف إلى ذلك ما عاشه المجتمع من الاسترخاء والركون إلى السكينه والراحه والانشغال بالدنيا بسبب الفتوحات الكثيره التى اتسعت مع امتداد رقعه الدوله الإسلاميه وتداخل الاقوام الكثيره واختلاطهم معها مما أدى إلى تبنى عادات وتقاليد جديده لم تكن موجوده فانه من المحتم ان هذه الأمور تترك اثارها على الحياه الاجتماعيه كلها وليس على وضع المراه فحسب.

ويمكن رسم المشهد النسائى قبل الثوره من خلال عده نماذج:

۱- ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، ج ۳، ص ۹۱.

۲- ابن قتيبه الدينورى، المعارف، دار إحياء التراث العربى، بيروت، الطبعه الثانيه، ۱۳۹۰ه، ص ۸۴.

۱. نموذج المرأه العام والـذى هو امتداد لما ذكرناه فى وصف المرأه فى عصـر الخلفاء. نموذج لامرأه مشـغوله بحياتها بعيده عن الـوعى الفكرى والثقـافى، ليست لهـا مشاركـات اجتمـاعيه أو سياسـيه. مع وجود خوف يسـتولى على الجميع من النظـام الأـموى الفاشـى. إذاً هى صوره لامرأه سلبيه متواريه عن الحياه المجتمعيه خوفاً أو جهلاً أو رغبه. يشاركها نموذج لرجل لم يفهم الإسلام وغير قادر على استيعاب نظريته الصـحيحه من أصـحابه الأصليين فهو يأخذ من هنا روايه تمجد معاويه واخرى من هناك تسحب من على عليه السـلام فضائله المنصوص عليها فى القرآن وروايه ثالثه تصارع للابقاء على فضائل اهل البيت لاصحابها. وأمام هذا التشـتت فى الأحاديث والروايات والاوضاع العامه المشـحونه بحملات المطارده والقتل والسـجن والتشـريد فالأفضل الجنوح إلى السلامه لتكون المرأه مفرده سلبيه تتلقى ما يفرغ فى جوف رأسها دون مناقشه أو فهم او رغبه فى التطور الذاتى.

۲ . نموذج الجوارى اللائى بدأت قصور بنى أميه تمتلىء بهن وغالباً ما يتم استيرادهن من خارج بلاد المسـلمين ومهمتهن الغوايه والإثـاره، وقـد كـان لهن الباع الاكبر فى ترويـج صوره المرأه – الجسـد – الشـىء أو السـلعه. وبهـذا عملن على ترسـيخ الصوره السـلبيه للمرأه وفتحن ابواب المتعه والشـهوه للرجال بسـبب سـهوله الحصول عليهن مما أدى إلى التبلد العقلى بسـبب الافراط فى التفريغ الجنسـى كمـا عزز الشك والريب فى العلاقات التى تقوم بين النساء والرجال!. الامر الـذى ساهم فى تكريس المزيـد من الاقصاء والتبعيه بالنسبه للمراه. وقد جلب النخاسون الجوارى من كل مكان لتباع فى أسواق المدن العربيه والاسلاميه.

۳ . وإذا اردنا النظر إلى نساء القصـر الأموى فاننا نجد نموذج النساء الجوارى. المرأه الجسد والسلعه وإلى جانبهن نساء بنى أميه.. نماذج لاسوأ النساء يتربعن فى قصور الخلافه والحكم ويتحكمن فى رقاب المسلمين ومنهن هند بنت عتبه آكله الاكباد، ألم تبقر

هند أمّ أبيه (معاويه) فی أُحد بطن حمزه، وتمثّل به، وتمضع كبده، ثمّ أنشأت تقول:

شفيت من حمزه نفسی بأُحد

حين بقرت بطنه عن الكبد؟![(۱)]

والتی لم يحك التاريخ أبداً عن امرأه فی مثل حقدها علی الإسلام وعلی آل الرسول وهی تمثل ادنی درجات الهبوط الانسانی لاعمالها الوحشيه التی تتأفف المرأه عنها ذاتيا!!. تقول عنها بنت الشاطئ: أتصرف الخلافه عن حفيد «خديجه» أم المؤمنين وبطله الإسلام الأولی، إلی حفيد «هند» آكله الأكباد وبطله الانتقام الوحشی فی موقعه «أُحد»؟ إن الإسلام لم يكن قد نسی بعد ما ناله من «هند» فی «أُحد»، وإن الجراح التی أحدثتها «هند» بالمسلمين لم تكن قد التأمت بعد. فما زال فيهم - يومئذ - أحياء شهدوا «هنداً» حين ظهرت فی «مكه» تعير قريشاً بهزيمتهم الشنعاء أمام فئه قليله من المؤمنين، انتصرت علی جيش لأبی سفيان - زوج هند وزعيم المشركين - كامل العده والعدد، وتركت علی الساحه الداميه حول ماء «بدر» جثث الأبطال الصناديد من قوم «هند». وفی الحق أن «هنداً» أسلمت بعد ذاك كما أسلم زوجها عام الفتح. لكن هذا لم يمح صفحتها الأولی، ولم يحل دون نبز أبنائها «ببنی آكله الأكباد».[(۲)] وقد عجبت كثيراً لبعض الكتاب المسلمين الذين يقدمون هذه المراه المتوحشه علی انها قدوه النساء!! ومن البديهی ان نساء المجتمع يتطلعن إلی من يتربعن علی كرسی الحكم ويتاثرن بهذا النموذج فما الذی يتعلموه من هند سوی الوحشيه والحقد الاسود؟!.

۴ . ما بقی من الساحه الاجتماعيه بعد تفريغ غير المسلمين منهم ينقسم إلی قسمين - كالساحه الرجاليه تماماً - فهناك الموالون لأهل البيت عليهم السلام وهناك المعادون ومن شاركوهم فی عدائهم وأكثر هؤلاء من الأمويين المتعلقين بسده الحكم

۱- العلامه السيد مرتضی العسكری، معالم المدرستين، ص۴۵۲.

۲- الدكتوره عائشه عبد الرحمن، السيده زينب، ص ۷۹ - ۸۰.

ورجالات البلاط الاموى. أمّا الموالون فقد عانوا الامرّين فى عهد معاويه بالذات وما بعده من خلفاء بنى أميه(۱)، إذ قامت السياسيه الأمويه على التنكيل باتباع أهل البيت ومحاصرتهم والتضييق عليهم فى الشؤون المعاشيه وإقامه الحد عليهم لا لذنب سوى ولائهم لأهل البيت عليهم السلام ولم تقبل شهادتهم بل كانت السلطات الأمويه تطاردهم وتقتلهم شر قتله كما فعلت بميثم التمار ورشيد الهجرى وحجر بن عدى وغيرهم.

و المرأه الموالیه عاشت مع الرجل هذه الظروف العسيره من التجويع والمطارده والتشريد والسجون. فإذا لم تقبض السلطات الأمويه على الرجل المسلم أخذت زوجته أو أمه أو أخته اسيره حتى يسلّم نفسه، أى تعتمدها كورقه ضاغطه، كما فعلوا مع زوجه عمرو بن حمق الخزاعى وهى آمنه بنت الشريد إذ إنّ عمراً فر من السلطه الأمويه فكتب معاويه إلى ابن زياد ان احمل إلى زوجته فالقى القبض على زوجته آمنه بنت الشريد وحملها أسيره من الكوفه إلى الشام إلى معاويه فسجنت حتى جىء برأس زوجها عمرو إلى الشام بعد ان القى القبض عليه فى غار قرب الموصل من قبل والى معاويه عليها، وطعن بتسع طعنات ثم قطع رأسه فكان رأسه أول رأس حمل فى الاسلام(۲) وحمل على قناه إلى معاويه فى الشام فقال معاويه للحرس انطلق بهذا الرأس وضعه فى حجر زوجته آمنه واحفظ ما تقول فلم تشعر وهى بالسجن إلا ورأس زوجها عمرو فى حجرها فضمته إلى صدرها وبكت وقالت غيبتموه عنى طويلاً واهديتموه إلى قتيلاً فأهلاً وسهلاً بها من هديه غير قاليه ولا مقليه ثم قالت للحرس أبلغ معاويه عنى ما

۱- وإلى هذا يشير الإمام الباقر عليه السلام (وقتلت شيعتنا بكل بلده وقطعت الأيدى والأرجل على الظنه وكل من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد فى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام.

۲- تاريخ ابن كثير، ۸:۴۸.

أقول وقل له يتّم الله ولـدك واوحش منك أهلك ولا غفر لك ذنبك وعجل لك الويل من نقمه وطلب منك بدمه فلقد جئت شيئاً فرياً وقتلت باراً تقياً فلما سمع كلامها أمر باحضارها وصار يشتمها ويتهددها.(۱)

وهـذا التعامـل السـيئ مع المرأه المسـلمه كورقه ضـاغطه للحصول على أفراد ومعلومات ليمثل درجه خطيره من العنف السياسـى الموجه ضدها ويكشف لنا عن لؤم النفوس وحقدها على المسلمين والمسلمات فما معنى حملها للشام؟ وما معنى القاء الرأس فى حجرهـا؟ وما معنى تسـجيل كلماتها؟ وهـذه صور مارس مثلها طغاه العصـر الحـديث ضـد المسـلمين والموالين فى بقاع شتى من العالم.

الى هـذا يشـير العلامـه الامينى بالقول: إن معاويه أوَّل مَن قتل نساء كلّ من والى أهل بيت النبىّ (عليهم السـلام) وذبـح صبيانهم ونهب أموالهم، ومثَّل بقتلاهم وشـتَّت شـملهم، وفرَّق جمعهم، واسـتأصل شـأفتهم، ونفـاهم عن عُقر دورهم، وأبـادهم تحت كلّ حجر ومدَر؟!(۲)

هذه هى الصوره العامه للنساء الموالیات لآل البيت ولا ننسى ان معاناه الأم الموالیه كانت شاقه للغايه، فلعن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام على المنابر كان سُنّه سنّها معاويه ولا يكاد وعاظ البلاط الاموى يجدون سيئه إلا ونسبوها إليه عليه السلام ويـذكر المؤرخون ان عمر بن عبـد العزيز كان قبل توليه الخلافه يتساءل عن سـبب هذا السب للإمام وقد نزلت فيه آيه كذا وآيه كذا!. وهذه مؤشـرات تدل على حجم الصراعات الداخليه التى عاشتها المرأه الموالیه والتى منها صراع سياسى مع الحكم الأموى الذى يطارد الموالين ويعتقلهم ويسجنهم وصراع تربوى فى تنشئه الاولاد

۱- الكاشى، ثوره الإمام الحسين عليه السلام بين السائل والمجيب، ص ۷۹.

۲- عبد الحسين أحمد الأمينى النجفى، الغدير فى الكتاب والسنّه والادب، ج۱۱، ص ۷۳.

على الولاء لآل البيت عليهم السلام وصيانه عقائدهم وصراع فكرى وصراع اجتماعى وصراع نفسى مستمر يحمل تبعات كل هذه الضغوطات.

والمرأه التى تعيش كل هذه التحديات الصعبه وفى اجواء هذا المناخ القاسى هل ستجد الوقت الكافى لتهتم ببناء شخصيتها أو تتاح لها فرصه المشاركه المجتمعيه فى أمور نافعه؟. ورغم كل هذه الظروف الصعبه التى عاشتها المرأه الموالیه فان العنف السياسى المؤلم ما كان ليوهن عزيمتها ويزعزع ولاءها اذكانت تنشئه الأولاد على الولاء لآل البيت والتبرى من أعدائهم هو أخطر واقدس مهماتها وإليها تعود ثمره الأجيال الموالیه اللاحقه، معنى هذا انها كانت على يقين بصدق عقيدتها ونهجها.. ثابته فى مواقفها.. ذات إراده قويه فى مواجهه التحديات الصعبه. ثم انها ما شغلتها الأمور التى شغلت غيرها من النساء من الاهتمام بيسر الحياه لتنسى مهماتها الاساسيه ولم تبق أسيره همومها واشجانها واحزانها امام مظالم بنى اميه التى تهد الجبال الرواسى لتصبح كائناً سلبياً غير قادر على النماء بل على النقيض من ذلك كانت تجد ان مهامها كثيره ومقدسه وعليها ان تؤديها لتدخل السرور على سيده نساء العالمين التى مثلت المرأه المعصومه الكامله ولكنها ايضا المرأه المظلومه المغبون حقها والتى كان غياب قبرها دليلاً على استدامه مظلوميتها وتعالى صرختها الابديه فى طلب النصره. وبهذا نجد الصوره بكل ما فيها من مظلوميه او عنف سياسى قاسٍ من جانب لكنها ايضا مؤشر قوه واقتدار يعرض الطاقه الانسانيه العظيمه الكامنه عند المرأه من جانب آخر. ولعل صوره الوافدات على معاويه تكشف لنا عن ذلك وهن الموالیات لاهل البيت والناصرات لعلى إبّان حكمه واللائى استدعاهن معاويه كى ينال من عقيدتهن فى الولاء فانقلب السحر على الساحر ومنهن سوده الهمدانيه ودارميه الجحونيه والزرقاء بنت عدى وغيرهن.

فقد حجّ معاويه سنه من ستيّه، فسأل عن امرأه من بنى كنانه كانت تنزل بالحجون، يقال لها «دارميّه الحجون» وكانت سوداء كثيره اللحم، فأخبر بسلامتها، فبعث

إليها، فجيء بها، فقال: ما حالك يا ابنه حام؟ قالت: لست لحام إن عبتنى، إنّما أنا امرأه من بنى كنانه، ثمت من بنى أبيك.

قال: صدقت، أتدرين لم بعثت إليك؟

قالت: لا يعلم الغيب إلا الله.

قال: بعثت إليك لأسألك، علامَ أحببت علياً وأبغضتنى، ووالیته وعاديتنى؟

قالت: أو تعفينى يا أمير المؤمنين.

قال: لا أعفيك.

قالت: أما إذا أبيت، فأنى أحببت علياً على عدله فى الرعيه، وقسمه بالسويه، وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالأمر، وطلبتك ما ليس لك بحق. ووالیت علياً على ما عقد له رسول الله من الولاء، وعلى حبه للمساكين، وإعظامه لأهل الدين، وعاديتك على سفككك الدماء، وشقك العصا وجورك فى القضاء، وحكمك بالهوى.

قال: فلذلك انتفخ بطنك.

قالت: يا هذا، بهند والله يضرب المثل فى ذلك لا بى.

قال معاويه: يا هذه، اربعى، فانا لم نقل إلا خيرا، فرجعت وسكنت.

فقال لها: يا هذه، هل رأيت علياً؟

قالت: أى والله لقد رأيته؟

قال: فكيف رأيته.

قالت: رأيته والله لم يفتنه الملك الذى فتنك، ولم تشغله النعمه التى شغلتك.

قال: هل سمعت كلامه؟

قالت: نعم والله، كان يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت الصدأ.

قال: صدقت، فهل لک من حاجه؟

قالت: أو تفعل إذا سألتک؟ قال: نعم.

قالت: تعطینی مائه ناقه حمراء فیها فحلها وراعیها.

قال: تصنعین بها ماذا؟

قالت: أغذو بألبانها الصغار، واستحیی بها الکبار، واکتسب بها المکارم، وأصلح بها بین العشائر.

قال: فان أعطیتک ذلک، فهل أحلّ عندک محل علیّ؟

قالت: ماء ولا کصدّاء، ومرعی ولا کالسعدان، وفتی ولا کمالک.

ثم قال: أما والله لو کان علی حیّاً ما أعطاک منها شیئاً.

قالت: لا والله ولا وبره واحده من مال المسلمین.

واستدعی معاویه امرأه من أهل الکوفه تسمی «الزرقاء بنت عدیّ» کانت تعتمد الوقوف بین الصفوف وترفع صوتها صارخه، یا أصحاب علی، تسمعهم کلامها کالصوارم، مستحثه لهم بقول لو سمعه الجبان لقاتل، والمدبر لأقبل، والمسالم لحارب، والفار لکرّ، والمتزلزل لاستقر.

فلما قدمت علی معاویه، قال لها: هل تعلمین لم بعثت إلیک؟

قالت: لا یعلم الغیب إلا الله سبحانه وتعالی.

قال: ألست الراکبه الجمل الأحمر یوم صفین، وأنت بین الصفوف توقدین نار الحرب، وتحرضین علی القتال؟

قالت: نعم. قال: فما حملک علی ذلک؟

قالت: یا أمیر المؤمنین، انه قد مات الرأس، وبتر الذنب، ولن یعود ما ذهب،

والدهر ذو غير، ومن تفكر أبصر، والأمر يحدث بعده الأمر.

قال: صدقت، فهل تعرفين كلامك وتحفظين ما قلته؟

قالت: لا والله، ولقد انسيته.

قال: لله أبوك، فلقد سمعتك تقولين:

«أيها الناس، ارعوا وارجعوا، انكم أصبحتم فى فتنه، غشتكم جلابيب الظلم، وجارت بكم عن قصد المحجه، فيا لها فتنه عمياء صماء بكماء، لا تسمع لناعقها ولا تسلس لقائدها. ان المصباح لا يضىء فى الشمس، وان الكواكب لا تنير مع القمر، وانّ البغل لا يسبق الفرس، ولا يقطع الحديد الا بالحديد، ألا من استرشد ارشدناه، ومن سألنا أخبرناه.

أيها الناس: ان الحق كان يطلب ضالته فاصابها، فصبراً يا معشر المهاجرين والأنصار على الغصص، فكأنكم وقد التأم شمل الشتات، وظهرت كلمه العدل، وغلب الحق باطله، فانه لا يستوى المحق والمبطل. أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون. فالنزال النزال، والصبر الصبر، ألا ـ ان خضاب النساء الحناء، وخضاب الرجال الدماء، والصبر خير الأمور عاقبه، أئتوا الحرب غير ناكصين، فهذا يوم له ما بعده».

ثم قال: يا زرقاء، أليس هذا قولك وتحريضك؟

قالت: لقد كان ذلك.

قال: لقد شاركت علياً فى كل دم سفكه.

فقالت: أحسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين، وأدام سلامتك، فمثلك من بشر بخير، وسرّ جليسه.

فقال معاويه: أو يسرك ذلك؟

قالت: نعم والله، لقد سرّنی قولک، وأنی لی بتصدیق الفعل. فضحک معاویه، وقال: والله لوفاؤکم له بعد موته أعجب عندی من حبکم له فی حیاته.(۱)

هؤلاء النساء کن یدافعن عن عقیدتهن ویقلن قول الحق أمام الطاغیه المتجبر، وهذا دلیل علی صلابه هؤلاء النساء وعلی وعیهن الثقافی الذی ظهر من خلال عقیده الولاء وبهذا تکون المرأه الموالیه صفا واحدا مع الرجال الموالین الذین کانوا یتحدون بطش الأمویین بکل بساله کحجر بن عدی ورشید، بل إن هؤلاء النساء الموالیات کن سبباً لبلوره عقیده الولاء وصیانتها.

ولأم المؤمنین ام سلمه صوره مشرقه فی قوه شخصیتها واهتمامها بأمور المسلمین والدفاع عن الحق والامر بالمعروف والنهی عن المنکر ففی کتاب العقد الفرید لابن عبد ربه الاندلسی یشیر:

ولما مات الحسن بن علی حج معاویه فدخل المدینه وأراد أن یلعن علیاً علی منبر رسول الله فقیل له: إن ههنا سعد بن أبی وقاص ولا نراه یرضی بهذا فابعث إلیه وخذ رأیه..، فقال سعد: إن فعلت لأخرجن من المسجد ثم لا أعود إلیه فأمسک معاویه عن لعنه حتی مات سعد ولما مات لعن (علیاً) علی المنبر وکتب إلی عماله ان یلعنوه علی المنابر ففعلوا فکتبت أم سلمه:

انکم تلعنون الله ورسوله علی منابرکم وذلک بانکم تلعنون علی بن أبی طالب ومن أحبه وأنا أشهد أن الله أحبه ورسوله.(۲) وکان ذلک یمثل ادانه نسویه للنهج الاموی القائم علی سیاسه اللعن لاهل البیت الذین اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهیرا.

۱- هاتان القصتان عن قصص العرب، ج۲، وقد نقلتا بتصرف واختصارعن محمد الصدر فی کتابه اخلاق اهل البیت ص۴۰۸.

۲- ابن عبد ربه الاندلسی، العقد الفرید، تحقیق، د. عبد المجید الترحینی، مج۵، ص ۱۱۴.

وفی هـذه الحقبه الزمنیه ظهرت من داخـل البیت النبوی تصـدعات خطیره اهمهـا استشـهاد الامام الحسن بن علی علیهما السـلام علی یـد زوجته جعده التی دست له السم، ففی الوقت الذی کان الناس ینتظرون صوراً مشـرقه من بیت الامامه تأتی صوره جعده المرأه القاتله الخائنه لتشوه لا صوره المرأه مع الامام بل صوره المرأه بشـکل عام وتجعل الناس فی حیره من تفسیر الموقف، فقد قیل:

انه کان سـبب موت الحسن بن علیّ من سمِّ سمَّ به یقال: إنَّ زوجته جعـده بنت الأسود بن قیس الکنـدی سـقته إیّاه، ویذکر والله اعلم بحقیقه أمورهم: انّ معاویه دسّ إلیها بذلک علی أن یوجّه لها مائه الف درهم ویزوجها من ابنه یزید، فلمّا مات الحسن وفیّ لها معاویه بالمال وقال: إنِّی أحبّ حیاه یزید.(۱)

أرسـل إلیهـا «معـاویه»: «إنی مزوجـک بیزیـد ابنی، علی أن تسـمی زوجک الحسن ابن علی». ووعـدها بمائه ألف درهم فقبلت، وسـمت «الحسن»، فـدفع لها «معاویه» المال ولم یزوجها من «یزیـد» معتـذراً إلیها بأن حیاته غالیه علیه! فخلف علیها رجل من «آل طلحه» فأولدها، فکان إذا وقع بین أولادها وبین بطون قریش کلام، عیروهم وقالوا: یا بنی مسمه الأزواج...(۲)

وانه لصوره قاسیه مؤلمه اذ کیف تمتـد یـد الغـدر الی سـید شـباب اهـل الجنه من زوجته التی اختارهـا لتکون شـریکه حیاته فی سرائها وضـرائها، لکنها باعته بثمن بخس ولعـذاب الآخره أخزی، وهـذه الصوره ترکت اثرا سـلبیا علی الموالین والمعانـدین علی حد سواء!.

أیضاً تأتی مواقف السیده عائشه لتصب فی خط تکمیلی لهذا السلوک فنراها

۱- عبد الحسین أحمد الأمینی النجفی، الغدیر فی الکتاب والسنّه والادب، ج ۱۱، ص ۱۱.

۲- دکتوره عائشه عبد الرحمن، السیده زینب، ص۷۷.

(وهی أم المؤمنین) تخرج علی بغلتها ناهیه عن دفن الامام بجوار جده رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وهو الذی قال فیه:

«من أحب الحسن والحسین فقد احبنی، ومن ابغضهما فقد ابغضنی».(۱)

وهذه کلها مواقف جعلت الرجال والنساء یرزحون تحت طائله جمله من التساؤلات التی لا تنفک عقدتها بسهوله بسبب البطش الاموی والفوضی الفکریه والاجتماعیه التی سادت آنذاک.

والمحصله من ذلک کله ان المرأه المسلمه بدأت تنفصل عن المجتمع وهمومه وشؤونه شیئاً فشیئاً، وغابت عن الأدوار الفاعله المغیّره له، وانعزلت بین جدران البیوت وجدران الوهم والجهل والتخلف، ووجد الرجل ذلک کله یصب فی نفعه العام فاستحوذ علی کل شؤون الحیاه الاجتماعیه والسیاسیه والثقافیه والدینیه الأمر الذی أدّی بالمرأه إلی ان تفقد ثقتها بنفسها شیئاً فشیئاً وتفقد ثقتها بأدوارها ومؤهلاتها وتشعر بالاغتراب عن المجتمع الکبیر بل وتعیش رؤی مشوهه عن دورها فی الحیاه وتری انها کائن تابع لیس أکثر، فأهملت التعلم والتثقف وأهملت بناء شخصیتها بناءً صحیحاً متوازناً وترکت المطالبه بحقوقها حتی أصبحت رکنا منسیا فی المجتمع وشیئا (ولیس الانسان الخلیفه) استوی وجوده وغیابه!.

حتی کان القرن العشرون حیث اخذت العلمانیه الجدیده تنشر أفکارها بین صفوف النساء المسلمات وهن یعشن التخلف والامیه والجهل وتستعبدهن التقالید والعادات البعیده کل البعد عن الاسلام.

۱- سنن ابن ماجه فی فضائل الحسن والحسین , ومسند احمد۲\۲۸۸و۴۴۰ و۵۳۱

الفصل الثانی: نساء الطفوف

اشاره

يمكن الكلام عن نساء الطفوف ضـمن مجموعتين متمايزتين حيث تضم المجموعه الأولى حرائر أهل البيت عليهم السلام ونساء بيت الوحى وهى المجموعه التى هاجرت مع الإمام الحسين عليه السلام من المدينه إلى مكه ثم إلى كربلاء.

وهى ايضا المجموعه التى تعرضت لأقسى التحديات والخطوب، فهى التى عاشت أحداث المعركه فى كربلاء وعاشت أجواءها الساخنه كما ان هـذه المجموعه تمثل ركب السبايا اللائى أُسرن بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام من العراق إلى الشام ورجعن ثانيه الى كربلاء فى الاربعين وبعدها عُدن الى المدينه المنوره.

كما أنها المجموعه التى قامت بالدور الإعلامى الخطير حيث نشرت فكر الثوره وأهدافها فى الامصار والبلاد التى دخلوا إليها.

وعلى رأس هـذه المجموعه تـأتى عقيله بنى هـاشم واللبوه الطالبيه السيده زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام والتى يعود إليها الثقل الكبير من مهام ما بعد الطفوف ومعها:

السيده أم كلثوم بنت أمير المؤمنين.

وفاطمه بنت الامام الحسين بن على.

واختها سكينه بنت الحسين.

والرباب بنت امرؤ القيس الكلبيه أم الرضيع وهى الوحيده من زوجات الحسين عليه السلام التى كانت حاضره فى الواقعه على اختلاف الروايات.

ورمله أم القاسم وزوجه الإمام الحسن المجتبى.

ورقيه بنت الإمام الحسين وكانت طفله صغيره.

وحميده بنت مسلم بن عقيل.

وأخريات غيرهن جئن مع الإمام إلى كربلاء.

أما المجموعه الثانيه فتضم نساء مؤمنات كان حضورهن عرضياً لم يخضع لتنسيق مسبق أو برمجه سابقه.

وهؤلاء النساء شاءت الاقدار ان يكن ناصرات للإمام ومن انصاره وبعضهن كن حاضرات فى أرض الطفوف؛ إذ إن ثلاثه من انصار الإمام كانوا قد جاءوا مع اُسرهم إلى الإمام الحسين عليه السلام وبقوا معه وهم عبد الله بن عمير الكلبى، وجناده بن حرث الانصارى، ومسلم بن عوسجه الأسدى وكان عبد الله بن عمير قد أخذ معه امه وزوجته إلى أرض كربلاء، مضافاً إلى هؤلاء كانت هناك طوعه التى نصرت وآوت مسلم بن عقيل سفير الإمام الحسين عليه السلام وكانت هناك دلهم بنت عمير وام وهب وأُخريات سنمرّ عليهن حينما نستعرض أدوارهن.

ومع نساء الطفوف هؤلاء تلمع اسماء أخرى كأم سلمه (رض) والنساء اللائى اقمن مجالس العزاء فى المدينه ومعهن أيضاً نستحضر صوره أم البنين فاطمه بنت حزام الكلابيه (أم العباس واخوته) على تفاوت ملحوظ فى الروايات بين من يؤكد حياتها عند استشهاد الامام ومن ينفى ذلك.

لماذا حمل الإمام نساءه وعياله إلى كربلاء؟

كان أَمام الإمام الحسين عليه السلام خياران بالنسبه لأسرته، فهو إما ان يحمل عياله ونساءه معه وإما ان يُبقى الجميع ويخرج بمفرده مع أولاده واخوته وباقى الانصار من رجال بنى هاشم. فإذا كان الأمر بأن يتركهم فى مكانهم ويهاجر بنفسه فلا شك فى أن السلطات الأموية ستحاول الاستفاده منهم كورقه ضاغطه على الإمام نفسه كى يسلم نفسه. كما فعل الامويون مع عمرو بن حمق الخزاعى حيث أسروا زوجته لمّا فرّ من ايدى السلطات الاموية الحاقده.

وأيضاً حصلت هذه الحاله مع زوجه المختار التى اعتقلت هى الأخرى لارغام زوجها على الاذعان للسلطه الاموية الحاكمه.

فالامام لم يكن ليأمن على عياله ونسائه لو أبقاهم فى المدينه وخرج ثائرا.. وحتى لو أمن الامام على نسائه وعياله وأبقاهم فى مكانهم وخرج فى طلب الاصلاح فى ثوره يعلم مسبقا ان القوم يطلبونه ولو أمسكوا به فسيقتلونه لا محاله وسُيقتل مع اخوته وابناء عمومته فى أى مكان من الأرض وسيبادون جميعهم(۱) ومن ثم لا يفهم أحد لماذا اصلاً خرج الإمام الحسين عليه السلام للثوره؟ ولماذا لم يبايع؟ وحتماً ستحاول السلطات الأموية التكتم على الأمر واستعمال آليات القتل الصامته بأى شكل من الاشكال وبهذا يضيع دم الحسين عليه السلام وتضيع ثورته ورسالته وهذا المنطق لا يتناسب ايضا مع ماحمله الامام من مطالب صرح بها اكثر من مره كقوله عليه السلام:

۱- فيما قال لها (لأم سلمه): إنّى أعلم اليوم الذى أُقتل فيه والساعه التى أُقتل فيها وأعلم من يقتل من أهل بيتى وأصحابى أتظنين أنك علمت ما لم أعلمه وهل من الموت بد فإن لم أذهب اليوم ذهبت غدا. وقال لأخيه عمر الأطرف: إنّ أبى أخبرنى بأنّ تربتى تكون إلى جنب تربته أتظن أنك تعلم ما لم أعلمه. وقال لأخيه محمد بن الحنفيه شاء الله أن يرانى قتيلاً ويرى النساء سبايا. (المقرم مقتل الحسين ص۱۳۴).

إنی لم اخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وانما خرجت لطلب الإصلاح فی أمه جدی صلی الله علیه وآله وسلم أرید أن آمر بالمعروف وأنهی عن المنکر وأسیر بسیره جدی وأبی علی بن أبی طالب، فمن قبلنی بقبول الحق فالله أولی بالحق ومن رد علیّ هذا اصبر حتی یقضی الله بینی وبین القوم وهو خیر الحاکمین.(۱)

علی هذا یکون الخیار الثانی هو الاقرب لما یصبو الیه الامام من تغییر فی الواقع الاجتماعی والقیمی والانسانی.

ولنا ان نتصور الإمام کقائد ثوره یرید ان یقوم بحرکه واسعه تهز المجتمع کله وتهز الصرح الأموی من جذوره فقد یکون من الشاق علیه ان یسیر مع کوکبه من النساء والصغار والرضع فی سفر طویل. ولو کان سفر استجمام لما خلا من مشقه من جانب المسؤولیات والاعداد والتحضیر لمستلزمات السفر نفسه. فکیف بسفر الثوره التی یخطط لها الامام والتی یقدّر لها ان تکون فی ارض بعیده عن مستقره الحالی؟.

لکن الإمام علیه السلام حمل نساء آل البیت علیهم السلام وحرائرهم.. وهو یعلم بما سیعانیه الجمیع من مشکلات الطریق الطویل والاوضاع الطارئه والتشنجات التی سیتعرض لها الجمیع لا محاله؛ لان هناک تخطیطاً مستقبلیاً للثوره، إذ لا یمکن للإمام علیه السلام ان یکون قد خطط لأوان الثوره والتی قد تقدر بسویعات محدوده فی عمر الزمن ویترک ما بعدها فالمهم نتائج الثوره وما ستفرزه من احداث ووقائع علی ارض الواقع فهو علیه السلام حتماً کان قد خطط لما بعد الثوره فی امتداداتها المتعدده وفی کیفیه التعریف بها وکیفیه تحقیق أهدافها، فاذا کانت نهایه هذه الجوله التضحویه هو الانکسار العسکری فلابد ان یسعی لأن یحقق لها نجاحاً اجتماعیاً وثقافیاً وحضاریاً علی المدی الطویل من الزمان والمکان..

۱- المقرم، عبد الرزاق الموسوی، مقتل الحسین علیه السلام، ص ۱۳۹.

ومن هنا كان الخيار الثانى بأن يأخذ العيال والنساء معه هو الخيار الأكثر تناسباً مع الثوره والأكثر انسجاماً مع ما كان يخطط له الإمام عليه السلام. فالامام عليه السلام ما كان همه الثوره فى وقتها فحسب ولكن كان يهدف إلى تحقيق التواصل الزمنى البعيد المدى لدى الأمه مع الثوره (فى نوع من الامتداد الواعى الشعورى الذى يخترق ايدولوجيات الزمن لكى تبقى نابضه قادره على ضخ الدم النقى المحرك للحياه) وهذا ما حصل فهو إذاً حمل عياله ونساءه لأدوار أُعدوا لها مسبقاً ولمهام مرت صورتها فى عقلهم الواعى والباطن قبل أو ان الثوره.

لقد حمل الامام معه جمله من المبلغات اللائى كانت الواقعه بحاجه إلى خطابهن تماماً كما كانت الثوره بحاجه إلى دمه وتضحيته والى هذا يشير الشيخ مرتضى مطهرى فى كتابه الملحمه الحسينيه «التكتيك التبليغى هو حمله لاهله وعياله وأولاده فى القافله الحسينيه وبهذه الطريقه يكون قد استخدم العدو استخداما غير مباشر من خلال فرض هؤلاء الناس كحربه تبليغيه ورسل دعايه للاسلام الحسينى ضد يزيد»..

ويضيف: أن الإمام استخدم عدداً من المبلغين الذين اخذهم العدو بيده وبإرادته لينفذوا إلى قلب حكومه العدو فى الشام وهو بحد ذاته تكتيك يفوق التصور الاعتيادى».(۱) فالإمام لم يأخذ معه نساء عاديات انما أخذ معه نساء واعيات مؤمنات بثورته وهن ايضا مبلغات يمتلكن ادوات التبليغ السليم لِيُعَرِّفْنَ الناس بالقضيه والثوره وأهدافها واسبابها ويكشفن النقاب عن الوجه الاموى الاسود وليكنَّ سبباً لهزّ الوضع العام وتحريكه وضخ القيم الجديده وتخليد النهضه الحسينيه فى الوجدان الشعبى كل هذه القرون.

ولقد استوقفه كثيرون وحاولوا ثنى الامام عن اخذ النساء معه لكنه أصرَّ على أن

۱- مرتضى مطهرى، الملحمه الحسينيه، ح۱، ص ۲۰۹.

تکون النساء ضمن قافلته وقال له عبد الله بن عباس: فإن عصیتنی وأبیت إلا الخروج إلی الکوفه فلا تخرجن نساءک وولدک معک.(۱)

وقال لأخیه محمد بن الحنفیه: شاء الله أن یرانی قتیلاً ویری النساء سبایا

فلمّا کان فی السّحر ارتحل الحسین علیه السلام فبلغ ذلک ابن الحنفیّه فاتاه فاخذ زمام ناقته التی رکبها فقال له: یا اخی ألم تعدنی النّظر فیما سألتک؟ قال: بلی، قال: فما حداک علی الخروج عاجلاً؟ فقال: أتانی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم بعد ما فارقتک فقال: یا حسین علیه السلام أخرج فانّ الله قد شاء ان یراک قتیلاً فقال له ابن الحنفیه إنّا لله وانّا إلیه راجعون فما معنی حملک هؤلاء النساء معک وأنت تخرج علی مثل هذه الحال؟ قال: فقال له: قد قال لی: إنّ الله قد شاء ان یراهنّ سبایا...(۲)

من ناحیه أخری لو سلمنا بأن الإمام علیه السلام لم یشأ أن یأخذ معه النساء والعیال.. فما هی رده فعل النساء أنفسهن؟ ماذا سیصنعن لو جاءهنّ رسول یخبرهن بمقتل الحسین علیه السلام فی هذه الفلاه الواسعه؟ هل سیکون لهؤلاء النساء دور سوی النواح والبکاء؟. ومن المؤکد ان هذا البکاء سیکون فی المدینه وحدها ولأیام معدوده من الزمن کما حدث مع باقی الأئمه علیهم السلام وینتهی کل شیء!! حینئذ لن یکون للنساء دور فی القضیه أبداً. ولا تبقی للنساء أیه مهام أو مسؤولیات أمام هذه الثوره التی ستستباح فیها کل المقدسات بما فی ذلک المعصوم نفسه.. وستبقی صوره المرأه السلبیه المنزویه عن هموم الامه والتی لا تعیش حتی لذاتها؛ إذ کیف یمکن بناء الذات بمعزل عن الحیاه الاجتماعیه وعن الاهتمام بشؤون المسلمین؟. فهذه الصوره الهامشیه لا تتناسب ابدا مع شخصیه نساء أهل البیت علیهم السلام واللائی عاش

۱- المسعودی، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقیق محمد محی الدین عبد الحمید ، ج۳، ص ۶۵.

۲- ابن طاووس، اللهوف، ص ۶۴.

بعضـهن كثيراً من أوجـاع الامه المسـلمه وبخاصّه بعـد وفاه الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم وأول الاوجاع ظلامه الزهراء عليها السلام.

وهنا لابـد من اشاره وهى ان الامام كان قد اطمأنّ إلى الوعد الالهى بصـيانه هؤلاء المخدرات وبأنهنّ سـيكنّ بعيدات عن الاذى، ونجد ذلك واضحا من خلال وصيته للنساء لما ودعهن وقال: استعدوا للبلاء واعلموا ان الله تعالى حاميكم وحافظكم.(۱)

المرأه اذاً طالبت بالـذهاب مع الامام لنصـرته واسـتعدت للخروج إلى كربلاء قائله: «يا ابن عباس، تشـير على سـيدنا بأن يخلفنا ها هنـا، ويمضـى وحـده لا والله بل نحيا معه، أو نموت.. وهل أبقى الزمان لنا غيره.. لا نفارقه أبـداً حتى يقضـى الله ما هو كائن».(۲) وهى تعرف مـا ينتظرها من ظروف قاسـيه ومهام ثقيله وبهـذا تكاملت الإراده من جانبين؛ فمن جانب أراد الإمام للثوره ان تسـتمر فى اشتعالها وازدياد شرارتها ووضوح معانيها ولا أحد يسهم فى توضيح مفردات الثوره غير هؤلاء النساء، كما سيأتى ضمن الدور الاعلامى. ومن جانب آخر علمت النساء وبخاصه السيده زينب عليها السـلام ان الإمام انطلق إلى نهضه إصـلاحيه كبرى فى أمه جـده صـلى الله عليه وآله وسـلم وفى هذه النهضه الإسـلاميه الاصـلاحيه لابد ان يكون للمرأه محط قدم فى التأثير والبلاغ. وإلى هذا يشير الشيخ عبد الوهاب الكاشى بالقول:

إن الحسين عليه السـلام كان يعرف انه إذا قتل فلا يوجد رجل فى العالم الإسـلامى يمكنه ان يتكلم بشـىء ضد سياسه الأمويين مهما كان عظيماً حيث إنهم قطعوا الألسن وكمّوا الأفواه فكان قتله سـدى وقـد لا يعرف أحـد من المسـلمين ما جرى عليه.. فأراد الحسين عليه السلام ان يحمل معه ألسنه ناطقه بعد قتله لتنشر أنباء تلك

۱- المقرم،مقتل الحسين, ص ۲۷۶.

۲- محمد بحر العلوم، فى رحاب السيده زينب، ص ۱۰۸.

التضحیه فی العالم الإسلامی ومذیاعاً سیاراً یذیع تفاصیل تلک المأساه الإنسانیه والجرائم الوحشیه، فلم یجد سوی تلک المخدرات والعقائل اللواتی سبین وسیرّن بعد الحسین علیه السلام فی رکب فظیع مؤلم یجوب الأقطار یلقین الخطب فی الجماهیر وینشرن الوعی بین المسلمین وینبهن الغافلین ویلفتن أنظار المخدوعین ویفضحن الدعایات المضلله حتی ساد الوعی وتنبه الناس الی فظاعه الجریمه وانهالت الاعتراضات والانتقادات علی یزید والأمویین من کل الفئات والجهات(۱). وهذا بالضبط ما أراده الإمام من خلال حمله للنساء والعیال، وهذا ما حصل أیضاً إذ لولا وجود هذه الثله المبارکه لما تم کشف القناع عن یزید ورفع الستار عن جرائم الأمویّین.

ان وجود المرأه فی مناطق النزاعات غالباً ما یکون عامل تحریک للرأی العام وعامل تعریف بجرائم العدو، ولهذا نجد أنّ الإعلام إذا ما اراد ان یظهر بطش الحاکم وطغیانه فانه یعرض صوراً لنساء معذبات أو مقتولات أو أطفال یبکون ویستصرخون ویصرخون.. صور من الممکن ان تهز الضمیر الاجتماعی وتحدث فیه حرکه باتجاه المطلوب، بمعنی ان وجود المرأه فی النزاعات المسلحه والحروب غالبا مایکون عاملاً لکشف وحشیه العدو ومجازره وبشاعته ولنا ان نستعرض فی ذاکرتنا ما کان یبث من صور عن المعارک التی شهدها القرن المنصرم وبداياته والتی یستخدم فیها مونتاجاً خاصاً لعرض بکاء الامهات وذهول الزوجات وانین البنات. ولهذا اهتزت الکوفه لما جاء رکب الحسین علیه السلام وارتجت لمرأی الأطفال الذین ترتعد فرائصهم واصفرت وجوههم، وماجت للحرائر المخدرات اللواتی ارتسم الحزن علی وجوههن وبان ثقل الدموع فی مآقیهن وازداد الآلم حینما جادت علیهن الکوفیات بالإزر والمقانع وضج الناس بالبکاء والعویل حینما ازیح الستار عن القناع الاموی، فهؤلاء لسن سبایا

۱- الشیخ عبد الوهاب الکاشی، مأساه الحسین بین السائل والمجیب، ص ۸۰.

الخوارج والديلم كما قال ابن زياد انما هن سبايا آل البيت عليهم السلام!!.

على هذا يمكن الإقرار بأن الامام عليه السلام أخذ النساء معه كى يؤدين ادواراً مهمه لنصره الثوره أو بالاحرى كانت ادوار النساء ضمن البرنامج التخطيطى لقائد الثوره الذى لم يكن يفكر بانه سينُهى المواجهه بعدم مبايعته ليزيد، من ثم استشهاده بل لابد من توجيه الأمه إلى قيم جديده وتربويات مطلوبه. ولم يكن لهذه المهمه الصعبه من يؤديها سوى هؤلاء النساء وعلى رأسهن السيده زينب عليها السلام، وهذا يشير إلى ثقته الكامله بأُخته وبأن هؤلاء النساءهن موضع اعتماد وهن قادرات على أداء التكاليف المطلوبه.

وقد ذكر المرحوم كاشف الغطاء: لو قتل الحسين هو وولده، ولم يتعقبه قيام تلك الحرائر فى تلك المقامات بتلك التحديات لما تحقق غرضه وبلغ غايته فى قلب الدوله على يزيد.(۱)

إذن كانت هناك أدوار مهمه ومسؤوليات خطيره ولم يكن هناك من هو قادر على القيام بهذه المهام سوى السيده زينب عليها السلام وباقى نساء أهل البيت. ولو اردنا ان نعرف ما هو التفاوت بين رؤيه الإمام عليه السلام ورؤيه المفكرين المعاصرين من خلال استعراض تجارب الإسلاميين أنفسهم والذين حملوا فكر الإسلام فى وقت صعب وتحديات جسيمه، لكن مشكلتهم انهم لم يفهموا دور المرأه فى الحياه والثوره ولم يحسبوا لها حساباً فى ما قدموه من اطروحات نهضويه حصروا المرأه من خلالها فى زوايا محدده وعزلوها عن شؤون نهضتهم. فعموم الحركات الإسلاميه فى القرن العشرين كانت تقصى المرأه عن جانب اهتماماتها تحت رؤى متعدده منها عدم تصور اهليتها وكفاءتها بل تصوروا ان مكانها بيتها فقط!. ومنها عدم الثقه بها؛ لأنهم كانوا يرونها

۱- حياه الإمام الحسين عليه السلام ۲۹۸ - ۲ : ۲۹۷ - ۲.

عاملاً- من عوامل افشاء الأسرار لا- أكثر وبهذا طغت الهواجس والرؤى السلبيه النابعه من الموروث الاجتماعى على خارطه تفكيرهم، وكم وجدنا قاده مسلمين كباراً ومراجع عظاماً لكن نساءهم لا يفقهن من الحياه شيئاً؛ إذ كانت عقولهن هواء وافئدتهن خواء!. وبهذا عطلوا المرأه عن الوعى والمعرفه والفهم. فكيف تستطيع امرأه لا- يتجاوز تفكيرها جدران بيتها ولا- يطال وعيها المساحات الدينيه الواسعه للحياه ان تنشئ جيلاً إسلامياً سامياً قادراً على أداء ادوار عُلى؟.

بهذا يمكن القول: ان واقعه الطفوف كانت بحاجه إلى تواجد المرأه كى تنجح الثوره، وبحاجه إلى حضور نسائى متميز لا يجزى عنه الرجل أبداً. فمن المعلوم ان الإمام لو اصطحب الكثير من الرجال لأبيدوا بكاملهم وبهذا جاء حمل النساء كدلاله على تخطيط مستقبلى للثوره فيما يمكن ان تؤديه النساء من أدوار تدور ضمن مصلحه الإسلام الكبرى والإيمان بمبادئ الإمام فى الإصلاح والتغيير، فهو إذن اجتياز للدائره المحدده التى تشمل حياه المرأه الخاصه ضمن (حسن التبعل) ولكنها لا تلغى شخصيه المرأه نفسها أو أهدافها الممتده فى الحياه أو مسؤولياتها العديده. وكان الحضور النسائى متميزاً فى نساء عرفن بالعلم والمعرفه والبلاغه والفصاحه والصبر الجميل إلى غير ذلك، وبذلك نجح الرجل (الإمام وانصاره) فى تضحيته كما نجحت المرأه «زينب عليها السلام» فى التبليغ والإعلام الموجه، ولم تكن الأدوار التقليديه للنساء كالأمومه والزوجيه عائقاً أمام تحقيق نجاح أوسع ضمن دائره الأهداف العامه ابدا بل كانت هذه الادوار سبباً لاضفاء مزيد من الحزن والتفجع على ما جرى فى الطفوف، فهؤلاء النساء قدمن الغالى والنفيس بل ضحين بالولد والاخ والزوج لنصره الثوره فى زمن تقاعس فيه الاشاوس من الرجال عن نصره الامام الذى كانوا يسمعون استغاثته!. وبهذا تحولت الأدوار التقليديه التى تضجر منها المرأه المعاصره إلى أدوار رساليه ومحطات انطلاق لرسم هويه ثائره للمرأه المسلمه فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

أدوار النساء فی ملحمه الطفوف

اشاره

کان لنساء الطفوف ضـمن المجموعتین اللتین عرضناهما أدوارٌ متعدده ظهر بعضها قبل الواقعه وبعضها فی أثنائها وبعدها. وکانت الأدوار النسائیه واضحه متمیزه رغم ان عدد النساء اللائی یدخلن ضمن المجموعتین کان معدوداً ومحدوداً أیضاً.

اما أهم الأدوار النسائیه فی الواقعه فهی:

۱ . دور نصره الثوره.

۲ . دور المتابعه والحمایه.

۳ . الدور القیمّی.

۴ . الدور الاعلامی.

۵ . روایه المقتل الحسینی.

۶ . اعلان الحداد العام.

۱ – دور نصره الثوره ودعمها بشتی الوسائل

ألف – دور حرائر أهل البیت فی نصره الإمام الحسین علیه السلام ونصره ثورته

وهذا ما نلمسه من خلال اصـرارهن علی المجیء مع الإمام علیه السلام إلی کربلاء ومتابعه شؤون هذا السفر الطویل وهو ما سنمر علیه فی تشعبات مستقبلیه.

لکن العجیب ان الإمام علیه السـلام لما خرج من المدینه لم یکن معه سوی عشـیرته! ونفس الشیء حصل لما خرج من مکه!، لم یکن هناک الموالون الـذین کان یُتوقع ان یـذهبوا معه!، وقد بقی الناس فی أماکنهم حتی لما جاءهم خبر عزمه علی الذهاب الی کربلاء فیما بعد فلِمَ لم یتبعوه؟ وهذا أمر یثیر التساؤل اذ یری بعض کتاب

التاريخ ان مقوله الإمام عليه السلام لبعض من نهوه عن حمل النساء معه (شاء الله ان يراهن سبايا) انها كانت اعلانا عن ما ينتظرهم من تحديات ومنعطفات صعبه فهو سيقتل وهؤلاء النساء سيتم اسرهن، إذن الأمر يحتاج إلى نصره.. وكأنه قدم رساله لهم ان الحال هذه فلو نصرتمونا ونصرتم نساء بيت الوحى لكان خيراً لكم، ولكن لم يفهم الناس هذه الرساله وقتها أو ربما لم يريدوا فهمها او انهم فهموها فقدموا لانفسهم الاعذار فبقوا فى ديارهم قاعدين!. وبعد ان استشهد الإمام عليه السلام عضوا أصابعهم من الندم!

جاء فى المقتل الحسينى:

ولما استقر المجلس بأبى عبد الله حمد الله وأثنى عليه وقال: يا ابن الحر ان أهل مصركم كتبوا إلى انهم مجتمعون على نصرتى وسألونى القدوم عليهم وليس الأمر على ما زعموا، وان عليك ذنوباً كثيره، فهل لك من توبه تمحو بها ذنوبك؟

قال: وما هى يا ابن رسول الله؟، فقال: تنصر ابن بنت نبيك وتقاتل معه.

فقال ابن الحر: والله انى لأعلم ان من شايعك كان السعيد فى الآخره ولكن ما عسى ان اغنى عنك، ولم اخلف لك بالكوفه ناصراً، فانشدك الله ان تحملنى على هذه الخطه، فان نفسى لا تسمح بالموت! ولكن فرسى هذه «الملحقه» والله ما طلبت عليها شيئاً قط إلا لحقته ولا طلبنى أحد وأنا عليها إلا سبقته فخذها فهى لك.

قال الحسين: أما اذا رغبت بنفسك عنا فلا حاجه لنا فى فرسك ولا فيك وما كنت متخذ المضلين عضدا وإنى أنصحك كما نصحتنى، ان استطعت أن لا تسمع صراخنا، ولا تشهد وقعتنا فافعل، فوالله لا يسمع واعيتنا أحد ولا ينصرنا إلا اكبه الله فى نار جهنم.

وندم ابن الحر على ما فاته من نصره الحسين عليه السلام فأنشأ:

أيا لک حسره ما دمت حيّاً

تردَّد بين صدری والتراقی

غداهَ يقول لی بالقصر قولا

أتتركنا وتعزم بالفراق

حسين حين يطلب بذل نصری

علی أهل العداوه والشقاق

فلو فلق التَّلهُّف قلب حرٍّ

لهمَّ اليوم قلبی بانفلاق

ولو واسيته يوماً بنفسی

لنلت كرامهً يوم التَّلاق

مع ابن محمد تفديه نفسی

فودع ثم أسرع بانطلاق

لقد فاز الأولی نصروا حسيناً

وخاب الآخرون ذوو النفاق(۱)

لقد كانت هذه فرصه للكثير لتحصيل أعلی درجات الحياه الآخره ولكنها لم تجد اذناً واعيه!.

وبذلک تقدمت هؤلاء النساء العظيمات دون ان يبدين أی تردد أو تلكؤ لنصره الإمام ومعهن أولادهن. والسيده زينب عليها السلام وزوجها عبد الله بن جعفر بن أبی طالب والذی كان مريضاً لكنه ارسل أولاده مع خالهم إلی معترک النضال. وأم البنين (علی اختلاف الروايات فی عمرها وفی زمن وفاتها) والتی ارسلت أولادها الأربعه ومنهم العباس حامل رايه الإمام ورمله زوجه الامام الحسن المجتبی عليه السلام والتی جندت ولدها القاسم لنصره الامامه.

باء – دلهم بنت عمير

وهی زوجه زهیر بن القین وکانت امرأه صالحه وکانت معه فی سفره وکان زهیر عثمانی الهوی مما جعله یتحاشی الامام فی المسیر. یقول السید ابن طاووس:

۱- المقرم، عبد الرزاق الموسوی، مقتل الحسین علیه السلام، ص ۱۹۰.

... ثمّ سار (علیه السلام) فحدّث جماعه من بنی فزاره وبجیله قالوا: کنّا مع زهیر ابن القین لمّا اقبلنا من مکّه فکنّا نسائر الحسین علیه السلام حتّی لحقناه فکان إذا أراد النّزول اعتزلناه فنزلنا ناحیه فلمّا کان فی بعض الأیّام نزل فی مکان لم نجد بداً من أن ننازله فیه فبینا نحن نتغدّی من طعام لنا إذ اقبل رسول الحسین علیه السلام حتّی سلّم ثمّ قال: یا زهیر بن القین إنّ أبا عبد الله الحسین علیه السلام بعثنی إلیک لتأتیه فطرح کلّ إنسان منّا ما فی یده حتّی کأنّ علی رؤوسنا الطیر فقالت له زوجته وهی دیلم بنت عمرو:

سبحان الله أیبعث إلیک ابن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ثم لا تأتیه؟ فلو اتیته فسمعت من کلامه فمضی إلیه زهیر بن القین فما لبث أن جاء مستبشراً قد اشرق وجهه فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فحوّل إلی الحسین علیه السلام وقال لامرأته أنت طالق فانّی لا أحبّ ان یصیبک بسببی إلا خیر وقد عزمت علی صحبه الحسین علیه السلام لافدیه بنفسی وأقیه بروحی ثمّ أعطاها مالها وسلّمها إلی بعض بنی عمّها لیوصلها إلی أهلها فقامت إلیه وبکت وودّعته وقالت کان الله عوناً ومعیناً خار الله لک اسألک ان تذکرنی فی القیامه عند جدّ الحسین علیه السلام فقال لاصحابه من أحبّ أن یصحبنی وإلا فهو آخر العهد منّی به.(۱)

ویفرح زهیر بولائه للإمام بقوله لعزره الذی ارسله ابن سعد نحو الحسین علیه السلام: یا عزره، إن الله قد زکاها وهداها فاتّقِ الله یا عزره فانی لک من الناصحین، أنشدک الله یا عزره أن لا تکون ممن یعین أهل الضلاله علی قتل النفوس الزکیه.

ثم قال عزره: یا زهیر ما کنت عندنا من شیعه أهل هذا البیت إنما کنت علی غیر رأیهم قال زهیر: أفلست تستدل بموقفی هذا أنی منهم أما والله ما کتبت إلیه کتاباً قط

۱- السید الجلیل ابن طاوس، اللهوف علی قتلی الطفوف، ص ۷۱ - ۷۳.

ولا- أرسلت إليه رسولاً- ولا- وعدته نصرتی ولکن الطریق جمع بینی وبینه فلما رأیته ذکرت به رسول الله ومکانه منه وعرفت ما یقدم علیه عدوه فرأیت أن أنصره وأن أکون من حزبه واجعل نفسی دون نفسه لما ضیعتم من حق رسوله.

زهیر الذی کان یتحاشی الامام الحسین تراه یقف مدافعا عنه امام القوم حیث یدعوه الناس للتخلی عن النصره فی حین یقول: والله وددت انی قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتی اقتل کذا الف مره، وان الله عز وجل یدفع بذلک القتل عن نفسک وعن انفس هؤلاء الفتیان من أهل بیتک.(۱)

ونال زهیر وسام الشهاده وبقی اسمه خالداً مع الشهداء ومع انصار الحسین علیه السلام ولزوجته المؤمنه المواليه الاثر الکبیر فی ذلک فهی التی کانت تحثه علی لقاء الإمام الحسین علیه السلام وهی التی کانت تعاتبه حینما کان معرضا عنه فی المسیر. فالمرأه الصالحه هی التی تدفع زوجها لتحصیل الجنان رغم ان الأمر لیس بالهین أبداً. فأواصر الحب الزوجی تبقی قویه یشوبها حرص اقوی علی الشریک وخوف من الفقدان والفراق لکن کل العلاقات تذوب وتتسامی امام نصره الدین والعقیده، فکیف تسامت هذه المرأه لتجعل اراده الله فوق اراده قلبها ولتعود إلی قومها بمفردها ترکه الزوج الحبیب یحث الخطی نحو مذبح الشهاده. ولما ودعته قالت له: کان الله عوناً ومعیناً خار الله لک أسألک ان تذکرنی فی القیامه عند جدّ الحسین علیه السلام.

وبهذه الکلمات القصار تکشف عن ایمانها العمیق بالله وعن ولائها لاهل البیت علیهم السلام.. انه قلبها الذی قال لها انه الفراق الأبدی والموعد الدار الآخره ورغم ذلک زفت زوجها الی میدان الحرب فاستحقت الأجر العظیم والخلود فی ذمه التاریخ.

۱- المقرم، ۲۱۴.

جیم – دور طوعه فی نصره مسلم بن عقیل سفیر الإمام الحسین علیه السلام

طوعه یقال لها أم ولد کانت للاشعث بن قیس فاعتقها وتزوجها اسید الحضرمی فولدت له بلالا، کان مع الناس، وامه واقفه علی الباب تنتظره وقف مسلم علی باب البیت والحیره تسیطر علی مشاعره، والخجل یحوط شفتیه، طلب الماء منها، جاءته بالماء، شرب ثمّ جلس علی باب الدار لا یدری أین یتوجّه؟ أثار وضعه الحائر، وسیماء الغربه علیه، وجلوسه عند باب البیت، انتباه طوعه، فراحت تتساءل، ألم تشرب الماء؟ إذن لِمَ لا تنصرف؟ فأجاب: انّه غریب لیس له دار، ولا أهل فی هذا البلد، ثمّ عرفها بنفسه: (أنا مسلم بن عقیل بن أبی طالب سفیر الحسین، ورسوله إلی الکوفه وابن عمه). فتحت له باب البیت ثمّ أدخلته فاختبأ لیقضی لیلته، وینظر ماذا سیکون الغد.(۱)

استضافها فأضافته بعد ان عرَّفها انه لیس له فی المصر أهل ولا عشیره وأنه من أهل بیت لهم الشفاعه یوم الحساب فأدخلته بیتاً غیر الذی یأوی إلیه ابنها وعرضت علیه الطعام فأبی وانکر ابنها کثره الدخول والخروج لذلک البیت فاستخبرها فلم تخبره إلا بعد ان حلف لها کتمان الأمر.

وعند الصباح اعلم ابن زیاد بمکان مسلم فأرسل ابن الأشعث فی سبعین مع قیس لیقبض علیه، ولما سمع مسلم وقع حوافر الخیل عرف انه قد أُتی(۲) فعجل دعاءه الذی کان مشغولاً به بعد صلاه الصبح ثم لبس لامته وقال لطوعه: قد أدیت ما علیک من البر واخذت نصیبک من شفاعه رسول الله ولقد رأیت البارحه عمی أمیر المؤمنین فی المنام وهو یقول لی: أنت معی غداً.(۳)

۱- ذکر هذه الأحداث الطبری، تاریخ الأمم والملوک، ج ۴، ص ۲۷۷ و۲۷۸.

۲- المقاتل لأبی الفرج وتاریخ الطبری، ج۱، ص ۲۱۰، ومقتل الخوارزمی، ج ۱، ص ۲۰۸، فصل ۱۰.

۳- نفس المهموم، ص ۵۶.

والعجب انه ليس هناك بيت يؤوى مسلماً فى الكوفه كلها!! فالشيعه الخُلص كانوا فى السجون وباقى الناس اقعدهم الخوف واغراهم المال عن النصره ولما استبدت الحيره بمسلم لم يجد خيارا سوى ان يقف بجوار بيت لا يعلم من هم اصحابه! فتكون هذه المرأه المواليه هى الناصره له وهى المضيفه له. ولكن ابنها الذى آثر الدنيا هو الذى يشى بمسلم ويرسل خبره إلى ابن زياد ويكون سبباً للايقاع به.

عجباً لهذه المرأه العظيمه التى لم يداخلها الخوف الذى جثم على قلوب الناس فأبوا ان يضيفوا من دعوه الى بيوتهم ومن وعدوه بالنصره!! لكن الموقف يشير الى قوه التفكير وإلى دعم قوى للرساله رغم خطوره المرحله.

دال – دور ام وهب فى نصره آل البيت عليهم السلام

وهى زوجه عبد الله بن عمير الكلبى المكنى بأبى وهب جاء فى المقتل:

فلما اخذت زوجته ام وهب بنت عبد الله من النمر بن قاسط، عموداً واقبلت نحوه تقول له: فداك ابى وأمى قاتل دون الطيبين ذريه محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأراد ان يردها إلى الخيمه فلم تطاوعه وأخذت تجاذبه ثوبه وتقول: لن ادعك دون ان اموت معك فناداها الحسين: جزيتم عن أهل بيت نبيكم خيراً إرجعى إلى الخيمه فانه ليس على النساء قتال فرجعت.(۱)

وحمل الشمر فى جماعه من اصحابه على ميسره الحسين فثبتوا لهم حتى كشفوهم وفيها قاتل عبد الله بن عمير الكلبى فقتل تسعه عشر فارساً واثنى عشر راجلاً وشد عليه هانى بن ثبيت الحضرمى فقطع يده اليمنى وقطع بكر بن حى ساقه.

فأخذ أسيراً وقتل صبراً، فمشت اليه زوجته ام وهب وجلست عند رأسه تمسح الدم عنه وتقول: هنيئاً لك الجنه اسأل الله الذى رزقك الجنه ان يصحبنى معك فقال

۱- الطبرى، ج ۱، ص ۲۴۵؛ وابن الاثير، ج ۴، ص ۳۷.

الشمر لغلامه رستم: اضرب رأسها بالعمود فشدخه وماتت مكانها وهى أول امرأه قتلت من أصحاب الحسين.(۱)

ويضيف المقرم فى المقتل قائلا:

وقطع رأسه ورمى به إلى جهه الحسين فأخذته امه ومسحت الدم عنه ثم أخذت عمود خيمه وبرزت إلى الأعداء فردها الحسين وقال: ارجعى رحمك الله فقد وضع عنك الجهاد فرجعت وهى تقول: اللهم لا تقطع رجائى فقال الحسين: لا يقطع الله رجاءك.(۲)

وهنا لابد من تأمل صغير فقد كانت هذه المرأه حاضره مع زوجها فى كربلاء وقد همت بان تقاتل دفاعاً عن الحسين عليه السلام لكن الإمام لم يسمح لها بالقتال، فما على المرأه من قتال، لكن الشهاده كانت مذخوره لها فإذا بها المرأه الوحيده التى قتلت مع أصحاب الإمام الحسين عليه السلام!. يالعظمه النساء يقتل الزوج والولد وتبقى تقاتل الرجال دفاعا عن ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!.

ولا أدرى لماذا اصطحب ابو وهب زوجته وامه إلى أرض المعركه وهو يعرف ان قتالاً حامياً سيدور وقد جاء لنصره الإمام وارجح الظن انه لما سمع ان الحسين عليه السلام جاء بعياله ونسائه إلى كربلاء اخذ هو أيضاً عائلته معه كى تكون إلى جوار حرائر الوحى فى ذلك الوقت العصيب، وما أكثر الآفلين فى موقع الخطوب! وما أكثر الأصدقاء الذين يفرون بعيداً حين تقع النائبات!.

وما أكثر الأخوان حين تعدهم

ولكنهم فى النائبات قليل

۱- الطبرى، ج۶، ص۲۵۱، وفى مسند أحمد ج۲، ص ۱۰۰، طبعه أولى عن ابن عمر: مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى غزاه غزاها بامرأه مقتوله فنهى عن قتل النساء والصبيان.
۲- المقرم , مقتل الحسين ص۲۴۲.

هاء – ام عمرو بن جناده الانصاری

جاء فی المقتل الحسینی:

وجاء عمرو بن جناده الانصاری بعد أن قتل ابوه وهو ابن إحدی عشره سنه یستأذن الحسین فأبی وقال: هذا غلام قتل أبوه فی الحمله الأولی ولعل أمه تکره ذلک قال الغلام: ان أمی امرتنی فإذن له فما أسرع أن قتل ورمی برأسه إلی جهه الحسین فأخذته امه ومسحت الدم عنه وضربت به رجلًا قریباً منها فمات وعادت إلی المخیم فأخذت عموداً وقیل سیفاً وانشأت:

إنّی عجوز فی النسا ضعیفه

خاویه بالیه نحیفه

اضربکم بضربه عنیفه

دون بنی فاطمه الشریفه

فردها الحسین إلی الخیمه بعد أن أصابت بالعمود رجلین.(۱)

واو– دور ماریه بنت منقذ العبدی

وهی «ماریه» أبنه سعد أو منقذ علی اختلاف الروایات وهی من الشیعه المخلصین ودارها مألف لهم یتحدثون فیه فضل أهل البیت وقد قتل زوجها وأولادها یوم الجمل مع أمیر المؤمنین علیه السلام. ولما بلغها أن الحسین علیه السلام کاتب أشراف أهل البصره ودعاهم إلی نصرته جاءت وجلست بباب مجلسها وجعلت تبکی. حتی علا صراخها فقام الناس فی وجهها وقالوا لها: ما عندک ومن أغضبک؟ قالت: ویلکم. ما أغضبنی أحد. ولکن أنا امرأه ما أصنع. ویلکم سمعت أن الحسین ابن بنت نبیّکم استنصرکم وأنتم لا تنصرونه. فأخذوا یعتذرون منها لعدم السلاح والراحله. فقالت: أهذا الذی یمنعکم؟ قالوا: نعم؛ فالتفتت إلی جاریتها وقالت لها: انطلقی إلی

۱- المقرم، ص ۲۵۳.

الحجره وآتینی بالکیس الفلانی، فانطلقت الجاریه وأقبلت بالکیس إلی مولاتها. فاخذت مولاتها الکیس وصبته وإذا هو دنانیر ودراهم. وقالت: فلیأخذ کل رجل منکم ما یحتاجه وینطلق إلی نصره سیدی ومولای الحسین.

قال الراوی: فقام عبد الله الفقعسی وهو یبکی - وکان عنده أحد عشر ولداً - فقاموا فی وجهه وقالوا: إلی أین ترید؟

قال: إلی نصره ابن بنت رسول الله. ثم التفت إلی من حضر وقال: ویلکم هذه إمرأه أخذتها الحمیه وأنتم جلوس؟ ما عذرکم عند جده رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یوم القیامه؟.

قال: ثم خرج من عندها وتبعه من ولده أربعه فأقبلوا یجدون السیر. حتی استخبروا بأن الحسین علیه السلام ورد کربلاء. فجاء الشیخ بأولاده إلی کربلاء ورزقوا الشهاده.

وفی روایه اخری انها لما قالت کلمتها قال یزید بن نبیط وهو من عبد القیس لأولاده وهم عشره: أیکم یخرج معی؟ فانتدب منهم اثنان عبد الله وعبید الله، وقال له أصحابه فی بیت تلک المرأه نخاف علیک أصحاب ابن زیاد، قال: والله لو استوت اخفاقها بالجدد لهان علی طلب من طلبنی(۱) وصحبه مولاه عامر وسیف بن مالک والادهم بن أمیه((۲) فوافوا الحسین بمکه وضموا رحالهم إلی رحله حتی وردوا کربلاء وقتلوا معه.(۳)

وقد ذکر ابن الأثیر هذا الاجتماع وسجّله فی کتابه الکامل فی التاریخ:

۱- تاریخ الطبری، ج۱، ص ۱۹۸.

۲- المقرم عن- ذخیره الدارین، ص ۲۲۴.

۳- عبد الرزاق الموسوی المقرم، مقتل الحسین، ص ۱۴۴.

(واجتمع ناس من الشیعه بالبصره فی منزل امرأه من عبد القیس یقال لها ماریه بنت سعده وکانت تتشیّع، وکان منزلها لهم مألفاً(۱) یتحدّثون فیه، فعزم یزید بن نبیط علی الخروج إلی الحسین علیه السلام، وهو من عبد القیس، وکان له بنون عشره، فقال لهم: أیکم یخرج معی؟ فخرج معه ابنان له: عبد الله وعبید الله، فساروا فقدموا علیه بمکّه ثمّ ساروا معه فقتلوا معه).(۲)

زاء – دور النساء النادبات علی الإمام علیه السلام فی منع تعیین عمر بن سعد والیاً علی الکوفه

ذکر صاحب المقتل الحسینی:

وکان من صنع المختار معه (مع عمر بن سعد) انه لما أعطاه الامان استأجر نساء یبکین علی الحسین ویجلسن علی باب دار عمر بن سعد، وکان هذا الفعل یلفت نظر الماره إلی ان صاحب هذه الدار قاتل سید شباب أهل الجنه، فضجر ابن سعد من ذلک وکلم المختار فی رفعهن عن باب داره، فقال المختار: ألا یستحق الحسین البکاء علیه(۳)، ولما اراد أهل الکوفه ان یؤمروا علیهم عمر بن سعد بعد موت یزید بن معاویه لینظروا فی امرهم جاءت نساء همدان وربیعه، إلی الجامع الأعظم صارخات یقلن ما رضی ابن سعد بقتل الحسین حتی اراد ان یتأمر فبکی الناس واعرضوا عنه.(۴)

۱- مألفاً: مقرّاً للاجتماع.

۲- المقرم ,مقتل الحسین ص۱۴۴ نقلا عن الطبری، تاریخ الأمم والملوک، ج ۴، ص ۲۶۳؛ وابن الأثیر، الکامل فی التاریخ، ج ۴، ص ۲۱.

۳- العقد الفرید، باب نهضه المختار.

۴- المقرم ص۲۰۶ نقلا عن مروج الذهب، ج۲، ص ۱۰۵، فی اخبار یزید.

حاء – ام سلمه تبكى الإمام عليه السلام

رأت أم سلمه(۱) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام أشعث مغبراً وعلى رأسه التراب.

فقالت له: يا رسول الله ما لى أراك أشعث مغبراً؟ قال: قتل ولدى الحسين وما زلت أحفر القبور له ولأصحابه(۲)، فانتبهت فزعه ونظرت إلى القاروره التى فيها تراب أرض كربلاء فإذا به يفور دما(۳) وهو الذى دفعه النبى صلى الله عليه وآله وسلم إليها وأمرها أن تحتفظ به وزاد على ذلك سماعها فى جوف الليل هاتفاً ينعى الحسين عليه السلام فيقول:

۱- المقرم ص ۲۹۰ نقلا عن ابن الأثير فى الكامل ج ۲ ص ۳۸: يستقيم هذا بناء على وفاتها بعد الخمسين، وفى الاصابه ج ۴، ص ۴۶۰ بترجمتها عن ابن حبان ماتت ام سلمه سنه ۶۱، وقال أبو نعيم: ماتت سنه ۶۲ وهى آخر امهات المؤمنين، وعند الواقدى: ماتت سنه ۵۹ وفى تهذيب الاسماء للنووى ج ۲، ص ۳۶۲ عن احمد بن ابى خيثمه: ماتت فى ولايه يزيد بن معاويه وفى مرآه الجنان لليافعى ج ۱، ص ۱۳۷: توفيت ام سلمه ام المؤمنين سنه ۶۱، وابن كثير فى البدايه وان تبع الواقدى الا انه قال الأحاديث المتقدمه فى مقتل الحسين تدل على انها عاشت إلى ما بعد مقتله، وفى عمده القارى للعينى شرح البخارى ج ۱، ص ۴۲۷ آخر بحث القنوت: ان ام سلمه ماتت فى شوال سنه تسع وخمسين وفى تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ۱، ص ۳۴۱: عن الواقدى ماتت ام سلمه قبل مقتل الحسين بثلاث سنين ولكن فى اصول الكافى عن أهل البيت: ان الحسين اودعها ذخائر الامامه واوصاها ان تدفعها إلى زين العابدين عليه السلام وفى سير اعلام النبلاء للذهبى ج ۲، ص ۱۴۲: ام سلمه زوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آخر من مات من امهات المؤمنين، عمرت حتى بلغها مقتل الحسين الشهيد فوجمت لذلك وغشى عليها وحزنت عليه كثيراً ولم تلبث بعده إلا يسيراً وانتقلت إلى الله تعالى.

۲- امالى الشيخ الطوسى ص ۵۶، وفى تهذيب التهذيب ج ۲، ص ۱۳۹؛ وسير اعلام النبلاء للذهبى ج ۲، ص ۲۱۳: ان ام سلمه رأت رسول الله فى المنام واخبرها بقتل الحسين عليه السلام.

۳- المقرم نقلا عن كامل ابن الأثير ج ۴، ص ۳۸؛ ومقتل الخوارزمى ج ۲، ص ۹۵.

أيها القاتلون جهلًا حسيناً

أبشروا بالعذاب والتنكيل

قد لعنتم على لسان ابن داود

وموسى وصاحب الانجيل

كلُّ أهل السماء يدعو عليكم

من نبيٍّ ومرسل وقتيل(۱)

وكانت تسمع فى جوف الليل أصوات نعى الحسين ولم تر أحداً فمن ذلك:

ألا يا عينُ فاحتفلى بجهدٍ

ومَنْ يبكى على الشهداء بعدى

على رهط تقودهُمُ المنايا

إلى متجبرٍ فى ملك عبدِ(۲)

ولما سمع ابن عباس بكاءها أسرع إليها يسألها الخبر فأعلمته بأن ما فى القارورتين يفور دماً.(۳)

وفى أصول الكافى أن الإمام الحسين عليه السلام كان قد أودعها ذخائر الإمامه وأوصاها ان تدفعها إلى الإمام زين العابدين عليه السلام.

۹- ومما نضيفه هنا ان الإمام حينما اعطى الرخصه ليلًا لأصحابه كى يذهبوا عنه متسترين بهذا الليل كانت النساء قد سمعن الكلام، هؤلاء النساء اللاتى جئن مع اسرهن مثل أسره عبد الله بن عمير الكلبى، وجناده بن حرث الانصارى، ومسلم بن عوسجه الأسدى وغيرهم ولكن واحده منهم لم تطلب الرحيل ولم تعلن ذلك أبداً بل بقين مع الرجال الى جنب الامام عليه السلام وهذه مكرمه عظيمه لهؤلاء النساء القويات فى الدين والقويات فى الاراده.

۱- المقرم ص۲۹۱ نقلا عن تاريخ ابن عساكر ج۴، ص ۳۴۱؛ وفى تاج العروس ج۲، ص ۱۰۳؛ ذكر البيت الأول والثالث وفى روايته لعجزه »من نبى ومالك ورسول«.

۲- تاريخ ابن عساكر ج۴، ص ۳۴۱

۳- حدیث القارورتین فی معالم الزلفی ص ۹۱ باب ۴۹؛ ومدینه المعاجز ص ۲۴۴؛ باب ۴۹: کلاهما للسید هاشم البحرانی.

طاء – مجالس العزاء

وقد اقيمت فى الشام حينما كانت السبايا هناك وأيضاً فى كربلاء بعد عودتهن إليها فى الاربعين وفى المدينه قبل وصول السبايا وبعده.

ومازالت مجالس العزاء حتى يومنا الحاضر تقيمها النساء المواليات النادبات للامام وهنّ الصوره الحاضره لنساء الطفوف.

٢ – دور المتابعه والحمايه

يكاد يكون هذا الدور خاصا بالسيده زينب عليها السلام بوصفها مَنْ تولت أمور العيال بعد استشهاد اخيها عليه السلام ومرض الامام زين العابدين عليه السلام، ولنا ان نتصور ثقل المسؤوليه التى حملتها السيده زينب فى هذا السفر الطويل الذى بدأ منذ خروج الامام عليه السلام من المدينه حتى عوده الركب إليها فى شهر ربيع الاول وقد كانت مهمه جسيمه فى وقت عصيب ومشحون بالتوترات وعدم الاستقرار فى مكان واحد مع وجود الاعداء والحاقدين والشامتين .. وفى مسير مفعم بالحزن وبخاصه بعد استشهاد الامام وبدء رحله السبى حيث يذكر المؤرخون انه كان فى موكب السبايا ما يقارب العشرين امرأه واكثر من هذا العدد من الاطفال ومع قطع الرؤوس وحملها على الرماح امام موكب السبايا وذهول الامهات وأنين الزوجات والبنات وفى نفس الوقت رعايه المريض فقدكانت مهام قاسيه وثقيله ايضا.

وتعنى مهمه المتابعه أو الحمايه رعايه شؤون المرضى من النساء والأطفال وحمايه الاطفال وتسليه النساء وإبقاء الصوره الحسينيه فى اطار الصلابه وعدم الخنوع أو نسيان العزه والكرامه.. ومن هذه الاشاره يمكن ادراك صلابه السيده وسعه صدرها ومتانه البنيان الروحى عندها وحجم ايمانها بالثوره..

وسنمر على بعض المواقف التى توجهنا نحو الصوره بشكل سريع، واهمها:

۱ . متابعه شأن الإمام الحسين عليه السلام نفسه حتى استشهاده، ونرى ذلك بوضوح فى طول المسيره التى كانت فيها معه ونورد هنا بعض المواقف الأساسيه:

أ- موقف السيده زينب عليها السلام فى استعلام نوايا أصحاب الإمام عليه السلام.

جاء فى المقتل:

ثم دخل الحسين خيمه زينب ووقف نافع بإزاء الخيمه ينتظره فسمع زينب تقول له: هل استعلمت من أصحابك نياتهم فانى أخشى ان يسلموك عند الوثبه.

فقال لها: والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلا الاشوش الاقعس يستأنسون بالمنيه دونى استيناس الطفل إلى محالب أمه.

قال نافع: فلما سمعت هذا منه بكيت وأتيت حبيب بن مظاهر وحكيت ما سمعت منه ومن اخته زينب.

قال حبيب: والله لولا انتظار أمره لعاجلتهم بسيفى هذه الليله، قلت: إنى خلفته عند أخته وأظن النساء أفقن وشاركنها فى الحسره فهل لك ان تجمع اصحابك وتواجهوهن بكلام يطيب قلوبهن فقام حبيب ونادى: يا أصحاب الحميه وليوث الكريهه، فتطالعوا من مضاربهم كالأسود الضاريه فقال لبنى هاشم: ارجعوا إلى مقركم لا سهرت عيونكم.

ثم التفت إلى أصحابه وحكى لهم ما شاهده ، فقالوا بأجمعهم والله الذى منَّ علينا بهذا الموقف لولا انتظار أمره لعاجلناهم بسيوفنا الساعه! فطبْ نفساً وقرَّ عيناً فجزّاهم خيراً.

وقال هلموا معى لنواجه النسوه ونطيب خاطرهن فجاء حبيب ومعه أصحابه وصاح: يا معشر حرائر رسول الله هذه صوارم فتيانكم آلوا ألا يغمدوها إلا فى رقاب

من يريد السوء فيكم وهذه أسنه غلمانكم اقسموا ألا يركزوها إلا فى صدور من يفرق ناديكم.

فخرجن النساء إليهم ببكاء وعويل وقلن: ايها الطيبون حاموا عن بنات رسول الله وحرائر أمير المؤمنين.

فضج القوم بالبكاء حتى كأن الأرض تميد بهم.(۱)

ب - كانت متابعه لشؤون أخيها

وذلك حسبما نقله المقرم فى المقتل:

قال على بن الحسين:

سمعت أبى فى الليله التى قتل فى صبيحتها يقول وهو يصلح سيفه:

يا دهر أفٍّ لك من خليل

كم لك بالاشراق والاصيل

مِنْ صاحب وطالب قتيل

والدهر لا يقنع بالبديل

وانّما الأمر إلى الجليل

وكل حىٍّ سالك سبيل

فأعادها مرتين أو ثلاثاً ففهمتها وعرفت ما أراد وخنقتنى العبره ولزمت السكوت وعلمت ان البلاء قد نزل.

وأما عمتى زينب لما سمعت ذلك وثبت تجرُّ ذيلها حتى انتهت إليه وقالت: واثكلاه ليت الموت اعدمنى الحياه! اليوم ماتت أمى فاطمه وأبى على وأخى الحسن، يا خليفه الماضى وثمال الباقى فعزاها الحسين وصبَّرها وفيما قال: يا أختاه تعزّى بعزاء الله واعلمى ان أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون وكل شىء هالك الا وجهه، ولى ولكل مسلم برسول الله أسوه حسنه.

۱- المقرم ص۲۱۹ نقلاعن الدمعه الساكبه، ص۳۲۵.

فقالت علیها السلام: أفتغصب نفسک اغتصاباً فذاک أقرح لقلبی وأشد علی نفسی.

وبکت النسوه معها ولطمن الخدود وصاحت أم کلثوم وامحمده واعلیاه واأماه واحسیناه واضیعتنا بعدک؟!

فقال الحسین: یا اختاه یا ام کلثوم یا فاطمه یا رباب انظرْنَ إذا قتلت فلا تشققن علیّ جیباً ولا تخمشن وجهاً ولا تقلن هجراً.(۱)

۲ - حمایه الإمام زین العابدین علیه السلام وقد کان مریضاً فی أثناء المعرکه وقد همَّ الأمویون بقتله غیر أنّ زینب علیها السلام کانت الحمی له، وقد ورد فی ذلک عده مواقف منها:

أ - حینما بقی الإمام الحسین علیه السلام وحیداً خرج ینادی بأعلی صوته: هل من ذاب عن حرم رسول الله؟ هل من موحد یخاف الله فینا؟ هل من مغیث یرجو الله فی اغاثتنا؟ فارتفعت أصوات النساء بالبکاء(۲).

ونهض السجاد علیه السلام یتوکأ علی عصا ویجر سیفه؛ لأنه مریض لا یستطیع الحرکه فصاح الحسین بأخته احبسیه؛ لئلا تخلو الأرض من نسل آل محمد، فأرجعته إلی فراشه.(۳)

ب - حینما احترقت الخیام وهجمت الجند لسلبها أراد الشمر قتله

جاء فی المقتل:

وانتهی القوم إلی علی بن الحسین وهو مریض علی فراشه لا یستطیع النهوض

۱- المقرم ,مقتل الحسین ص۲۱۸

۲- اللهوف، ص ۶۵.

۳- المقرم، مقتل الحسین، ص ۳۱۶.

وقائل يقول: لا تدعوا منهم صغيراً ولا كبيراً وآخر يقول: لا تعجلوا حتى نستشير الأمير عمر بن سعد، وجرد الشمر سيفه يريد قتله فقال له حميد بن مسلم: يا سبحان الله أتقتل الصبيان؟ انما هو صبى مريض! فقال: إن ابن زياد أمر بقتل أولاد الحسين وبالغ ابن سعد فى منعه خصوصاً لما سمع العقيله زينب أبنه أمير المؤمنين تقول: لا يقتل حتى اقتل دونه فكفّوا عنه.(۱)

ج - فى مجلس ابن زياد

قال الراوى:

التفت ابن زياد إلى على بن الحسين وقال له: ما اسمك؟

قال: انا على بن الحسين.

فقال له: أو لم يقتل الله علياً؟ فقال السجاد عليه السلام:

كان لى أخ أكبر منى يسمى علياً قتله الناس.

فردَّ عليه ابن زياد بأن الله قتله. قال السجاد عليه السلام:

الله يتوفى الأنفس حين موتها وما كان لنفس ان تموت إلا بإذن الله.

فكبر على ابن زياد ان يرد عليه فأمر ان تضرب عنقه.

لكنَّ عمته العقيله اعتنقته وقالت: حسبك يا ابن زياد من دمائنا ما سفكت وهل ابقيت أحداً غير هذا فان اردت قتله فاقتلنى معه.

فقال السجاد عليه السلام:

أما علمت ان القتل لنا عاده وكرامتنا من الله الشهاده فنظر ابن زياد إليهما وقال: دعوه لها عجباً للرحم ودَّت انها تقتل معه.(۲)

۱- المقرم ص ۳۰۱.

۲- المقرم ص ۳۲۵ نقلا عن ابن الأثير، ج ۴، ص ۳۴.

د – فی الشام حینما وضعهم یزید فی الخربه التی لا تقیهم من الحر

جاء فی المقتل الحسینی:

ولقد احدثت خطبه العقیله زینب هزه فی مجلس یزید وراح الرجل یحدث جلیسه بالضلال الذی غمرهم وانهم فی ای واد یعمهون، فلم یر یزید مناصاً إلا ان یُخرج الحرم من المجلس إلی خربه لا تکنُّهم من حرٍّ ولا برد فأقاموا فیها ینوحون علی الحسین علیه السلام ثلاثه أیام.

وفی بعض الأیام خرج السجاد علیه السلام منها یتروح، فلقیه المنهال بن عمر وقال له: کیف امسیت یا ابن رسول الله؟ قال علیه السلام:

أمسینا کمثل بنی إسرائیل فی آل فرعون یذبحون أبناءهم ویستحیون نساءهم، امست العرب تفتخر علی العجم بان محمداً منها، وامست قریش تفتخر علی سائر العرب بأن محمداً منها، وأمسینا معشر أهل بیته مقتولین مشردین فانا لله وانّا إلیه راجعون.

قال المنهال: وبینما یکلمنی إذ امرأه خرجت خلفه تقول له: إلی این یا نعم الخلف؟ فترکنی واسرع إلیها فسألت عنها قیل: هذه عمته زینب.(۱)

ه – مواساه الإمام زین العابدین علیه السلام بعد ما رأی مصرع ابیه واخوته وباقی عشیرته

جاء فی المقتل:

وأما علی بن الحسین فإنه لما نظر إلی أهله مجزرین وبینهم مهجه الزهراء بحاله تنفطر لها السماوات وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّا عظم ذلک علیه واشتد قلقه فلما تبینت ذلک منه زینب الکبری بنت علی علیه السلام أهمها أمر الإمام فأخذت تسلیه

۱– المقرم ص ۳۶۰.

وتصبره وهو الذى لا توازن الجبال بصبره وفيما قالت له:

«ما لى أراك تجود بنفسك يا بقيه جدى وأبى واخوتى فوالله ان هذا العهد من الله إلى جدك وأبيك ولقد اخذ الله ميثاق أُناس لا تعرفهم فراعنه هذه الأرض وهم معروفون فى أهل السماوات انهم يجمعون هذه الاعضاء المقطعه والجسوم المضرجه فيوارونها وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس اثره ولا يمحى رسمه على كرور الليالى والأيام وليجتهدن أئمه الكفر واشياع الضلال فى محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلاعلواً».(۱)

۳ - متابعه شأن رقيه عليها السلام حتى دفنها فى الشام:

حيث كانت السيده زينب عليها السلام معها لما طالبت رؤيه أبيها وجاءوها بالطشت ولما ماتت وغسلت.

۴ - متابعه شأن فاطمه بنت الحسين وبخاصه فى موقف الشامى فى مجلس يزيد:

نظر رجل شامى إلى فاطمه بنت على فطلب من يزيد ان يهبها له لتخدمه ففزعت ابنه أمير المؤمنين وتعلقت بالعقيله زينب وقالت: كيف اخدم؟ قالت العقيله: لا عليك انه لن يكون أبداً فقال يزيد: لو اردت لفعلت! فقالت له: إلا أن تخرج عن ديننا فرد عليها: إنما خرج عن الدين أبوك واخوك! قالت زينب: بدين الله ودين جدى وأبى وأخى اهتديت أنت وأبوك إن كنت مسلماً قال: كذبت يا عدوه الله! فرقت (عليها السلام) وقالت:

أنت أمير تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك وعاود الشامى الطلب فزبره يزيد ونهره وقال له: وهب الله لك حتفاً قاضياً.(۲)

۱- المقرم ص۳۰۸.

۲- الطبرى، ج۶، ص ۲۶۵.

وهنا لابد من ان نشير إلى ان جل مهام متابعه أفراد القافله الحسينيه وبخاصه بعد استشهاد الإمام كانت مسؤوليه السيده زينب بعدما أوصاها الإمام الحسين عليه السلام بذلك وعهد إليها بالمهام الأساسيه.

۳ – الدور القيمى

اشاره

لا يغيب عن بالنا ان ثوره الإمام الحسين عليه السلام كانت ثوره قيميه بكل معناها فقد كانت رحى الحرب تدور بين فريقين؛ أحدهما: آمن بقيم الإسلام ومثله وأخلاقه وسعى لاصلاح المجتمع وفق تلك القيم، والآخر: سعى لايجاد مجتمع آخر مبتعدا عن نهج الإسلام – وان حمل اسمه أمام الملأ – وبعيدا عن هذه القيم وتلك المثل التى حملها الحسين عليه السلام.

والقيم مشتقه من كلمه قيمه وهى مأخذوه من القيام الذى هو نقيض الجلوس ويأتى بمعنى آخر هو العزم وذلك فى قوله تعالى:

((وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ)) أى عزم.

ويجىء القيام بمعنى الوقوف والثبات يقال أمه قائمه أى متمسكه بدينها. وقوّم السلعه أى قدّرها وفى ذلك الآيه:

((ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ)).

أى المستقيم الذى لا زيغ فيه ولا ميل عن الحق.(۱)

وتُعرّف القيم بانها معيار للحكم على كل ما يؤمن به مجتمع ما من المجتمعات البشريه ويؤثر فى سلوك أفراده حيث يتم من خلاله الحكم على شخصيه الفرد ومدى صدق انتمائه نحو المجتمع بكل افكاره ومعتقداته وأهدافه وطموحاته.(۲)

۱- د. احمد كنعان، أدب الأطفال والقيم التربويه، ص ۱۳۳.

۲- نفس المصدر، ص ۱۳۵.

وتتميز القيم بانها تمثل انعكاساً لمعتقدات أفراد المجتمع، ومن ثم فهى تعكس هويته وصفاته المميزه.. وغياب القيمه أو عدم وضوحها يؤدى إلى ضياع الفرد ذاته ويؤدى به إلى فقدان الاحساس بالحياه وباهدافها. ويعدّ الدين من العوامل الأساسيه المؤثره فى بناء القيم. كما وتعدّ المرأه احد أهم وسائل نقل القيم من جيل إلى آخر عبر التربيه من جانب. ومن جانب آخر تكون المرأه اكثر صيانه للقيم؛ لأنها أقل تمرداً عليها وأكثر استجابه لها وأكثر اهتماماً بحفظها وحمايتها.

فى عصر الإمام الحسين عليه السلام اهتزت المنظومه القيميه من خلال التكالب على الدنيا وسياده روح الانهزاميه والوشايه والسعايه وانتشر الفساد والانحراف فى عموم مفاصل الدوله والامه على حد سواء. وبهذا كان عصر ما قبل ثوره الإمام عليه السلام يمثل ادنى درجات الانهيار الأخلاقى والفساد الادارى والاجتماعى والسياسى وهذا واضح وعلى اكثر من صعيد، وقد بلغ الهبوط القيمى مداه بشكل لا يمكن علاجه بالوعظ والكلمات، حتى كانت واقعه الطف التى أيقظت ضمير الامه وهزت البنيه التحتيه للنهج الاموى القائم على منظومه الفساد والتحريف وشراء الذمم والضمائر، ومن ثم افرزت الثوره قائمه طويله من القيم الإيجابيه العليا التى كان لها أثر كبير فى تبديل أخلاق الأمه كلها ليس على مدى جيل واحد بل اجيال عده وليس على الواقع الآنى للامه بل على مستوى الحاضر والمستقبل. ونجحت فى استبدال منظومه القيم فبدلاً من الرضا بحياه الذل والرضوخ للظالم اصبحت قيمه العز والتضحيه والشهاده ضد الحاكم الظالم هى القيم الجديده. وبدل الروح الانهزاميه جاءت روح المبادره والروح الإيجابيه وهكذا.

ولا أريد استعراض كل قيم الثوره الحسينيه فهذا مجال يطول الكلام عنه ولكنى أريد ان أمر على القيم التى حملتها النساء إلى المجتمع من خلال تضحياتهن بحضورهن فى أرض كربلاء، وهى بلا شك قيم كثيره تركت اثرها على نساء زمانها وعلى نساء زماننا

وهی أکثر ما نحتاج إلیه الیوم إزاء التحدیات الجسام التی تحیط بالمرأه المسلمه.

والملاحظ ان هـذه القیم قد ظهرت فی وقت امتحان القیم وکان امتحاناً عسیراً واختباراً صعباً للغایه خسر فیه الکثیر من صنادید الرجال لکن نجحت هـذه المجموعه الصغیره فی بیانها وایضاحها - علی الرغم من قله الامکانات - لکن اراده النساء صنعت المعجزات.(۱)

وابرز هذه القیم:

ألف . الدفاع عن المقدس

لا بد من الاشاره أولا إلی ان الأمه الاصیله والتی تتمتع بعوامل القوه والخلود هی التی تحافظ علی مقدساتها وتعمل علی صیانتها أمام التیارات والاتجاهات المخالفه والتی تسعی بکل الوسائل لأجل اضعاف وضعضعه البنی التحتیه للامه القویه وأول خطوه فی هـذا المجال هو اختراق المقدس نفسه ومصادره قدسیته واسقاطه کرمز ثابت وحیوی فی عیون ابنائه ومن ثم تنفصل الأمه عن تاریخها وتراثها وعن احد اهم عناصر القوه فیها وتصبح مقطوعه الجذور متکسره الدعائم. وهذا یفسر لنا سبب تزاید الموضات الجدیده فی الرسوم الکاریکاتوریه ضد رموز الإسلام العظیم والتی تدخل ضمن اطار الهجمه الشرسه علی الاسلام ومقدساته، فاذا أُهین المقدس تختل خطوط التواصل بینه وبین الامه مما یمهد لبدء التشویش والتشکیک ضمن هـذه العلاقه وفی المره الأولی قد تصبح المعارضه قویه؛ لان العلاقه مازالت متأصله لکن مع تداوم الهجوم تضعف ردود الفعل. ویصبح الامر اشد طامه فیما إذا تخلی العلماء والمثقفون عن ادوارهم فی بیان استتباعات الاحداث، ولکن إذا ضعفت المواجهه فسوف تتواری صور

۱- یقول مرتضی مطهری (لیس هناک أیه واقعه فی التاریخ تعکس الفضائل الإنسانیه کواقعه کربلاء) الملحمه الحسینیه,ج۱، ص ۶۸.

المقدسات العليا خلف الرموز البديله وتزداد ضبابيه الصوره فی عيون أبنائها شيئاً فشيئاً ولا يبقی للأبناء شیء يسمونه المقدس کی يحافظوا عليه!.

ولقد کان المسلمون فی عصر الرساله يشعرون بالقداسه الکبری لشخص الرسول صلی الله عليه وآله وسلم ولکننا نری انکسار هذه القداسه من خلال الأحداث التی جرت بعده فالناس انشغلوا عن موته ودفنه بأحداث السقيفه وجاءوا بمن يرغبون ناکثين الولاء والعهد الذی قدموه يوم الغديرا. ثم جاءت شهاده الزهراء عليها السلام کأقسی انتهاک لصوره المقدس وفی زمن قصير بعد وفاه ابيها وبصوره مؤلمه للغايه.. حريق عند الباب، حصار، ضرب حتی ماتت ساخطه علی الشيخين وعلی کثير غيرهما وکان تغييب قبر الزهراء عليها السلام بحد ذاته نوعاً من الاحتجاج الازلی علی عدم حفظ المقدسات وعلی عدم احترام الأمه نفسها لمکانه العتره التی هی عدل القرآن کما جاء فی الحديث المروی عن الرسول صلی الله عليه وآله وسلم: انی تارک فيکم الثقلين کتاب الله وعترتی(۱)، ويبقی هذا الاحتجاج جليا خالداً کنوع من وخز الضمير والتذکير بالمقدس المنتهک الحرمه.

وبهذا تجرأت الأمه علی المقدس؛ إذ لم تبق هناک مساحات محرمه لا يمکن اختراقها واصبح المقدس نفسه فی صوره اللا مقدس أو بالاحری الشیء العادی الذی عندهم. وساد سوء الظن والفتنه والشک فکانت شهاده الإمام علی بن أبی طالب عليه السلام فی الشهر المقدس والمکان المقدس والوقت المقدس!!، وهو عليه السلام ايضا کان الامام المعصوم والقرآن الناطق فهو المقدس ولکن الامه لم تعد تنظر إلی الحدود الأولی للمقدس کما کان الأمر فی زمن الرسول صلی الله عليه وآله وسلم، ولهذا نجد الإمام الحسن عليه السلام يعانی الأمرّين فانصاره يکنوه ب(يا مذل المؤمنين) وأعداؤه

۱- صحيح مسلم۱۲۲ / ۷ صحيح الترمذی۳۲۸ / ۵.

يتربصون لقتلهِ، وحتى لما استشهد بعد ان دست زوجته السم له (انظر إلى الساحه القريبه لاجتثاث المقدس) جاء التجرؤ على جسده فى التابوت فكان رمى الجنازه بالنبال وكان المنع من دفنه إلى جوار جده الذى قال عنه:

«من أحب الحسن والحسين فقد احبنى، ومن ابغضهما فقد ابغضنى»(۱)

فى حين ان الميت المسلم حتى لو كان إنساناً عادياً جداً فله حرمه وله قداسه وهذه القداسه الخاصه تتطلب دفنه فى المكان الذى يليق به والصلاه عليه وعدم اهانه جنازته! إلى غير ذلك.

ولقد افرزت ثوره الإمام الحسين عليه السلام نمطين من التعامل مع المقدس:

نمطاً حفظ هذه القدسيه وصانها وحماها..

ونمطاً استهان بها إلى أبعد الحدود فانتهك الحرمه واتى بكل قبيح ومنكر..

ففى واقعه الطف قتلوا سيد شباب اهل الجنه وريحانه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فاستحلوا دمه ومثّلوا بجثته عليه السلام، ولا يجوز التمثيل حتى بالكلب العقور! وذبحوه ورفعوا راسه على الرمح يطوفون به فى البلدان استبشارا وفرحا وسرورا!!.

وسبوا نساءه المسلمات المخدرات حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونساء بيت الوحى، ولا يجوز أصلاً سبى المرأه المسلمه، إلى غير ذلك من صور العنف القاسى ضد أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وقد عمل الامويون على تشويه صوره المقدس بدعوى ان الذى ثار عليهم كان خارجيا!! ولم يعلنوا عن الاسم الصريح له ومن أين جاء الى كربلاء!. فقد راعهم الاستقبال الكبير الذى اعده اهل الكوفه لما سمعوا باقبال الحسين اليهم:

۱- سنن ابن ماجه فى فضائل الحسن والحسين , ومسند احمد۲\۲۸۸و ۴۴۰ و ۵۳۱

... ولكن الناس لما ذهبوا لاستقباله (الامام الحسين) عند مدخل المدينه، فدخَلها (ابن زياد) فى أهله وحشمه وعليه عمامه سوداء قد تَلَثَّم بها، وهو راكب بغله والناس يتوقعون قدوم الحسين فجعل ابن زياد يسلم على الناس فيقولون: وعليك السلام يا ابن رسول الله! (تصوروه الحسين) قدمْتَ خير مَقْدَم، حتى انتهى إلى القصر وفيه النعمان بن بشير، فتحصَّنَ فيه، ثم أشرف عليه، فقال: يا ابن رسول الله مالى ولك؟ وما حملك على قصد بلدى من بين البلدان؟ فقال ابن زياد: لقد طال يومك يا نعيم، وحَسَرَ اللثام عن فيه، فعرفه، ففتح له، وتنادى الناس: ابن مرجانه، وحَصَبوه بالحصباء، ففاتهم ودخل القصر!!.(۱) إذ ان الذى استقبلوه كان ملثما وقد تصوروا انه الحسين فى حين انه كان عبيد الله بن زياد الذى جاء لتولى منصبه الجديد واليا على الكوفه!!. هذه الحادثه كشفت للامويين عن مكانه الامام فى قلوب الناس فوضعوا خططا جديده لتقويض الحركه الحسينيه واولها اخفاء اسم الثائر وتشويه ثورته. وإذا كان هناك من يجهل من هو الثائر فكيف بالذى عاش معه دهرا!!. كعمر بن سعد فهؤلاء يعرفون من هو الحسين عليه السلام ويعرفون انه المقدس ولكنهم تمردوا عليه بتلك الصوره الوحشيه!. وقد حاول الامام عليه السلام ان يذكرهم بالقداسه لما خرج يوم عاشوراء، إذ كان قد ارتدى عمامه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ لإلقاء الحجه عليهم.

وفى الصوره الأولى نجد أصحاب الإمام عليه السلام قمه ساميه فى التفانى والفداء صيانه للمقدس، ونجد وصاياهم كلها تدور حول نصره الإمام عليه السلام والتضحيه دونه.(۲) فلقد تفانى الجميع رجالا ونساء فى تقديم الدعم للامام ولم يتخلَّ

۱- المسعودى, مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ۳، ص ۶۶.

۲- راجع المقرم، مقتل الحسين عليه السلام ۲۱۲ - ۲۱۴.

واحـد او واحـده عن نصـره الامام رغم ان التحدى كان خطيرا، فهذا وهب الكلبى بالغ فى الجهاد وكان معه امرأته ووالدته فرجع إليهمـا وقـال: يـا امّه أرضـيت ام لا؛ فقال الأم: ما رضـيت حتّى تقتل بين يـدى الحسـين عليه السـلام؛ وقالت امرأته بالله عليك لا تفجعنى بنفسـك؛ فقالت له امّه يا بنىّ اعزب عن قولها وارجع فقاتل بين يـدى ابن بنت نبيّك تنل شـفاعه جـدّه يوم القيمه فرجع فلم يزل يقاتل حتّى قطعت يداه فاخذت امرأته عموداً فاقبلت نحوه وهى تقول فداك ابى وأمى قاتل دون الطيّبين حرم رسول الله (صـلى الله عليه وآله وسـلم) فاقبل كى يردّها إلى النساء فأخذت بجانب ثوبه وقالت: لن أعود دون ان أموت معك فقال الحسين عليه السـلام جزيتم من أهل بيتى خيراً ارجعى إلى النساء رحمك الله فانصرف إليهنّ ولم يزل الكلبى يقاتل حتّى قتل رضوان الله عليه.(۱)

وهذه ام عمرو بن جناده الانصارى تدفع ولدها لحمايه المقدس:

فعندما جاء عمرو بن جناده الانصارى بعد أن قتل ابوه وهو ابن إحدى عشـره سـنه يسـتأذن الحسين فأبى وقال: هذا غلام قتل أبوه فى الحمله الأـولى ولعـل أمه تكره ذلـك قـال الغلاـم: ان أمى امرتنى؛ فإذن له فما أسـرع أن قتل ورمى برأسه إلى جهه الحسـين فأخذته امه ومسحت الدم عنه وضربت به رجلاً قريباً منها فمات وعادت إلى المخيم.(۲)

وماريا التى جادت بالمال لنصره المقدس.

ويمكن مراجعه أدوار النساء فى نصـره آل البيت عليهم السـلام والتى تدخل ضمن صيانه المقدس والدفاع عنه. وقد سعت حرائر أهل البيت عليهم السلام إلى كشف

۱- ابن طاووس، اللهوف، ص۱۰۵.

۲- المقرم، ص۲۵۳.

اللثام عن خداع بنی امیه حینما القت السیده زینب علیها السلام خطبتها فی الکوفه فعرف الناس انهم حاربوا المقدس وهتکوا حرمه القداسه ولهذا انطلقت الثورات بعدها فکانت ثوره التوابین والمختار إلی غیر ذلک.

قالت السیده زینب فی خطبتها:

وأنّی ترحضون، قتل سلیل خاتم النبوه، ومعدن الرساله. ومدره حجتکم ومنار محجتکم، وملاذ خیرتکم، ومفزع نازلتکم. وسید شباب أهل الجنه ألا ساء ما تزرون.

وقالت ام کلثوم:

وأی دماء سفکتم وأی کریمه أصبتموها وأی صبیه أسلمتموها وأی أموال انتهبتموها قتلتم خیر الرجالات بعد النبی ونزعت الرحمه من قلوبکم ألا إن حزب الله هم المفلحون. وحزب الشیطان هم الخاسرون.

وقالت فاطمه بنت الحسین:

حتی قبضه الله تعالی الیه محمود النقیه، طیب العریکه، معروف المناقب، مشهور المذاهب، لم تأخذه فی الله سبحانه لومه لائم، ولا عذل عاذل، هدیته اللهم للإسلام صغیراً، وحمدت مناقبه کبیراً، ولم یزل ناصحاً لک ولرسولک، زاهداً فی الدنیا غیر حریص علیها، راغباً فی الآخره، مجاهداً لک فی سبیلک، رضیته فاخترته وهدیته إلی صراط مستقیم.

باء . قیم حمایه المرأه

اشاره

کشفت الواقعه عن سمو السلوک الانسانی لدی الامام فی تعامله مع النساء، وعن تدنی السلوک الاموی فی هذا التعامل. واذا اخذنا بعین الاعتبار ان الرؤی المعاصره تعدّ التعامل مع المرأه وما علیه من اوضاع اجتماعیه من تدهور أو تخلف أو ارتقاء مقیاسا لتفسیر تخلف المجتمع أو تقدمه استطعنا ان نصل الی فهم اعمق لواقعه الطف من خلال

هـذه المعادله. ففى الوقت الـذى يبذل الامام عليه السـلام جهده فى ان لا يُقحم النساء فى الحرب العسـكريه يسـعى التيار الاموى الى تسـليط مزيـد من الضـغوطات على الامام من خلال اسـتفزاز النساء واحراق الخيام فيما بعـد والطواف بهن فى البلدان !!. وفى الوقت الـذى نرى الرؤى المعاصـره تبتز قـداسه المرأه الانسـان والخليفه نجـد الاسـلام يحرص على حمـايه المرأه ضـمن الـدائره الانسانيه.

وعموما تتجلى قيم صيانه المرأه فى جانبين:

فمن جهه ان الإمام الحسـين عليه السلام سعى إلى صيانه المرأه المتواجده فى أرض المعركه وتمت هذه الصيانه والحفظ لمكانه المرأه من خلال عده أمور منها:

۱ – منع الإمام الحسين عليه السلام النساء من القتال

عنـدما اخـذت ام وهب بنت عبـد الله من النمر بن قاسط عموداً واقبلت نحو زوجها وهى تقول فداك ابى وامى قاتل دون الطيبين حرم رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم فـأراد ان يردهـا إلى النسـاء فأخـذت بجانب ثوبه وقالت لن أعود دون ان اموت معك فقـال الحسـين عليه السـلام جزيتم من أهـل بيتى خيراً ارجعى إلى الخيمه فـأنه ليس على النساء قتال فرجعت(۱)... وعندما رد ام عمرو بن جناده الانصارى إلى الخيمه بعد أن اصابت بالعمود رجلين.

۲ – خاطب الإمام الأعداء بان لا يتعرضوا للنساء فهو الذى يقاتل

قال مخاطبا أعداءه:

ويلكـم يـا شـيعه آل أبى سـفيان ان لـم يكـن لكم دين وكنتم لاـ تخـافون المعـاد فكونـوا أحراراً فى دنيـاكم هـذه وارجعـوا إلى احسـابكم إن كنتم عربـاً كمـا تزعمون، قال فناداه شـمر لعنه الله: ما تقول يا ابن فاطمه، فقال انى أقول أقاتلكم وتقاتلوننى والنساء ليس

۱- المقرم ص۲۳۹.

علیهن جناح فامنعوا عتاتکم وجهّالکم وطغاتکم من التعرّض لحرمی ما دمت حیّاً(۱)...

۳ – حفر الخندق حول الخیام

ثم انه علیه السلام أمر أصحابه ان یقاربوا البیوت بعضها من بعض لیستقبلوا القوم من وجه واحد، وأمر بحفر خندق من وراء البیوت یوضع فیه الحطب ویلقی علیه النار إذا قاتلهم العدو کیلا تقتحمه الخیل، فیکون القتال من وجه واحد.(۲)

۴ – منع النساء من الخروج من الخیام حتی استشهاده علیه السلام

ولم تخرج النساء من الخیام حتی احتراقها علی أغلب الروایات. والدلیل مجیء فرس الحسین ناعیا راکبه عند باب الخیمه التی تجمعت فیها النساء وهو یصهل بحزن وفی ذلک یعلق مرتضی مطهری فی ملحمته ان النساء کن فی الخیام وکلما سمعن صوت الامام شعرن بالامن والسکینه وانما بقین فی الخیام طاعه لوصایاه علیه السلام ویضیف مطهری: ان اوامر الامام کانت صارمه فی عدم تجاوز الخیمه. نعم هناک بعض الروایات عن خروج السیده زینب علیها السلام وبعض النساء عن الخیام لأمور طارئه ولدقائق معدوده منها:

۱- خروج السیده زینب علیها السلام لما استشهد علی الاکبر.. وروی الطبریّ: عن حُمید بن مسلم الأزدی قال: سماع أذنی یومئذ من الحسین یقول: قتل الله قوماً قتلوک یا بُنیّ، ما أجرأهم علی الرّحمن وعلی انتهاک حرمه الرّسول، علی الدّنیا بعدک العفاء. قال: وکأنّی أنظر إلی امرأه خرجت مُسرعه کأنّها الشّمس الطالعه تنادی: یا أُخیّاه ویا ابن أخاه! قال: فسألتُ عنها فقیل: هذه زینب أبنه فاطمه بنت رسول الله،

۱- اللهوف، ص ۱۲۰.

۲- الطبری، ج ۱، ص ۲۴۰.

فجاءت حتّی أکبّت علیه، فجاءها الحسین، فأخذ بیدها فردّها إلی الفسطاط، وأقبل الحسین إلی ابنه، وأقبل فتیانه إلیه فقال: إحملوا أخاکم. فحملوه من مصرعه حتّی وضعوه بین یدیّ الفسطاط الذی کانوا یقاتلون أمامه.(۱)

۲- خروج أم وهب إلی المیدان فردها الحسین الی الخیمه (جزیتم عن أهل بیت نبیکم خیراً إرجعی إلی الخیمه).

۳- روایه یذکرها ارباب المنبر الحسینی حول تقدیم الجواد للامام لما سقط علی ارض المعرکه.

۴- خروج ام عمرو بن جناده الانصاری، (فأخذته امه ومسحت الدم عنه وضربت به رجلاً قریباً منها فمات وعادت إلی المخیم).(۲)

ولعل هناک مواقف أخری مختلفاً فی صحتها لکن الأعم ان النساء بقین فی الخیام طاعه للحسین علیه السلام حتی جاء الجواد باکیا.

۵ – مراعاه مشاعر النساء

۱- الامام یصبّر ابنته سکینه:

قال المقرم فی مقتله علیه السلام:

والتفت الحسین إلی ابنته سکینه التی یصفها الحسن المثنی «بأن الاستغراق مع الله غالب علیها» فرآها منحازه عن النساء باکیه نادبه فوقف علیها مصبراً ومسلیاً ولسان حاله یقول:

هذا الوداع عزیزتی والملتقی

یوم القیامه عند حوض الکوثر

۱- العلامه السید مرتضی العسکری، معالم المدرستین، ص ۴۳۴.

۲- المقرم، ص۲۵۳.

فدعی البکاء وللأسار تهیَّأی

واستشعری الصبر الجمیل وبادری

وادا رأیتینی علی وجه الثّری

دامی الورید مبضَّعاً فتصبَّری(۱)

ب- ویتألم الامام لبکاء النساء فیطلب من العباس وابنه الاکبر اسکاتهن:

قال المقرم فی مقتله علیه السلام:

ثم دعا براحلته فرکبها ونادی بصوت عال یسمعه جلهم:

أیها الناس اسمعوا قولی ولا تعجلوا حتی أعظکم بما هو حق لکم علی، وحتی اعتذر إلیکم من مقدمی علیکم فان قبلتم عذری وصدقتم قولی وأعطیتمونی النصف من أنفسکم کنتم بذلک أسعد ولم یکن لکم علیَّ سبیل وإن لم تقبلوا منی العذر ولم تعطوا النصف من أنفسکم فأجمعوا أمرکم وشرکاءکم ثم لا یکن أمرکم علیکم غمه ثم اقضوا إلی ولا تنظرون إن ولیِّ الله الذی نزل الکتاب وهو یتولی الصالحین.

فلما سمعّت النساء هذا منه صحْنَ وبکیْنَ وارتفعت اصواتهنَّ فأرسل إلیهنَّ أخاه العباس وابنه علیاً الأکبر وقال لهما: أَسکتاهنَّ فلعمری لیکثرنّ بکاؤهنَّ.(۲)

ج- ثم انه علیه السلام ودع عیاله ثانیاً وامرهم بالصبر ولبس الأزر، وقال: استعدوا للبلاء واعلموا ان الله تعالی حامیکم وحافظکم...

د- مقولته علیه السلام لما رأی عمروبن جناده الانصاری یستأذنه للحرب: هذا غلام قتل ابوه بالحمله الأولی ولعل أمه تکره ذلک....

ه- لما همّ بالخروج من المدینه اجتمعت النساء باکیات فمشی إلیهن الحسین وسکتهن وقال: أنشدکن الله ان تبدین هذا الأمر معصیه لله ولرسوله...(۳)

۱- المقرم، ص ۲۷۷.

۲- المقرم، ص ۲۲۷.

۳- المقرم، ص۱۳۷.

۶- اسناد مسؤوليات حمايه العيال والنساء إلى السيده زينب عليها السلام وكان الإمام زين العابدين عليه السلام مريضاً من جهه، ومن جهه أخرى؛ لأنها قادره على توجيه النساء أنفسهن الوجهه المتناسبه مع قيم الثوره وأخلاقها وهو ما سنتطرق إليه لاحقا.

۷- ولقد استغل الاعداء انشغال الامام بعياله فقال عمر بن سعد: ويحكم اهجموا عليه ما دام مشغولاً بنفسه وحرمه والله إن فرغ لكم لا تمتاز ميمنتكم عن ميسرتكم، فحملوا عليه يرمونه بالسهام حتى تخالفت السهام بين أطناب المخيم وشك سهم بعض ازر النساء فدهشْنَ وارعبْنَ وصحْنَ ودخلن الخيمه ينظرن إلى الحسين كيف يصنع فحمل عليهم كالليث الغضبان فلا يلحق أحداً إلا بعجه بسيفه فيقتله والسِهام تأخذه من كل ناحيه وهو يتقيها بصدره ونحره.(۱)

ولما وصل الماء ليشرب منه تركه لما سمع بتجاوز الاعداء على خدر النساء عندما قصده القوم واشتد القتال:

وقد اشتد به العطش، فحمل عن نحو الفرات على عمرو بن الحجاج وكان فى أربعه آلاف فكشفهم عن الماء واقحم الفرس الماء فلما همَّ الفرس ليشرب قال الحسين: انت عطشان وانا عطشان فلا اشرب حتى تشرب! فرفع الفرس رأسه كأنه فهم الكلام ولما مد الحسين يده ليشرب ناداه رجل اتلتذ بالماء وقد هتكت حرمك؟ فرمى الماء ولم يشرب وقصد الخيمه.(۲)

وللنساء فى هذه الواقعه مواقف انسانيه رائعه ضمن قيم خاصه منها:

۱ - امرأه من الكوفيات تجمع الأزر والمقانع للنساء:

۱- المقرم، ص ۲۷۷.

۲- المقرم، ص ۲۷۵.

جاء فی المقتل: فاشرفت إمرأه من الکوفیات فقالت من أی الأساری أنتنّ فقلن نحن أساری آل محمد صلی الله علیه وآله وسلم فنزلت المرأه من سطحها فجمعت لهن ملاء، وازراً ومقانع واعطتهن فتغطّین.(۱)

۲ – فی سبی النساء تطلب السیده ام کلثوم ان یمر بطریق قلیل النظاره: ولما قربوا من دمشق أرسلت أم کلثوم إلی الشمر تسأله أن یدخلهم فی درب قلیل النظّار ویخرجوا الرؤوس من بین المحامل لکی یشتغل الناس بالنظر إلی الرؤوس فسلک بهم علی حاله تقشعر عن ذکرها الابدان وترتعد لها فرائص کل انسان.(۲)

۳ – فی الشام تتصدی السیده زینب علیها السلام لصیانه فاطمه بنت الحسین فی موقف الشامی الذی ارادها جاریه وتعلنها ثوره ضده فی مجلسه:

نظر رجل شامی إلی فاطمه بنت علی فطلب من یزید ان یهبها له لتخدمه ففزعت ابنه أمیر المؤمنین وتعلقت بالعقیله زینب وقالت: کیف اخدم؟ قالت العقیله: لا علیک انه لن یکون أبداً فقال یزید: لو اردت لفعلت! فقالت له: إلا أن تخرج عن دیننا فرد علیها: إنما خرج عن الدین أبوک واخوک! قالت زینب: بدین الله ودین جدی وأبی وأخی اهتدیت أنت وأبوک إن کنت مسلماً قال: کذبت یا عدوه الله! فرقت (علیها السلام) وقالت: أنت أمیر مسلط تشتم ظالماً وتقهر بسلطانک وعاود الشامی الطلب فزبره یزید ونهره وقال له: وهب الله لک حتفاً قاضیاً.(۳)

۴ – السیده سکینه بنت الحسین علیها السلام تطلب من سهل بن سعد الساعدی ان یقدموا الرؤوس امام النساء:

۱– اللهوف علی قتلی الطفوف، ص۱۴۴.

۲– المقرم، ص ۳۴۷.

۳– الطبری، ج۶، ص ۲۶۵.

جاء فی المقتل:

ودنا سهل بن سعد الساعدی من سکینه بنت الحسین وقال: ألک حاجه فأمرته ان یدفع لحامل الرؤوس ان یجعل الرؤوس أمام النساء، کی تنشغل الناس بالنظر إلی الرؤوس عن النظر إلی أساری آل محمد صلی الله علیه وآله وسلم ففعل «سهل».(۱)

۴ - فی مواجهه السیده زینب علیها السلام مع یزید تذکره بالقیم الخاصه بالمرأه وحجابها بالقول:

امن العدل یا ابن الطلقاء، تخدیرک حرائرک وإماءک، وسوقک بنات رسول الله سبایا، قد هتکت ستورهنَّ، وابدیت وجوههنَّ، تحدو بهنَّ الأعداء من بلد إلی بلد، ویستشرفهنَّ أهل المناهل والمعاقل، ویتصفح وجوههنَّ القریب والبعید، والدنی والشریف، لیس معهنَّ من حماتهنَّ حمی ولا من رجالهنَّ ولی....

جیم . ادب التعامل مع المصاب الجلل

فی واقعه الطف استشهد آل البیت کلهم فضلاً عن ریحانه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ولم یکتف الحال بالقتل بل کان التمثیل بالجثث الذی ربما کان اقسی من فاجعه القتل نفسها، ولکن حرائر بیت الوحی تعاملن مع الموقف القاسی بکل صبر وتجلد ولا ینقل التاریخ ان ای واحده بدر منها ما یخالف الشریعه فی السلوک. ولنا ان نستعرض المواقف الآتیه لنکون علی بینه من ذلک.

- فقد جاء فی المقتل:

ان الامام علیه السلام لما ارتجز الأبیات سمعت ذلک السیده زینب علیها السلام (... وثبت تجرُّ ذیلها حتی انتهت إلیه وقالت واثکلاه لیت الموت اعدمنی الحیاه! الیوم ماتت أمی فاطمه وأبی علی وأخی الحسن، یا خلیفه الماضی وثمال الباقی فعزاها الحسین

۱- ۱- المقرم، ۳۹۴.

وصبَّرها وفيما قال: يا أختاه تعزّى بعزاء الله واعلمى ان أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون وكل شيء هالك الا وجهه، ولى ولكل مسلم برسول الله أسوه حسنه.

فقالت عليها السلام:

افتغصب نفسك اغتصاباً فذاك أقرح لقلبى وأشد على نفسى.

وبكت النسوه معها ولطمن الخدود وصاحت أم كلثوم وامحمده واعلياه واأماه واحسيناه واضيعتنا بعدك؟!

فقال الحسين:

يا اختاه يا ام كلثوم يا فاطمه يا رباب انظرْنَ إذا قتلت فلا تشققن علىّ جيباً ولا تخمشن وجهاً ولا تقلن هجراً.

ثم انه عليه السلام ودع عياله ثانياً وامرهم بالصبر ولبس الأزر، وقال:

استعدوا للبلاء واعلموا ان الله تعالى حاميكم وحافظكم...(۱)

هذا حصل قبل مقتله اما ما حصل بعد استشهاده عليه السلام فقد جاء فى المقتل:

فقلن النسوه: بالله عليك إلا ما مررتم بنا على القتلى، ولما نظرن إليهم مقطعى الأوصال قد طعمتهم سمر الرماح ونهلت من دمائهم بيض الصفاح وطحنتهم الخيل بسنابكها صحن ولطمن الوجوه وصاحت زينب:

يا محمداه هذا حسين بالعراء مرمل بالدماء مقطع الأعضاء، وبناتك سبايا وذريتك مقتله فأبكت كل عدو وصديق حتى جرت دموع الخيل على حوافرها.(۲)

۱- المقرم، ص۲۱۷.

۲- المقرم، ص۳۰۷.

ثم بسطت يديها تحت بدنه المقدس ورفعته نحو السماء وقالت:

إلهى تقبل منا هذا القربان(۱)..

- بكاء النساء على مصرع العباس:

ورجع الحسين إلى المخيم منكسراً باكياً يكفكف دموعه بكمه وقد تدافعت الرجال على مخيمه فنادى: أما من مغيث يغيثنا؟ أما من مجير يجيرنا؟ أما من طالب حق ينصرنا، اما من خائف من النار فيذب عنا! فأتته سكينه وسألته عن عمها، فاخبرها بقتله! وسمعته زينب فصاحت:

وا أخاه وا عباساه وا ضيعتنا بعدك!

وبكيت النسوه وبكى الحسين معهن وقال:

وا ضيعتنا بعدك!!(۲)

- موقف السيده مع ابن زياد

جاء فى المقتل:

ووضع رأس الحسين بين يديه وجعل ينكث بالقضيب ثناياه... وانحازت زينب ابنه أمير المؤمنين عليه السلام عن النساء وهى متنكره لكن جلال النبوه وبهاء الإمامه المنسدل عليها استلفت نظر ابن زياد فقال: من هذه المتنكره؟

قيل له: أبنه أمير المؤمنين «زينب العقيله».

فأراد ان يحرق قلبها بأكثر مما جاء إليهم فقال متشمتاً: الحمد لله الذى فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم.

۱- المقرم ص ۳۰۷.

۲- المقرم ، ص ۳۷۰.

فقالت علیها السلام:

الحمد لله الذی اکرمنا بنبیه محمد وطهرنا من الرجس تطهیراً، انما یفتضح الفاسق، ویکذب الفاجر، وهو غیرنا.

قال ابن زیاد کیف رأیت فعل الله بأهل بیتک؟

قالت علیها السلام:

ما رأیت إلا جمیلاً.(۱)

دال . ایثار المصلحه العامه علی المصلحه الخاصه

اشاره

غالباً ما تتهم النساء بأنهن منغمسات فی ذواتهن أو انهن یعشنَ فقط لمصالحهن الشخصیه!! ویقیم هؤلاء الدلیل علی ما یقولون من خلال مایرونه من تهافت النساء علی الموضه واستنفاذ المال والوقت والجهد من أجل التجمل وتحسین الصوره والمظهر واهمال البعض لمهامهن الأسریه. غیر ان هذا لا یجد له إلا صدی محدوداً؛ اذ ان البعض یحاول الرد علی هذه التهمه الأزلیه بما تفرزه صوره الأمومه من تضحیه وفداء وإیثار علی النفس بشکل لا یقبل الجدل فالام نموذج سامٍ للتضحیه ونکران الذات. غیر أنّ آخرین یفسرون الأمومه أیضاً بانها إشباع لغریزه ذاتیه تنطلق ایضا من ذات المرأه وما تقدمه من تضحیات وعناء وفداء انما تحصد نتائجه هی أولاً ـ قبل غیرها . وأیاً کانت الآراء فمما لاشک فیه ان المرأه کالرجل تعیش اهدافها الایمانیه والوطنیه وهی تقدم ابناءها وزوجها لما آمنت به من مثل، وهذا یعنی ان لا ـ تفاوت بین الجنسین فی التنازل عن المصالح الذاتیه من اجل المصالح العلیا. وقد افرزت الواقعه عن هذه القیمه العظیمه عند النساء أنفسهن فهؤلاء النساء اللائی خرجن مع الإمام الحسین علیه السلام فی رحلته الطویله انما کن یبغین أهدافاً علیا فی نصره الإمام وصیانه عقیده الولاء ولم یکن

۱- المقرم ۳۲۴.

الإمام نفسه يمثل نفسه بالنسبه لهن بمعنى انه الأخ أو الزوج أبداً فحسب، بل ان الإمام كان يمثل القياده والإمامه والشرعيه ولهذا كان الدفاع عن الإمام دفاعاً عن الإسلام كله ودفاعاً عن مقدساته.

يقول الشيخ مرتضى مطهرى: الشيء الوحيد الذى لا يمكن ان نراه مطلقاً فى منطق الإمام الحسين عليه السلام هو منطق المنفعه والمصلحه الذاتيه. فكربلاء كلها كانت سيراً إلى الله.(۱)

وعاده فى كل سفر نروم القيام به فلابد ان نبحث عن ادوات الراحه من خلال وسيله السفر والمكان الذى نقصده والظروف المحيطه بالسفر. فى حين ان هؤلاء النساء لما خرجن مع الإمام لم يسألن عن مفردات الراحه وقد تركن بيوتهن لنصره الإمامه كما تركت السيده زينب عليها السلام بيتها وزوجها المريض لنصره الإمام. فهؤلاء خرجن فى سفر صعب وشاق للغايه, فقد كان الجانب الأمنى فى هذا السفر مبهماً ولا يمكن تثبيته أبداً، فهو سفر محفوف بالمخاطر وإليه اشارت أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم السابقه التى تنذر بكارثه فى نهايه المطاف. ثم هو سفر طويل فى ظروف صعبه وحرجه. والغايه من هذا السفر هو نصره الإمامه والدين.. وهو هدف كل البعد عن الغايات الذاتيه المحدده.

على هذا لا نجد فى قاموس الذين خرجوا مع الإمام من المدينه رجالاً ونساء هدفا واضحا سوى مصلحه الدين وحمايه الإمامه لا أكثر. وبذلك ضربت هؤلاء النساء أعلى درجات التسامى فى هذا الإيثار الكبير الذى خاب فيه الكثيرون. فالإمام عليه السلام كتب لبنى هاشم وصيه: من لحق بنا منكم استشهد، ومن تخلف لم يبلغ الفتح(۲). ورغم

۱- مطهرى الملحمه الحسينيه.

۲- المقرم ص۶۶.

ذلک فقد خرج بهذا العدد القلیل الذی شکلت فیه النساء الحضور الکبیر.

وإذا أردنا ان نأخذ دلالات أخری علی هذه القیمه نجد ذلک فی أمور:

۱ . الأم تحث ولدها علی الشهاده لنصره الإمام

کما حصل مع ام وهب الکلبی..قال الراوی:

.. وبالغ وهب فی الجهاد وکان معه امرأته ووالدته فرجع إلیهما وقال یا امّه أرضیت أم لا فقالت الأم ما رضیت حتّی تقتل بین یدی الحسین (علیه السلام)، وقالت امرأته بالله علیک لا تفجعنی بنفسک فقالت له أمّه یا بنیّ اعزب عن قولها وارجع فقاتل بین یدی ابن بنت نبیّک تنل شفاعه جدّه یوم القیمه(۱).

۲ . ام عمرو بن جناده الانصاری

وجاء عمرو بن جناده الانصاری بعد أن قتل ابوه وهو ابن إحدی عشره سنه یستأذن الحسین فأبی وقال: هذا غلام قتل أبوه فی الحمله الأولی ولعل أمه تکره ذلک قال الغلام: إن أمی امرتنی فأذن له فما أسرع أن قتل.((۲)

۳ . دلهم تحث زوجها علی الالتحاق بالحسین علیه السلام

فقالت له زوجته وهی دلهم بنت عمرو: سبحان الله أیبعث إلیک ابن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ثم لا تأتیه؟ فلو اتیته فسمعت من کلامه، فمضی إلیه زهیر بن القین فما لبث أن جاء مستبشراً قد اشرق وجهه فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فحوّل إلی الحسین علیه السلام، وقال لامرأته: أنت طالق، فانّی لا أحبّ ان یصیبک بسببی إلا خیر وقد عزمت علی صحبه الحسین علیه السلام لافدیه بنفسی وأقیه بروحی ثمّ أعطاها ما لها وسلّمها إلی بعض بنی عمّها لیوصلها إلی أهلها فقامت إلیه وبکت وودّعته وقالت

۱- السید الجلیل ابن طاووس، اللهوف علی قتلی الطفوف، ص۱۰۵.

۲- ۲-عبد الرزاق الموسوی المقرم، مقتل الحسین علیه السلام، ص۲۵۳.

کـان الله عونـاً ومعینـاً خـار الله لـک أسألـک ان تـذکرنی فی القیمه عنـد جـدّ الحسـین علیه السـلام فقال لاصـحابه من أحبّ أن یصحبنی وإلا فهو آخر العهد منّی به.(۱)

ولا توجـد زوجه محبه لزوجها تـدفع زوجها إلی هذا المنعطف الخطیر وهی تعلم انه لا یعود أبداً، إلا إذا کان إیمانها عظیماً. وقد اشـاع الامـویون سابقا عن مجیء جیش عظیم لمهاجمه الکوفه فکانت النساء تسـحب أولادهنّ وأزواجهن من الشوارع وتعیـدهم إلی البیوت!!.

وفی هـذه القیمه تغیب الانـا ونجـد نکران الـذات یتجلی فی کثیر من المواقف فهـذه زینب علیهـا السـلام تتـابع الإمـام فی شؤون الحرب وتتفقـده وتتناسـی أو ربمـا تقصـی أمومتهـا فلاـ تسـأل حتی عن اولادها الـذین استشـهدوا قبل الامام! والامثله علی ذلک کثیره.

هاء . القیم الانسانیه والاخلاقیه

اشاره

وهی کثیره أشیر إلی البعض منها:

أ- قیمه الوفاء

۱ - وتتجلی هـذه القیمه فی بقـاء النسـاء إلی جنب الثائر فی أصـعب الظروف, وتتضـح الصوره أکثر حینما اعطی الإمام الرخصـه لمن کان معه بان یتخـذ هـذا اللیل جملا وینصـرف فی لیله العاشـر، وهنا نسـمع تباری الانصار فی بیان مواقف الاسـتماته وکانت النسـاء حاضـرات سواء النسـاء اللاـئی جئن مع الإمام أو اللائی جئن مع اسـرهن کأم وهب وأم عبـد الله بن عمیر الکلبی وغیرهن. فالکل سـمعوا بالرخصه لکن احـداًلم ینصـرف ولم نسـمع أبـداً أن هؤلاء النساء قـد شـجعن الرجال (الازواج والأبناء) علی ترک الإمام بل العکس هو الصحیح.

۱- السید الجلیل ابن طاووس، اللهوف علی قتلی الطفوف، ص ۷۱ - ۷۳.

۲ – وتتجلی هذه القیمه أیضاً فی وفاء السیده زینب علیها السلام فی عهودها مع الإمام فی حفظ العیال وفی حفظ مظاهر العز إلی غیر ذلک.

ب – قیمه استنکار الظلم

اشاره

ولها أکثر من مورد خاصه وان استنکار الظلم الذی لحق بآل البیت نجده بوضوح بعد الواقعه فی أمور منها:

۱ . موقف نساء ربیعه ومضر من عمر ابن سعد فی تولیه الإماره

جاء فی المقتل:

وکان من صنع المختار انه استأجر نساء یبکین علی الحسین ویجلسن علی باب دار عمر بن سعد، وکان هذا الفعل یلفت نظر الماره إلی ان صاحب هذه الدار قاتل سید شباب أهل الجنه، فضجر ابن سعد من ذلک وکلم المختار فی رفعهن عن باب داره، فقال المختار: ألا یستحق الحسین البکاء علیه، ولما اراد أهل الکوفه ان یؤمروا علیهم عمر بن سعد بعد موت یزید بن معاویه لینظروا فی أمرهم جاءت نساء همدان وربیعه، إلی الجامع الأعظم صارخات یقلن ما رضی ابن سعد بقتل الحسین حتی اراد ان یتأمر فبکی الناس واعرضوا عنه.(۱)

۲ – موقف النوار

ولما رجع کعب بن جابر إلی أهله عتبت علیه امرأته النوار وقالت: اعنت علی ابن فاطمه وقتلت سید القراء لقد اتیت عظیماً من الأمر والله لا أکلمک من رأسی کلمه أبداً فقال:

سلی تخبری عنّی وأنت ذمیمه

غداه حسین والرماح شوارع

۱– مروج الذهب، ج۲ / ۱۰۵ فی اخبار یزید.

الم آت اقصی ما کرهت ولم یخل

علی غداه الروع ما انا صانع(۱)

۳ – موقف العیوف

وکان منزل خولی الذی حمل رأس الحسین علی بعد فرسخ من الکوفه فأخفی الرأس عن زوجته الانصاریه لما یعهده من موالاتها لأهل البیت علیهم السلام الا أنها لما رأت من التنور نوراً راعها ذلک؛ إذ لم تعهد فیه شیئاً، فلما قربت منه سمعت أصوات نساء یندبن الحسین بأشجی ندبه، فحدثت زوجها وخرجت باکیه ولم تکتحل ولم تتطیب حزناً علی الحسین(۲).

۴ – موقف نساء المدینه لما جاء خبر استشهاد الامام علیه السلام

... وخرجت بنت عقیل بن أبی طالب فی جماعه من نساء قومها حتی انتهت إلی قبر النبی صلی الله علیه وآله وسلم فلاذت به وشهقت عنده ثم التفتت إلی المهاجرین والانصار تقول:

ماذا تقولون إن قال النبی لکم

یوم الحساب وصدق القول مسموع

خذلتمو عترتی أو کنتُمُ غیبا

والحق عند ولیِّ الأمر مجموع

اسلمتموهم بأیدی الظالمین فما

منکم له الیوم عند الله مشفوع

ما کان عند غداه الطَّف إذ حضروا

تلک المنایا ولا عنهنَّ مدفوع

فأبکت من حضر ولم یر باک وباکیه أکثر من ذلک الیوم.(۳)

وکانت أختها زینب تندب الحسین بأشجی ندبه وتقول:

۱- عبد الرزاق الموسوی المقرم، مقتل الحسین (علیه السلام)، ص ۲۵۰.

۲- أنساب الاشراف للبلاذری، ج ۵، ص ۲۳۸.

۳- امالی , الشیخ الطوسی ص ۵۵، وسماها ابن شهراشوب فی المناقب، ج ۲، ص ۲۲۷ اسماء.

ماذا تقولون إذ قال النبی لکم

ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعترتی وبأهلی بعد مفتقدی

منهم أساری ومنهم ضُرِّجوا بدم

ما کان هذا جزائی إذ نصحت لکم

أنْ تخلفونی بسوء فی ذوی رحمی(۱)

۵- امرأه من بنی بکر بن وائل

لم نعرف اسمها وعرفنا عشیرتها وکانت مع زوجها فی جیش عمر بن سعد یا للعجب!!. اذ روی حمید بن مسلم قال: رأیت أمرأه من بنی بکر بن وائل کانت مع زوجها فی أصحاب عمر بن سعد فلمّا رأت القوم قد اقتحموا علی نساء الحسین علیه السلام وفسطاطهنّ وهم یسلبونهنّ اخذت سیفاً واقبلت نحو الفسطاط وقالت یا آل بکر ابن وائل أتسلب بنات رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم لا حکم إلا الله یا لثارات رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فاخذها زوجها وردّها إلی رحله.(۲)

تُری کیف صانت هذه المرأه ولاءها وزوجها علی غیر مذهبها؟ وکیف اعلنت صرختها غیر خائفه ولا وجله؟. لقد قالوا یوما ان المرأه علی دین زوجها لکنها هنا اقوی من زوجها فی ایمانها وقوه شخصیتها.

۶- موقف أُم عبد الله ابنه الحر...

روی الطبری، قال: ومکث الحسین علیه السلام طویلاً من النهار کلما انتهی إلیه رجل من الناس انصرف عنه، وکره ان یتولی قتله وعظیم اثمه علیه قال: وان رجلاً یقال له مالک بن النسر من بنی بداء أتاه وضربه علی رأسه بالسیف وعلیه برنس له فقطع البرنس وأصاب السیف رأسه، فأدمی رأسه فامتلأ البرنُس دماً، فقال له الحسین:

لا أکلت بها ولا شَرِبت، وحشرک الله مع الظالمین.

۱- المقرم، عبد الرزاق الموسوی، مقتل الحسین (علیه السلام)، ص ۳۳۵.

۲- اللهوف، ص ۱۳۲.

قال: فألقی ذلک البُرنس ثمّ دعا بقلنسوه فلبسها واعتمّ وقد أعیا وبلّد، وجاء الکندی حتی أخذ البرنُس وکان من خزّ، فلمّا قدم به بعد ذلک علی امرأته أُمّ عبد الله ابنه الحرّ أخت الحسین بن الحرّ البدّی، أقبل یغسل البُرنس من الدمّ فقالت له امرأته: أسلب ابن بنت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم تدخل بیتی؟! أخرجه عنّی. فذکر أصحابه أنّه لم یزل فقیراً حتّی مات.(۱)

۷- ما ظهر من مواقف السیده زینب علیها السلام مع ابن زیاد ویزید

وکشاهد علی ذلک فی خطبتها امام اهل الکوفه:

ویلکم یا أهل الکوفه، أتدرون أی کبد لرسول الله فریتم؟ وأی کریمه له ابرزتم؟ وأی دم له سفکتم؟ وای حرمه له انتهکتم؟ لقد جئتم شیئاً إداً، تکاد السموات یتفطرن منه، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هدّاً!

کذلک ماورد فی خطبتها فی قصر یزید.

۸- موقف امرأه فی قصر یزید

قال الراوی: ثم جعلت امرأه من بین هاشم کانت فی دار یزید لعنه الله تندب علی الحسین (علیه السلام) وتنادی یا حبیباه یا سیّد أهل بیتاه یا ابن محمد یا ربیع الأرامل والیتامی یا قتیل أولاد الأدعیاء.(۲)

۹- موقف نساء أُخریات لم یکنّ مواليات ولکن لم یدُرْ فی خلدهن ان یزید سیقوم بارتکاب هذه الجریمه البشعه کزوجه یزید

قال الراوی: ولما رأت هند بنت عمرو بن سهیل زوجه یزید الرأس علی باب دارها والنور الإلهی یسطع منه ودمه طری لم یجف ویشم منه رائحه طیبه دخلت المجلس

۱- العلامه السید مرتضی العسکری، معالم المدرستین، ص ۴۴۵.

۲- السید الجلیل ابن طاووس، اللهوف علی قتلی الطفوف، ص ۱۷۹.

مهتوکه الحجاب وهی تقول: رأس ابن بنت رسول الله علی باب دارنا فقام إلیها یزید وغطاها..(۱)

ج – قیمه الصدق

فقد کان الاعلام الحسینی قائماً علی الصدق وکان ذلک واضحا فی کلمات النساء وفی خطبهن وفی ما اثرنه ضمن اجواء المصیبه عکس الرجال الأمویین الذین اعتمدوا الکذب والتزویر لتشویه الحقائق واخفائها ولکنهم فشلوا.

د – قیمه حفظ العز

۱ – موقف السیده زینب من الشامی الذی اراد فاطمه بنت الإمام جاریه.

۲ – موقف السیده زینب فی أخذ الطعام من الصغار رغم جوعهم الشدید. جاء فی المقتل: وأخذ أهل الکوفه یناولون الأطفال التمر والجوز والخبز فصاحت أم کلثوم(۲): إن الصدقه علینا حرام ثم رمت به إلی الأرض.(۳)

۳ – الاعتزاز بالشهاده

وهذا واضح من خطب النساء فی الکوفه والشام وقول السیده زینب علیها السلام لابن زیاد ما رأیت إلا جمیلاً، وغیر ذلک.

ه – قیم العطاء

وهی واحده من سمات أهل البیت علیهم السلام، غیر أنها فی الواقعه تجلت فی یوم عصیب یشیب الولدان أهمها کرم السیده زینب علیها السلام مع بشیر بن حذلم لما وصلوا المدینه.

۱– المقرم، مقتل الحسین علیه السلام، ص ۳۵۶.

۲– وفی کتاب: فی رحاب السیده زینب لمحمد بحر العلوم انها زینب الکبری.

۳– المقرم ص ۳۱۰.

قال ابن الأثیر واصفاً العوده: «فخرج بهم (بشر) فکان یسایرهم لیلًا فیکونون أمامه بحیث لا یفوتون طرفه. فإذا نزلوا تنحّی عنهم هو وأصحابه، فکانوا حولهم کهیئه الحرس، وکان یسألهم عن حاجتهم ویلطف بهم حتی دخلوا المدینه فقالت فاطمه بنت علی لأختها زینب:

لقد أحسن هذا الرجل إلینا فهل لک أن نصله بشیء؟

فقالت:

والله ما معنا ما نصله به إلا حُلیّنا.

فأخرجتا سوارین ودملجین لهما فبعثتا بهما إلیه واعتذرتا فرد الجمیع وقال: لو کان الذی صنعتُ للدنیا لکان فی هذا ما یُرضینی، ولکن والله ما فعلته إلا لله ولقرابتکم من رسول الله صلی الله علیه وسلّم».(۱)

و – قیمه الإیثار والتضحیه

وهذا یبدو واضحاً من خلال هجره النساء مع الإمام مع کل مشقات السفر وفقدان الراحه والخطر المحدق ولنا ان نتصور أوضاع النساء فی الخیام مع الأطفال وقد قطع الماء عن الجمیع, وقد ضحت هؤلاء النساء بأولادهن وازواجهن واخوانهن فی سبیل نصره الإمام، وکانت کلمات الفخر بالشهاده هی الظاهره علی الشفاه الیابسه ولم یسجل التاریخ ان السیده زینب سألت عن اولادها ابدا.

وتذکر الروایات ان امرأه واحده استشهدت فی الواقعه حیث منع الإمام علیه السلام النساء من القتال وهی زوجه عبد الله بن عمیر الکلبی، الذی أخذ أسیراً وقتل صبراً، (فمشت الیه زوجته ام وهب وجلست عند رأسه تمسح الدم عنه وتقول: هنیئاً لک الجنه اسأل الله الذی رزقک الجنه ان یصحبنی معک فقال الشمر لغلامه رستم:

۱- الکامل فی التاریخ، ج ۴، ص ۸۸.

اضرب رأسها بالعمود فشدخه وماتت مكانها وهی أول امرأه قتلت من أصحاب الحسين.(۱)

كما استشهد أطفال كثير ومنهم الطفله رقيه التی استشهدت فی الشام.

ز – قيمه الصبر

وهو احتمال المكاره من غير جزع ولعمری فالصبر من اكثر السجايا والقيم وضوحاً وظهوراً بالنسبه للنساء ويكفی انه رغم كل ما مر بهن من صعوبات وازمات ولكنهن بقين يكظمن الغيظ ويحبسن النفس عن الجزع ووضح هذا الأمر حتی من النساء العاديات جداً اللائی استشهد رجالهن أمامهن فی المعركه ونقرأ فی الزياره:

«سلام علی قلب زينب الصبور سلام علی من تظافرت عليها المصائب والكروب وذاقت من النوائب ما تذوب منه القلوب».

وفاضت زينب بالصبر علی من كان معها فهذا الامام زين العابدين يتزايد المه وحزنه وقلقه لمرأی تلك الاجساد الطاهره علی الرمضاء تصهرها حراره الشمس وقد فرق بين الرؤوس والأبدان وغابت الأبدن تحت اكوام السهام والطعنات فقد جاء فی المقتل:

وأما علی بن الحسين فانه لما نظر إلی أهله مجزرين وبينهم مهجه الزهراء بحاله تنفطر لها السماوات وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّا عظم ذلك عليه واشتد قلقه فلما تبينت ذلك منه زينب الكبری بنت علی عليه السلام أهمها أمر الإمام فأخذت تسليه وتصبره وهو الذی لا توازن الجبال بصبره وفيما قالت له:

«مالی أراك تجود بنفسك يا بقيه جدی وأبی وأخوتی فوالله ان هذا العهد من الله إلی جدك وأبيك ولقد اخذ الله ميثاق أُناس لا تعرفهم فراعنه هذه

۱- المقرم، عبد الرزاق الموسوی، مقتل الحسين (عليه السلام)، ص ۲۴۱.

الأرض وهم معروفون فی أهل السماوات انهم یجمعون هذه الأعضاء المقطعه والجسوم المضرجه فیوارونها وینصبون بهذا الطف علماً لقبر أبیک سید الشهداء لا یدرس اثره ولا یمحی رسمه علی کرور اللیالی والأیام ولیجتهدن أئمه الکفر واشیاع الضلال فی محوه وتطمیسه فلا یزداد أثره إلا علواً».((۱)

ولا أدری هنا کیف اصف ألموقف وکیف اُعبر أهل هو الثبات أم الصبر أم المواساه من أم المصائب وهی أمام المصائب کلها.

ها هو الامام السجاد یجود بألمه بعد مرضه وهذه زینب تجود بصبرها بعد اکوام الجراح. انها مؤشرات تعرّف بعظمه امرأه.

واو . قیم تکامل الشخصیه

اشاره

(وهی القیم التی تتعلق بشخصیه الفرد وسلوکه وشعوره الداخلی الذی ینعکس فی حرکاته وتصرفاته).(۲)

وهذه القیم تتیح للشخص التعامل السلیم مع الظروف المختلفه وتنعکس علی سلوکه الخارجی. ومن البدیهی أن الإعداد لها یتم منذ الصغر کیما یتم تنضیج الشخصیه من خلال البناء السلیم والمتوازن، وأهم هذه القیم:

أ – التکیف الذکی

ویعنی القدره علی التأقلم مع الظروف المختلفه فضلاً عن الصعبه والحرجه والأزمات. وهذا التکیف (أو ما یعبر عنه احیاناً بالتوافق الاجتماعی) یجُنب الإنسان الأمراض النفسیه أو الانهیارات العصبیه التی تطیح حالیاً بالإنسان المعاصر نتیجه عدم

۱- ۱- المقرم، عبد الرزاق الموسوی، مقتل الحسین علیه السلام، ص ۳۰۸.

۲- د. احمد علی کنعان، أدب الأطفال والقیم التربویه.

قدرته على مواكبه التغييرات فى الأوضاع والشؤون العامه والخاصه وهو مما يضاعف من نسبه الانتحار كتعبير سلبى عن عدم القدره على التوافق. أما الذين يعيشون أهدافاً عليا وكبيره ومهمه فيكون التكيف عندهم أسرع من حيث ان وجود الأهداف يخفف من حده الصواعق التى يتعرض لها الفرد.

ولقد تعرضت نساء الطفوف لأقسى الضغوطات ولأقسى أنواع العنف السياسى المتعدد لكنهن أثبتن مهاره عاليه فى التكيف مع الأوضاع الصعبه التى عاشتها وبخاصّه فى السبى والأسر وفى قصر يزيد وابن زياد وخربه الشام وهذه المرونه العاليه فى التكيف والتأقلم مع سمو الأهداف ازاحت كل خوف أو قلق.

ويسهم البناء السليم للشخصيه والتعود التدريجى على مواجهه الصعاب والمكاره مع عمق الإيمان بالله على التأقلم مع الظروف الصعبه والحوادث القاسيه والتى غالباً ما تكون القاطع العرضى لخط الحياه الطولى. وهذا يسوقنا إلى بحث تربوى وهو ان التربيه التى تقوم على الحمايه الزائده تقلل من قابليه التأقلم.

ب – التصميم والإراده

وتعنى قدره الفرد على المضى فى رأيه بكل قوه وحزم وصلابه وشجاعه وجرأه وثبات واصرار وبساله وقدره على مواجهه الصعوبات والاخطار.(۱)

وهذا واضح منذ بدايه مسير النساء مع الإمام انهن كن ذوات اراده واضحه ولم يحُلْ منع المانعين للإمام عن حمل النساء من ارادتهن أو تصميمهن. ورغم كل الصعوبات فقد بقين على ثبات واحد وعدم تراجع أو تردد طوال المسيره. والذى يتابع مسيره النساء فى المدينه والعوده إليها لا يجد موقفاً واحداً يدل على خوف أو ضعف أو تردد بل كانت الشجاعه كلها والثبات كله.

۱- نفس المصدر.

ج – الأمل بالمستقبل

ورغم كل ما تعرضن إليه فلم يجد اليأس إليهن سبيلاً، وهو ما كان يريده الأمويون من خلال تشديد العنف ضد النساء بكل أشكاله، ولكننا لا نجد صوره لليأس أبداً؛ اذ كان التفاؤل واضحاً فى كلمات السيده زينب عليها السلام أمام يزيد:

فكد كيدك، واسع سعيك، فوالله لن تمحو ذكرنا أبداً..

وهذا أيضاً يأتى من الإيمان بالله وبالأهداف الرساليه العليا .

د – الثقه بالنفس

وتعنى شعور الفرد بالتكامل الداخلى وبانه قادر على ان يعتمد على نفسه،(۱) ومن خلال مسيره النساء لم يظهر عليهن أى تردد أو خوف بل القوه والشجاعه كانت واضحه حتى عند أولئك النساء اللائى جئن مع ازواجهن إلى أرض الطفوف كأُم وهب.

وكانت حرائر أهل البيت عليهم السلام على ثقه كامله بالله وبالنفس فى انهن سيؤدين أدوارهن كامله فتقدمن لالقاء الخطب والبيان كاشف عن هذه الثقه.

ه – الجرأه الشخصيه

وتعنى شعور الفرد بالقدره على تحمل المسؤوليه واتخاذ القرار المناسب فى الوقت المناسب وقبول التحدى والصعوبات والاسراع باقتراح المبادرات النابعه من قناعه وإراده وتصميم بعيداً عن الهروب والانطوائيه.(۲)

ولعل فى ايواء طوعه لسفير الحسين مسلم بن عقيل أكبر دليل على هذه القوه الإيجابيه التى باتت فى وقت تهاوى فيه ولدها وبقيه الصناديد عن تقديم العون لمسلم خوفاً من العقاب الأموى.

۱- نفس المصدر.

۲- نفس المصدر.

۴ – الدور الإعلامی

اشاره

وهو من أهم الأدوار التی حملتها هؤلاء النساء وعلی رأسهن السیده زینب علیها السلام وهو أیضاً أحد أهم الأسباب التی دفعت الإمام علیه السلام إلی اصطحاب نسائه وعیاله إلی أرض المعرکه، وقد کان للدور الإعلامی النسوی الأثر الکبیر فی نشر وقائع الثوره والتعریف بشخوصها، واستطاعت اقتحام مرکز قوه العدو؛ لتمیط اللثام عن الحقائق التی حاول النظام اخفاءها من خلال حمله التشویه التی قام بها ضد شخوص الثوره، والإعلام بان هؤلاء سبایا الترک والدیلم، وان الذی قتل فی کربلاء هو من الخوارج. ولولا هذا الدور العظیم لماتت الثوره وأهدافها کما ماتت الکثیر من الأحداث المهمه التی شهدها التاریخ والتی یعود سبب الضیاع الأصلی إلی عدم وجود من یتولی المسؤولیه الإعلامیه.

ویمکن القول: إن هذا الدور قد بدأ منذ استشهاد الإمام علیه السلام وقد استمر حتی وصول السبایا إلی الشام ومن ثم المدینه حیث اقیمت مجالس العزاء التی هی إحدی صور هذا الخطاب. غیر ان البعض یری ان هذا الخطاب مازال مستمرا إلی یومنا هذا وهو سیستمر حتی الظهور حیث تظهر فیه الأمور علی حقائقها الناصعه(۱).

واذ یعد الإعلام أحد أهم المؤسسات التربویه فی المجتمع حیث تلعب وسائل الإعلام دوراً مهماً فی تشکیل الرأی العام أو توجیهه نحو مسار معین، ویسهم الإعلام الهادف أیضاً فی القضاء علی الشائعات والتی نجد لها صدی شعبیاً واسعاً عند الناس ویعتمد فی ذلک أسلوب بث المعلومات الصحیحه وتقدیمه الأدله والمستندات حول ما یعلنه أمام الملأ.

وقد اعتمد الأمویون سیاسه الإعلام المضلل لتبریر استیلائهم علی السلطه

۱- راجع محمد مهدی الآصفی، الخطاب الحسینی، المرحله الثانیه للثوره الحسینیه.

ولتبرير الكثير من الممارسات اللا- أخلاقيه التى قاموا بها فى اضطهادهم للكثير من المؤمنين الموالين, بل وحتى سب أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر اعتمدوا فى إبقائه كسنه ثابته أيام حكمهم على ما بثوه من أحاديث كاذبه تنتقص من مكانه أمير المؤمنين عليه السلام - والعياذ بالله - وتمسح عنه كل فضيله وكل آيه تذكره بمدح عظيم. ويمكن القول ان كل الأحداث التى جرت بعد الواقعه وبعد استشهاد الإمام من ثورات ومن تنامٍ للحقد على الأمويين يعود بالدرجه الأولى إلى الدور الإعلامى الذى اظهر مظلوميه أهل البيت عليهم السلام وبشاعه اعدائهم وهدّم منظومه القيم التى روجها الأمويون من خلال إعلامهم المضلل كالانهزاميه والجبريه والسكوت عن ظلم الحاكم الجائر إلى غير ذلك.

ويمكن تقسيم هذا الدور إلى ثلاثه مقاطع زمنيه متتابعه:

١ . المرحله الأولى وتبدأ منذ استشهاد الإمام عليه السلام إلى أسر النساء وحمل السبايا إلى الكوفه وإلى مجلس عبيد الله بن زياد.

٢ . والمرحله الثانيه تبدأ منذ خروج هذه القافله من الكوفه فى رحله المسير إلى الشام والى قصر يزيد.

٣ . والمرحله الثالثه هى مرحله عوده السبايا من الشام إلى كربلاء ثم إلى المدينه المنوره.

فهذا الدور الخطير يمر عبر هذه المراحل الثلاث المتتابعه زمنياً ومكانياً وهذه السعه والامتداد فى الأماكن والأوقات هو الذى أسهم فى تحقيق النجاح لهذا الدور.

كما ان الذين اشتركوا فى هذا الخطاب المهم هم السبايا والأسرى الذين حملهم عمر بن سعد إلى قصر الطاغيه فى الكوفه ثم الشام. فحرائر بيت الوحى هن اللاتى حملن مسؤوليه هذه المهام مع الإمام زين العابدين عليه السلام والذى كان مريضاً لا

يقوى على القتال ولكنه كان يقوى على تقديم الخطاب المطلوب. وعلى رأس الحرائر تأتى السيده زينب عليها السلام لتكون صاحبه الثقل الأكبر فى هذا الخطاب.. والمتأمل لهذه المراحل يرى انه لا توجد بينها فترات استراحه أو فتره هدنه مؤقته بل يستمر الألم من مرحله إلى مرحله ولنا ان نتصور حال هؤلاء النساء فى كل الأحداث الصعبه التى مرت بهن.

المرحله الأولى

اشاره

وتبدأ هذه المرحله منذ استشهاد الإمام عليه السلام.. حيث كانت النساء فى الخيام وقد علمن بمصرعه عليه السلام من خلال صوت الفرس الذى عاد باكياً، ومن ثم هجوم قوات العدو على معسكر الحسين عليه السلام فاحرقوا الخيام مما أدى إلى فرار النساء مذعورات خائفات من خيمه إلى خيمه حتى تم جمعهن فكنّ عشرين امرأه حملن إلى ابن زياد سبايا ضمن أربعين جملاً حملت العيال كلهم من النساء والأطفال مع الإمام زين العابدين عليه السلام.

ويمكن عرض أهم محطات هذه المرحله الإعلاميه:

ألف – مجيء النساء إلى أرض المعركه بعد الاستشهاد

قال الراوى:

بعد ان سير ابن سعد الرؤوس الى الكوفه بقى هو ليدفن قتلاه تاركا سيد شباب اهل الجنه على الرمضاء، فقالت النسوه: بالله عليك إلا ما مررتم بنا على مصرع الحسين، ولما نظرن إليهم مقطعى الأوصال قد طعنتهم سمر الرماح ونهلت من دمائهم بيض الصفاح وطحنتهم الخيل بسنابكها صحن وصاحت زينب: يا محمداه هذا حسين بالعراء مرمل بالدماء مقطع الأعضاء، وبناتك سبايا وذريتك مقتله فأبكت كل عدو وصديق حتى جرت دموع الخيل على حوافرها.

ثم بسطت یدیها تحت بدنه المقدس ورفعته نحو السماء وقالت: إلهی تقبل منا هذا القربان.(۱)

قالت السیده کلمتها هذه أمام الجیش الذی کان یعیش فرحه الانتصار وتداعب مخیلاته صور العطایا التی سیحصل علیها من ابن زیاد من مال وثروه وجاه واماره للری مرجوه عند قائد الجند.. لکن الحوراء علیها السلام قوضت نشوه الانتصار هذه من خلال رسالتها الکلامیه القصیره فلم تجعل کلماتها همساً لا یسمعه أحد بل لابد للجمیع ان یسمعوا ولا بد ان تُهَز ساعه الانتصار هذه بوخز الضمیر فجاءت کلماتها حمما حارقه لاحلام النشوه. وربما أجاز عمر بن سعد المرور علی مصارع القتلی؛ لأنه توقع انهیار عزائم النساء أمام الصوره المحزنه لمصرع الحسین علیه السلام وبانهن سیتهاوین أمام الجند الفرحین بحطام الدنیا وبهذا تتکامل نشوه الانتصار ویشعر بالفرح العظیم فی انه اقترب من حلمه!. غیر ان المشهد انقلب فکانت صلابهِ السیده وصبرها وافتخارها بالشهاده قد کسر نشوه الانتصار المزیف وکان خطابها أمام الجند والذی ینقله صاحب اللهوف مضیفاً إلیه قائلا:

فوالله لا أنسی زینب بنت علیّ علیه السلام تندب الحسین علیه السلام وتنادی بصوت حزین وقلب کئیب: یا محمداه صلی علیک ملائکه السماء هذا حسین مرمّل بالدماء مقطّع الأعضاء وبناتک سبایا إلی الله المشتکی والی محمد المصطفی والی علی المرتضی والی فاطمه الزهراء والی حمزه سیّد الشهداء واکرباه الیوم مات جدّی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یا أصحاب محمداه هؤلاء ذرّیّه المصطفی یساقون سوق السبایا وفی روایه: یا محمداه بناتک سبایا وذرّیّتک مقتّله تسفی علیهم ریح الصبا وهذا حسین محزوز الرأس من القفا مسلوب العمامه والرداء بأبی من اضحی عسکره فی یوم

۱- المقرم ص۳۰۷

الاـثنين نهبـا بأبى من فسـطاطه مقطّع العرى بأبى من لا غائب فيرتجى ولا جريـح فيـداوى بأبى من نفسـى له الفـداء بأبى المهموم حتّى قضـى بأبى العطشان حتّى مضـى بأبى من شيبته تقطر بالدماء بأبى من جدّه محمد المصطفى بأبى من جدّه رسول اله السماء بأبى من هو سـبط نبيّ الهـدى بأبى محمّـد المصـطفى بأبى خـديجه الكبرى بأبى علىّ المرتضـى عليه السـلام بأبى فاطمه الزهراء سيّده النساء بأبى من ردّت له الشمس صلّى. وقال الراوى: فابكت والله كلّ عدوّ وصديق...(۱)

هذه الكلمات الملفعه بالحزن تنطلق كسـيل جارف يذيب رعشات الانتصار المؤقت.. زينب عليها السلام بكل هذه الصلابه تقدم شكواهـا من هـذه الأـمه البـاغيه إلى الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم الـذى يـدعى الجميع طاعتهم له! وتنقل له صوره ريحانته المقطع الأوصال المحزوز الرأس المحترقه خيامه المنهوبه عياله.. شـكوى عظيمه قـدمتها السـيده أمام الملأ الغارق فى الـدنيا وهنا نخرج بخلاصه من الأمور كلها حول هذا الموقف:

۱- ان ماحصل كان قد كسر نشوه الانتصار لدى الجند الذى سمع الملامه الأولى والتقريع الخالد قبل ان يسمع تبريك الفوز!.

۲- كلامها عليها السـلام كان أمام المجرمين أنفسـهم الـذين قتلوا وذبحوا وأحرقوا وأسـروا وهو بمنزله وخز للضـمير الميت الذى ربما لم يلتفت وقتها إلى ما قدّم لكن الأحداث التاليه هزت مضجعه.

۳- كان كلامها أمام عمر بن سعد نفسه.. فقد جاء فى المقتل:

وانتهت نحو الحسـين وقد دنا منه عمر بن سـعد فى جماعه من أصـحابه، والحسـين يجود بنفسه! فصاحت: أى عمر أيقتل ابو عبد الله وأنت تنظر إليه؟ فصرف بوجهه

۱- اللهوف، ص ۱۳۳ - ۱۳۴.

عنها ودموعه تسيل على لحيته.(۱) وهو اول توبيخ لقائد الجيش الذى حقق انتصاره بقتل سيد شباب أهل الجنه وريحانه المصطفى وهو فى فرحه ونشوه!! فلا بد إذاً من تقريع أولى على ما قدمت يداه فهو الملام الاول الذى كان حاضرا فى ارض المعركه لتنفيذ أوامر اسياده ساحقا كل المقدسات! قال الراوى: فكأنّى أنظر إلى دموع عمر وهى تسيل على خدّيه ولحيته، وقال: وصرف بوجهه عنها.(۲) فلقد ذكّرته زينب عليها السلام بالرسول وبالحسين وبالمدينه التى تركها للفوز بولايه شبر من الدنيا!! لقد كانت كلماتها صفعه له أمام جنده. والموقف كان من الفجاعه والالم بحيث ان الإمام زين العابدين عليه السلام يشتد قلقه لما يرى جسد ابيه واخوته واعمامه بتلك الحاله..

باء – عند باب الكوفه

ثم تبدأ مسيره القافله الطويله.. مسيره الحزن والأسى من كربلاء باتجاه الكوفه ونساء بيت النبوه وحرائر الرساله ومعهن الامام السجاد وابنه الباقر عليه السلام، وبعد الزوال ارتحل إلى الكوفه ومعه نساء الحسين وصبيته وجواريه وعيالات الاصحاب وكنَّ عشرين امرأه، وسيروهنَّ على أقتاب الجمال بغير وطاء كما يساق سبى الترك والروم وهن ودائع خير الأنبياء ومعهن السجاد على بن الحسين وعمره ثلاث وعشرون سنه، وهو على بعير ظالع بغير وطاء وقد أنهكته العله، ومعه ولده الباقر، وله سنتان وشهور،(۳) والجميع فى وضع لا يحسدون عليه أبداً.. اركبوهن على الجمال بلا غطاء، ولا وطاء .. وهن النساء المرهقات اللائى لم تغفُ عيونهن ليله الأمس ولم يشعرن بطعم

۱- الكامل, ابن الأثير ج ۴، ص ۳۲؛ و تاريخ الطبرى ج ۶، ص ۲۵۹ طبع أول؛ ومقتل الحسين للمقرم، ص۲۸۴.

۲- العلامه السيد مرتضى العسكرى، معالم المدرستين، ص۴۴۷.

۳- المقرم، ص ۳۰۵.

الراحه وكلهن مفجوعات حائرات يرثين الأحبه فى القلوب فهـذه ترثى ولـدها وأخرى أباها وثالثه أخاها.. موكب حزين يسير مع القتله والمجرمين الذين قتلوا الأحبه ومثّلوا باجسادهم حقداً عليهم!... وهم يسيرون ما بين ضرب السياط وشماته الأعداء!!. (واخذ زجر بن قيس وصاح بهن فلم يقمن، فأخذ يضربهن بالسوط واجتمع عليهن الناس حتى اركبوهن على الجمال.(۱)).

لله.. هؤلاء السبايا!!

ويصل الموكب الحزين إلى الكوفه، وقد تجمع الناس من كل حدب وصوب بعد ان أعلن ابن زياد انهم سيأتون برأس الخارجى الـذى خرج على ابن زيـاد.. ولنا ان نتصور الموقف فهـذه زينب عليها السـلام تعود إلى الكوفه التى كان ابوها حاكما لها وكانت لها فيها مجالسـها الثقافيه مع نساء المـدينه.. وإذا بها تـدخلها اليوم أسيره مغلوله الايـدى مع جمع من النساء المسبيات وليس لهن حول ولا قوه.. وقد جاء الناس من كل حدب وصوب لرؤيه اسـرى الترك كما اعلن ابن زياد.. وهذا الجمهور المسـتغرق فى التيه قاده الفضول إلى بوابه الكوفه ليطالع السـبايا والرؤوس.. كأى حاله تستهوى الناس وتدفعهم للنظر والتطلع. وكان ابن زياد قد نشر إعلامه المضلل الذى يتحدث عن انتصاره وفرحه لقتل الخارجى الذى خرج على ابن زياد ويزيد.. وكانت الناس لا تدرى من هو الخارجى بدليل ما جاء فى مقتل الحسين للمقرم (وأشرفت عليهن امرأه من الكوفيات ورأتهن على تلك الحال التى تشجى العدو الألد فقالت: من أى الأسارى أنتم؟ قلن: نحن أسارى آل محمد!!).(۲)

الناس إذاً مجتمعون يدفعهم الفضول للنظر والتطلع. وموكب نساء أهل بيت

۱- المقرم، ص ۳۰۹.

۲- ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، ص ۱۴۵.

النبوه موكب حزين مفجع تتقدمه الرؤوس الشريفه وتعلو الصفره وجوه الصغار ويكاد يطيح الإرهاق بنفوس الجميع لكنه رغم كل هذه الاوجاع موكب يعرّف بشمائل الاسرى من خلال معالم الهيبه والوقار التى جللتهم.

وابتدأت السيده زينب عليها السلام خطابها العظيم، إذ يقول المقرم فى مقتل الحسين: ولقد أوضحت ابنه أمير المؤمنين عليه السلام للناس خبث ابن زياد ولؤمه فى خطبتها بعد أن أومأت زينب عليها السلام إلى ذلك الجمع المتراكم فهدأوا حتى كأنّ على رؤوسهم الطير وليس فى وسع العدد الكثير ان يسكن ذلك اللغط أو يردَّ تلك الضوضاء لولا الهيبه الإلهيه والبهاء المحمدى الذى جلّل «عقيله آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم».

فيقول الراوى: لما اومأت زينب ابنه على عليه السلام إلى الناس فسكنت الأنفاس والأجراس فعندها اندفعت بخطابها مع طمأنينه نفس وثبات جأش وشجاعه حيدريه.(۱)

[فكانت خطبتها العظيمه] فقالت صلوات الله عليها:

الحمد لله والصلاه على أبى محمد وآله الطيبين الأخيار، أما بعد يا أهل الكوفه، يا أهل الختل والغدر، أتبكون فلا رقأت الدمعه، ولا هدأت الرنه، إنما مثلكم كمثل التى نقضت غزلها من بعد قوه انكاثاً، تتخذون ايمانكم دخلا بينكم، ألا وهل فيكم إلا الصلف النطف(۲) والعجب والكذب والشنف(۳) وملق الاماء(۴)، وغمز الأعداء(۵)، أو كمرعى على

۱- المقرم، عبد الرزاق الموسوى، مقتل الحسين عليه السلام، ص ۳۱۰ - ۳۱۱.

۲- الصلف بفتحتين: الذى يتمدح بما ليس عنده، والنطف القذف بالفجور.

۳- الشنف: المبغض بغير حق.

۴- الملق: التذلل.

۵- الغمز: الطعن بالشر.

دمنه(۱)، أو كقصعه على ملحوده(۲) ألا بئس ما قدمت لكم أنفسكم ان سخط الله عليكم، وفى العذاب أنتم خالدون.

اتبكون وتنتحبون، أى والله فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً- فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً، وأنّى ترحضون، قتل سليل خاتم النبوه، ومعدن الرساله. ومدره حجتكم ومنار محجتكم، وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم. وسيد شباب أهل الجنه ألا ساء ما تزرون.

فتعساً ونكساً وبعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعى، وتبت الأيدى، وخسرت الصفقه، وبؤتم بغضب من الله ورسوله، وضربت عليكم الذله والمسكنه.

ويلكم يا أهل الكوفه، أتدرون أى كبد لرسول الله فريتم؟ وأى كريمه له ابرزتم؟ وأى دم له سفكتم؟ واى حرمه له انتهكتم؟ لقد جئتم شيئاً إدّاً، تكاد السموات يتفطرن منه، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هدّاً!

ولقد أتيتم بها خرقاء. شوهاء. كطلاع الأرض وملء السماء أفعجبتم أن مطرت السماء دماً، ولعذاب الآخره أخزى وهم لا ينصرون فلا يستخفنكم المهل، فانه لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثار، وان ربكم لبالمرصاد(۳).

وهنا أمر على الهيبه الزينبيه فهى (ما ان أومأت إلى الناس ان اسكتوا) فسكتوا.. يا للعظمه مجرد ايماءه! فلم تطلب منهم بلسانها بل بمجرد ايماءه!! وكان سكوتهم عظيماً

۱- الغرض التعريف بان الدمنه وان زها ظاهرها بالنبت الا انه لا يفيد الحيوان قوه لأنها مجمع الأوساخ والكثافات السامه القاتله فنتاج الدمنه لا يكون طيباً.

۲- (قصعه) بالقاف المثناه والصاد المهمله :وهى الجص تتناسب مع الملحوده التى هى القبر.

۳- المقرم، عبد الرزاق الموسوى، مقتل الحسين عليه السلام، ص ۳۱۱ - ۳۱۲.

(فسكنت الأنفاس والأجراس!!) وحينما نمر على الموكب الحسينى أمام بوابه الكوفه وقد اجتمع الناس من كل حدب وصوب للتفرّج عليهم. فان ثقل الفاجعه سيكون عظيما محبطا شديد الاحباط ومخرسا للجميع. وكثيرا مايكون من عوامل الخرس هو الازدحام الجماهيرى وبخاصه ان النفوس مرهقه مستغرقه فى شجون تهد الجبال هداً. فى هذه المحنه القاسيه تنبرى السيده إلى تقريع الناس ولومهم على تخاذلهم ونقضهم للعهود وجبنهم عن نصره الامام الذى دعوه للثوره وكان الناس يومها احوج ما يكونون لهذا العتاب الساخن كى يستيقظوا.. فما يكفى ان يعرفوا ان هذا الرأس المرفوع على السنان هو رأس ابن بنت المصطفى وسيد شباب أهل الجنه؛ اذ لابد من ان تهتز الضمائر وتتحرك الآهات وتعاد بلوره الحزن وتحويله إلى حزن فاعل مثمر للثورات فيما بعد. لقد كانت خطبه السيده زينب أمام جمهور الكوفه أول تعليق رسمى يصدر عن لسان أهل البيت عن الفاجعه ثم كانت خطبه السيده فاطمه بنت الحسين عليه السلام وخطبه أم كلثوم ثم خطبه الإمام زين العابدين عليه السلام. وقد تميزت خطبه السيده زينب عليها السلام بالقصر ولكنها حوت على معانٍ جليله أهمها:

١ . العتاب مع الموالين المتخلفين عن النصره (ويلكم يا أهل الكوفه).

٢ . بيان مقام الإمام الحسين عليه السلام (وانّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوه).

٣ . تعزيز الشعور بالاثم (فلقد ذهبتم بعارها وشنارها)، (فتعسا ونكسا وبعداً لكم وسحقا).

۴ . التذكير بالآخره والعذاب المنتظر (ولعذاب الآخره أخزى).

وسيأتينا شرح الخطبه الكامله فى نهايه الكتاب ونفس هذه الميزات الأربع كانت فى الخطب التاليه التى القيت فى الكوفه.

نعم القت السیده حمماً حارقه علی أهل الکوفه فی أول لقاء جماهیری، فاحترقت القلوب واکتوت بنار المصیبه حتی استطاعت تلک النار ان تذیب رکام الاثم الذی سببه تخلفهم وتقاعسهم عن نصره الإمام علیه السلام فانطلقت الثورات جارفه لکل القتله إلی محط اللعن الأبدی.

وتکرار الخطب یعنی تکرار اللوم والتقریع ویعنی تکرار عرض الحقائق فالذی فاتته الخطبه الأولی سیهتز عند الثانیه والذی فاتته الثانیه لابد من ان ینحدر باکیاً عند الثالثه.. ثم ان هذه الخطبه کانت نموذجاً لخطاب سیاسی بلیغ ومؤثر ویسلط الضوء علی المطلوب فی العملیه الإعلامیه وهذا واضح من تأثیره علی المتلقی الذی شعر بالانهیار أمام الحقائق المعلنه، ثم ان التکرار هو أحد أسالیب تغییر البرمجه الفکریه والعقلیه ولا ننسی أبداً ان هذه الخطب جاءت من قلوب مفجوعه فاستقرت فی قلوب بدأت تتفجع للمأساه.

ویمکن استقراء النتائج الأولیه لخطب النساء فی ما اورده صاحب اللهوف حیث یصف تفاعل الناس مع خطبه السیده زینب علیها السلام:

قال الراوی: فوالله لقد رأیت الناس یومئذ حیاری یبکون وقد وضعوا أیدیهم فی أفواههم ورأیت شیخاً واقفاً إلی جنبی یبکی حتّی اخضلّت لحیته وهو یقول بأبی أنتم وأمّی کهولکم خیر الکهول وشبابکم خیر الشباب ونساؤکم خیر النساء ونسلکم خیر نسل لا یخزی ولا یبزی.(۱)

وخطبت فاطمه بنت الحسین علیه السلام فقالت:

الحمد لله عدد الرمل والحصی، وزنه العرش إلی الثری، أحمده وأُؤمن به وأتوکل علیه، واشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شریک له وان محمداً عبده

۱- السید الجلیل ابن طاووس، اللهوف علی قتلی الطفوف، ص ۱۴۸ - ۱۴۹.

ورسوله. وان أولاده ذبحوا بشط الفرات، من غير ذحل ولا ترات.

اللهم انی اعوذ بک أن افتری علیک، وان أقول علیک خلاف ما انزلت من اخذ العهود والوصیه لعلی بن أبی طالب المغلوب حقه المقتول من غیر ذنب «کما قتل ولده بالامس» فی بیت من بیوت الله تعالی، فیه معشر مسلمه بألسنتهم، تعساً لرؤوسهم ما دفعت عنه ضیماً فی حیاته ولا عند مماته، حتی قبضه الله تعالی الیه محمود النقیبه، طیب العریکه، معروف المناقب، مشهور المذاهب، لم تأخذه فی الله سبحانه لومه لائم، ولا عذل عاذل، هدیته اللهم للإسلام صغیراً، وحمدت مناقبه کبیراً، ولم یزل ناصحاً لک ولرسولک، زاهداً فی الدنیا غیر حریص علیها، راغباً فی الآخره، مجاهداً لک فی سبیلک، رضیته فاخترته وهدیته إلی صراط مستقیم.

أما بعد یا أهل الکوفه، یا أهل المکر والغدر والخیلاء، فانا أهل بیت ابتلانا الله بکم، وابتلاکم بنا. فجعل بلاءنا حسناً، وجعل علمه عندنا وفهمه لدینا، فنحن عیبه علمه، ووعاء فهمه وحکمته، وحجته علی الأرض فی بلاده لعباده، أکرمنا الله بکرامته، وفضلنا بنبیه محمد صلی الله علیه وآله علی کثیر ممن خلق الله تفضیلاً.

فکذبتمونا وکفرتمونا، ورأیتم قتالنا حلالاً، وأموالنا نهباً، کأننا أولاد ترک أو کابل کما قتلتم جدنا بالأمس، وسیوفکم تقطر من دمائنا أهل البیت لحقد مقتدم، قرت لذلک عیونکم، وفرحت قلوبکم افتراء علی الله ومکراً مکرتم، والله خیر الماکرین، فلا تدعونَّکم أنفسکم إلی الجدل بما اصبتم من دمائنا، ونالت أیدیکم من أموالنا، فان ما أصابنا من المصائب الجلیله، والرزایا العظیمه «فی کتاب من قبل أن نبرأها، إن ذلک علی الله یسیر، لکیلا تأسوا علی ما فاتکم ولا تفرحوا بما آتاکم، والله لا یحب کل مختال فخور».

تباً لکم فانظروا اللعنه والعذاب، فکأن قد حل بکم وتواترت من

السماء نقمات، فيسحتكم بعذاب ويذيق بعضكم بأس بعض ثم تخلدون فى العذاب الأليم يوم القيامه بما ظلمتمونا، ألا لعنه الله على الظالمين.

ويلكم. اتدرون أيه يد طاعتنا منكم؟ وأيه نفس نزعت إلى قتالنا؟ أم بأيه رجل مشيتم إلينا؟ تبغون محاربتنا، قست قلوبكم وغلظت أكبادكم، وطبع الله على أفئدتكم، وختم على سمعكم وبصركم وسوَّل لكم الشيطان وأملى لكم، وجعل على بصركم غشاوه فأنتم لا تهتدون.

تباً لكم يا أهل الكوفه، أى ترات لرسول الله قِبَلَكم، وذحول له لديكم، بما عندتم بأخيه على بن أبى طالب جدى وبنيه وعترته الطيبين الأخيار، وافتخر بذلك مفتخركم.

نحن قتلنا علياً وبنى على

بسيوف هنديَّه ورماح

وسبينا نساءهم سبى ترك

ونطحناهُمُ فأىّ نطاح

بفيك أيها القائل الكثكث والأثلب(۱) افتخرت بقتل قوم زكاهم الله وطهرهم وأذهب عنهم الرجس فاكظم واقْعَ كما أقعى أبوك فانما لكل امرىء ما اكتسب. وما قدمت يداه.

حسدتمونا ويلاً لكم على ما فضلنا الله تعالى، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

يقول الراوى: فارتفعت الأصوات بالبكاء والنحيب وقالوا: حسبك يا ابنه

۱- فى تاج العروس: الاثلب بكسر الهمزه واللام وفتحهما والفتح أكثر الحجر وقيل دقائق الحجاره، وقال شمر الاثلب بلغه الحجاز الحجاره وبلغه تميم التراب وهو دعاء! وفى الحديث: الولد للفراش وللعاهر الاثلب وفيه ص ۶۴۰: الكثكث كجعفر وزبرج دقائق التراب ويقال: التراب عامه يقال بفيه الكثكث أى التراب.

الطاهرين فقد حرقت قلوبنا وأنضجت نحورنا وأضرمت أجوافنا فسكتت.(۱)

وقالت أُم كلثوم:

صه يا أهل الكوفه، تقتلنا رجالكم، وتبكينا نساؤكم. فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل الخطاب.

يا أهل الكوفه سوأه لكم، ما لكم خذلتم حسيناً وقتلتموه وانتهبتم أمواله، وسبيتم نساءه ونكبتموه، فتباً لكم وسحقاً، ويلكم أتدرون أى دواهٍ دهتكم واى وزر على ظهوركم حملتم. وأى دماء سفكتم وأى كريمه أصبتموها وأى صبيه أسلمتموها وأى أموال انتهبتموها قتلتم خير الرجالات بعد النبى ونزعت الرحمه من قلوبكم ألا إن حزب الله هم المفلحون. وحزب الشيطان هم الخاسرون.(۲)

وعن خطبه أم كلثوم:

قال الراوى: فضج الناس بالبكاء والنّوح ونشر النساء شعورهن ووضعن التراب على رؤوسهن وخمشن وجوههن وضربن خدودهن ودعون بالويل والثبور وبكى الرجال ونتفوا لحاهم فلم ير باكيه وباك أكثر من ذلك اليوم.(۳)

جيم – فى مجلس ابن زياد

حيث كانت أوامره بان تدخل السبايا مع الرؤوس إلى مجلسه العام!. نوعاً من التشفى بمصائب أهل البيت ونوعاً من بيان حقدهم عليهم واستخفافهم بكل ما هو مقدس، بل هو نوع من استعراض العضله الأمويه أمام هذا الركب الذى يقوده مريض

۱- المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ۳۰۵.

۲- المقرم، ص ۳۱۶.

۳- نفس المصدر، ص ۱۵۶.

عاجز عن حمل السلاح! قال الراوی:

لما رجع ابن زیاد من معسکره بالنخیله ودخل قصر الاماره ووضع امامه الرأس المقدس أذن للناس إذناً عاما وأمر بادخال السبایا مجلسه فادخلت علیه حرم رسول الله بحاله تقشعر لها الجلود.

ووضع رأس الحسین بین یدیه وجعل ینکث بالقضیب ثنایاه... وانحازت زینب ابنه أمیر المؤمنین علیه السلام عن النساء وهی متنکره لکن جلال النبوه وبهاء الإمامه المنسدل علیها استلفت نظر ابن زیاد فقال: من هذه المتنکره؟

قیل له: أبنه أمیر المؤمنین «زینب العقیله».

فأراد ان یحرق قلبها بأکثر مما جاء إلیهم فقال متشمتاً: الحمد لله الذی فضحکم وقتلکم وأکذب أحدوثتکم.

فقالت علیها السلام:

الحمد لله الذی اکرمنا بنبیه محمد وطهرنا من الرجس تطهیرا، انما یفتضح الفاسق، ویکذب الفاجر، وهو غیرنا.

قال ابن زیاد کیف رأیت فعل الله بأهل بیتک؟

قالت علیها السلام:

ما رأیت إلا جمیلا.(۱)

ویمکن ان نفهم تداعیات الموقف من خلال ما جری فیما بعد فی الکوفه نفسها، فقد جاء فی المقتل:

ولما وضح لابن زیاد ولوله الناس ولغط أهل المجلس خصوصاً لما تکلمت معه زینب العقیله خاف هیاج الناس فأمر الشرطه بحبس الأساری فی دار إلی جنب المسجد

۱- المقرم، عبد الرزاق الموسوی، مقتل الحسین علیه السلام، ص ۳۲۳ - ۳۲۴.

الأـعظم قـال حـاجب ابـن زيـاد: كنـت معهـم حيـن أمر بهـم إلى السـجن فرأيـت الرجـال والنسـاء مجتمعيـن يبكـون ويلطمـون وجوههم.(۱)

وقـد هـاجم ابن زيـاد عـدداً من الموالين معلنين بـذلك عن اسـتنكارهم لعمله كما فى موقف زيـد بن الأرقم وموقف ابن عفيف الازدى وجندب بن عبد الله الازدى رحمهم الله.

وبعـد كل الـذى حصل خاف ابن زياد على حكومته وعلى نفسه فأمر بارسال السـبايا إلى الشام مع الرؤوس وارتجت الكوفه كلها لتوديع أهل البيت عليهم السلام (وعجت نساء همدان بالبكاء)(۲) وضجّ الناس بالبكاء عندما غادر موكب أهل البيت

۱- المقرم, ۳۲۶.

۲- حياه الإمام الحسين للشيخ باقر القرشى، ج۳، ص ۳۶۸. يعلق الشيخ الآصـفى على ذلك بالقول: ان الـذى حدث لها ولأهل بيتها حَدَثَ بعلم الله وسـلطانه فقد كان الله يعلم بما يحدث فى كربلاء، وكان قادراً على أن يحول بينهم وبين ما صـنعوا بآل بيت رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم، والله تعالى جميل، رؤوف بعباده، ولو كان الذى حدث لآل البيت يضرّ بهم، لحال الله تعالى بينهم وبين مـا يريـدون، وكان الله تعالى على ذلك قـديراً، ولم يخرج الطاغيه فى بطشه وفتكه عن قبضه سـلطان الله تعالى. ولكن الله تعـالى جعـل ابتلاء المؤمنين بالخوف والجوع والنقص فى الأموال والأنفس والثمرات طريقاً إلى رضوانه وصـلواته ورحمته... وقـد جعل الله تعالى أهل البيت على طريق رضوانه ورحمته وصـلواته: ((وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَـيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (۱۵۵) الَّذِينَ إِذَا أَصَـابَتْهُم مُّصِـيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ (۱۵۶) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِـمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِـكَ هُمُ الْمُهْتَـدُونَ)). ولن يسـلك الإنسـان الطريـق إلى رضـوان الله ورحمته إلاـ من خلال هـذه الضـرّاء والبأساء، وما يصـيب الإنسان فى أزمات الابتلاء من زلزال فى النفوس ((أَمْ حَسِـبْتُمْ أَن تَـدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَـاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَـتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْـرُ اللّهِ أَلاـ إِنَّ نَصْـرَ اللّهِ قَرِيبٌ)). إنّ هـذه الهزّات والزلازل التى تصـيب المؤمنين وهذه البأساء والضرّاء والقتل هو السبيل السالك إلى رضوان الله ورحمته، وهذه مشيئه الله تعالى، وليس فى مشيئه الله إلا الجميل. والسيده زينب (عليها السلام) تدرك هذه البصائر من كتاب الله، وتعرف أن أخاها وأهل بيتها خرجوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وقـد قدّر الله تعالى وكتب لهم القتل، فبرزوا إلى مصارعهم بأمر من الله تعالى ورضاه وابتغاء لمرضاته، فلا ترى فيما أراد الله تعالى به وبها وبأهل بيتها إلا الجميل. وهى مطمئنه إلى ذلك، واثقه بذلك، فتقول وبكل ثقه واطمئنان فى جواب الطاغيه: «ما رأيت إلا جميلا» ولكن أنّى يدرك الطاغيه البليد هذا الجمال. وبهذه البصـيره الصافيه النفّـاذه تتجـاوز عواطفهـا وآلامهـا وتتقبل المصاب الفجيع بسـكون واطمئنان وقوّه وثقه بالله تعالى. وهى تعلم ان الله تعالى سوف يجمع بين أخيها الإمام الشهيد (عليه السلام) وبين الطاغيه الذى اسكرته نشوه النصر ومصرع الطيبين من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهناك ينقلب الحال، ويخزى الطاغيه ومن أمّره، ويفلح الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه. فتقول له، وهو فى نشوه النصر، وسكره الغرور: «وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجّ وتخاصم، فانظر لمن يكون النصر يؤمئذٍ».

علیهم السلام الکوفه مغلولین، قد أوثقوا بالحبال بحاله تقشعر من ذکرها الأبدان، وترتعد مفاصل الإنسان بل الحیوان، کما یقول الفاخوری.(۱)

وکان علی بن الحسین علیهما السلام یقول:

«تنوحون وتبکون فمن الذی قتلنا».(۲)

ویذکر الشیخ الصدوق فی الأمالی عن حاجب الطاغیه: (ان الطاغیه بعدما سمع اعتراض الناس ورأی سخطهم أمر بعلی بن الحسین علیه السلام فغل وحمل مع النسوه والسبایا إلی السجن، وکنت معهم فما مررنا بزقاق إلا وجدناه ملئ رجالاً ونساء یضربون وجوههم ویبکون، فحبسوا فی سجن وطبق علیها).(۳)

وتسیر قافله الحسین علیه السلام إلی الشام فی صوره محزنه وکان العناه والقتله

۱- الآصفی الخطاب الحسینی نقلا عن تحفه الأنام فی مختصر تاریخ الإسلام: ۸۴.

۲- المقرم نقلاً عن تحفه الانام من مختصر تاریخ الإسلام، ص ۸۴.

۳- آیه الله الشیخ محمد مهدی الآصفی، الخطاب الحسینی، المرحله الثانیه للثوره الحسینیه، ص ۹۱.

معهم وكلما دمعت عين واحد منهم ضربوه بالرمح كما يقول الإمام زين العابدين عليه السلام وسنمر على الموضوع فى تفصيل أكثر فى حادثه السبى.

لقد منعوا الإمام الحسين من دخول الكوفه كى لا تحصل ثورته فيها وأبعدوه إلى صحراء كربلاء حيث لا ناس هناك ينصرونه ولا مكان لبيوت أو منازل آهله فيهبون لنجدته وتقديم العون إليه وبذلك تكون ثورته عقيمه ميته لكن النساء نقلن الثوره إلى الكوفه كلها وبعدها إلى الشام كله والى كل المدن التى كانت فى المسير ونجحن فى هذا المشروع الكبير كما سيأتينا.

المرحله الثانيه من الدور الإعلامى

اشاره

وهى تبتدئ منذ وصول السبايا إلى الشام وتستمر حتى خروجهم منها فى مدّه قصيره ربما هى ثلاثه ايام لكن ثقلها فى المنظومه الحسينيه كان عظيماً.

فلقد كان يزيد على أحرّ من الجمر لرؤيه هذا السبى النبوى الذى يسيح جراحاً، وليسترجع الشعور بالنشوه والتعويض عن عقده الحقاره التى استقرت فى الظل الباطن للاموين على مدى عقود طويله ولهذا استعد يزيد أكثر من استعداد ابن زياد لإقامه الاحتفال الكبير الذى انتظره طويلا.

وفى أول يوم من صفر دخلوا دمشق فأوقفوهم على (باب الساعات) وقد خرج الناس بالدفوف والبوقات وهم فى فرح وسرور ودنا رجل من «سكينه» وقال: من أى السبايا أنتم؟ قالت: نحن سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.(۱)

وقد دخلوا مجلس يزيد فى حاله مؤلمه للغايه فقد أوثقوهم بالحبال فكان الحبل فى عنق زين العابدين إلى زينب وام كلثوم وباقى بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكلما قصروا عن المشى ضربوهم حتى اوقفوهم بين يدى يزيد وهو على سريره فقال على بن الحسين عليه السلام: ما ظنك برسول الله لو يرانا على هذا

۱- المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ۳۴۸.

الحال؟ فبکی الحاضرون وأمر یزید بالحبال فقطعت.(۱)

ویمکن مراجعه المقتل الحسینی لیکون هناک اطلاع عن کثب علی حال السبایا لما دخلن المجلس وعن فرح یزید وشماتته بهن واظهار حقده الدفین علی أهل البیت علیهم السلام.

ثم کانت خطبه السیده فی المجلس:

«الحمد لله رب العالمین، وصلی الله علی رسوله وآله أجمعین، صدق الله سبحانه حیث یقول:

((ثُمَّ کَانَ عَاقِبَهَ الَّذِینَ أَسَاؤُوا السُّوأَی أَن کَذَّبُوا بِآیَاتِ اللَّهِ وَکَانُوا بِهَا یَسْتَهْزِؤُون)).(۲)

اظننت یا یزید حیث اخذت علینا اقطار الأرض، وآفاق السماء، فأصبحنا نساق کما تساق الأساری ان بنا علی الله هوانا، وبک علیه کرامه، وان ذلک لعظم خطرک عنده فشمخت بأنفک، ونظرت فی عطفک، جذلان مسروراً، حین رأیت الدنیا لک مستوسقه، والأمور متسقه، وحین صفا لک ملکنا وسلطاننا فمهلاً مهلاً، انسیت قول الله تعالی:

((وَلاَ یَحْسَبَنَّ الَّذِینَ کَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِی لَهُمْ خَیْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِی لَهُمْ لِیَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِینٌ)).(۳)

أمن العدل یابن الطلقاء، تخدیرک حرائرک وإماءک، وسوقک بنات رسول الله سبایا، قد هتکت ستورهنَّ، وابدیت وجوههنَّ، تحدو بهنَّ الاعداء من

۱- نفس المصدر السابق، ص ۳۵۰.

۲- سوره الروم، الآیه ۱۰.

۳- سوره آل عمران، الآیه ۱۷۸.

بلـد الی بلد ویستشـرفهن اهل المناهل والمعاقل, ویتصـفح وجوههنَّ القریب والبعید، والدنی والشـریف، لیس معهنَّ من حماتهنَّ حمی ولاـ من رجـالهنَّ ولی، وکیف یرتجی مراقبه من لفظ فوه اکباد الازکیاء ونبت لحمه من دماء الشـهداء , وکیف یسـتبطأ فی بغضنا أهل البیت من نظر إلینا بالشنف والشنآن، والاحن والاضغان ثم تقول غیر متأثم ولا مستعظم:

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً

ثم قالوا: یا یزید لا تشل

منحنیـاً علی ثنایا أبی عبـد الله سـید شـباب أهل الجنه تنکتها بمخصـرتک وکیف لا تقول ذلک، وقـد نکأت القرحه واستأصـلت الشأفه، باراقتک دماء ذریه محمد صلی الله علیه وآله ونجوم الأرض من آل عبد المطلب وتهتف بأشیاخک زعمت انک تناديهم فلتردنَّ وشیکا موردهم ولتودَّنَ انک شللت وبکمت ولم تکن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت.

اللهم خذ لنا بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، واحلل غضبک بمن سفک دماءنا، وقتل حماتنا.

فوالله مـا فریت إلاـ جلـدک، ولاـ حززت إلاـ لحمک، ولتردنَّ علی رسول الله صـلی علیه وآله بما تحملت من سـفک دماء ذریته وانتهکت من حرمته فی عترته ولحمته، حیث یجمع الله شملهم، ویلمُّ شعثهم، ویأخذ بحقهم

((وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِینَ قُتِلُواْ فِی سَبِیلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْیَاء عِندَ رَبِّهِمْ یُرْزَقُونَ)).(۱)

وحسبک بالله حاکما، وبمحمد صلی الله علیه وآله خصیما، وبجبرائیل ظهیراً، وسیعلم من سوَّل لک ومکَّنک من رقاب المسلمین بئس للظالمین بدلاً وایکم شر مکاناً، واضعف جنداً.

ولئن جرَّت علی الدواهی مخاطبتک، إنی لأستصغر قدرک واستعظم

۱- سوره آل عمران، الآیه ۱۶۹.

تقريعك، واستكثر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرى.

ألا- فالعجب كل العجب، لقتل حزب الله النجباء، بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدى تنطف من دمائنا، والافواه تتحلب من لحومنا وتلك الجثث الطواهر الزواكى تنتابها العواسل، وتعفرها امهات الفراعل ولئن اتخذتنا مغنما، لتجدنا وشيكا مغرما، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك وما ربُّك بظلام للعبيد، والى الله المشتكى وعليه المعول.

فكدْ كيدك، واسعَ سعيك، وناصبْ جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا يرحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فندٌ وأيامك إلا عدد، وجمعك الا بدد، يوم ينادى المنادى ألا لعنه الله على الظالمين.

والحمد لله رب العالمين، الذى ختم لأولنا بالسعاده والمغفره ولآخرنا بالشهاده والرحمه، ونسأل الله ان يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافه، انه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

وقد اشتد الموقف فى الشام كما حصل فى الكوفه بعد خطبه الإمام زين العابدين عليه السلام وخطبه السيده زينب عليها السلام فى مجلس يزيد.. فقد احدثت هذه الخطبه هزه فى مجلس يزيد (وراح الرجل يحدث جليسه بالضلال الذى غمرهم وانهم فى أى واد يعمهون)، فلم ير يزيد مناصاً إلا- ان يخرج الحرم من المجلس إلى خربه لا- تكنُّهم من حرٍّ ولا- برد فأقاموا فيها ينوحون على الحسين عليه السلام(۱) ثلاثه أيام.(۲)

وفى بعض الأيام خرج السجاد عليه السلام منها يتروح، فلقيه المنهال بن عمر وقال له: كيف أمسيت يا ابن رسول الله؟ قال عليه السلام: أمسينا كمثل بنى اسرائيل فى آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، امست العرب تفتخر على العجم

۱- تاريخ الطبرى، ج۱، ص ۲۶۶؛ والبدايه لابن كثير ج۸، ص ۱۹۵.

۲- اللهوف ص ۲۰۷.

بان محمداً منها، وامست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمداً منها، وأمسينا معشر أهل بيته مقتولين مشردين فانا لله وانّا إليه راجعون.(۱)

قال المنهال: وبينما يكلمنى إذ امرأه خرجت خلفه تقول له: إلى اين يا نعم الخلف؟ فتركنى واسرع إليها فسألت عنها قيل: هذه عمته زينب.(۲)

محطات من خطاب السيده زينب عليها السلام فى قصر يزيد

لقد كان خطاب السيده زينب عليها السلام خطاب احتجاج امام الحكومه الامويه وعلى رأسها حاكمها فهو اذاً خطاب احتجاج واعتراض وتأنيب وتذكير بالوعد الالهى وأهم محطاته:

۱ . التذكير بأن الكرامه الإلهيه لا تقاس بالمظاهر الخارجيه التى كانت موجوده فشتان ما بين سبى النساء وسوقهن من بلد إلى بلد مع الرؤوس وبين ما كان عليه يزيد من نعيم وملك.

۲ . التذكير بقيم صيانه المرأه التى ما زال المجتمع حتى تلك الساعه يعتز بها ويحافظ عليها (تخديرك حرائرك وإماءك...). وهذا الأمر حينما يصدر من المرأه المتعرضه للحادث يكون اشد تأثيراً فكيف وان الاحتجاج انطلق من عقيله الهاشميين للخليفه يزيد وأمام الملأ؟.

۳ . بيان مكانه أهل البيت عليهم السلام، اذ تقول:

منحنياً على ثنايا أبى عبد الله سيد شباب أهل الجنه تنكتها بمخصرتك وكيف لا تقول ذلك، وقد نكأت القرحه واستأصلت الشأفه، باراقتك دماء ذريه محمد صلى الله عليه وآله ونجوم الأرض من آل عبد المطلب.

۱- المقرم ص ۳۶۰

۲- المقرم ص ۳۶۰.

۴ . التأكيد على الانتصار الحتمى لأهل البيت (فكد كيدك...) وهذا يعرّف بمقدار الأمل العظيم الذى كان عند النفوس المعذبه، وبمقدار يقينها ووعيها بأهدافها ورسالتها.

ومن البديهى ان خطبه السيده زينب عليها السلام وخطبه الإمام زين العابدين عليه السلام كانتا بمنزله الكشف الواعى عن المخطط الأموى كله فى ساحه تكنّ العداء لأهل البيت عليهم السلام، وكانت فرحه بانتصار الخليفه على من خرج على سلطانه وظلمه، ولكن النتائج جاءت معاكسه لذلك فاهتزت الشام.. ولقد احدثت خطبه العقيله زينب هزه فى مجلس يزيد وراح الرجل يحدث جليسه بالضلال الذى غمرهم ..

وقد استنكر عمله المقربون له منذ بدايه دخول السبايا إلى مجلسه واستنكر الحاضرون فى المجلس وقال ابو برزه الأسلمى: اشهد لقد رأيت النبى يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن عليه السلام ويقول: انتما سيدا شباب أهل الجنه قتل الله قاتلكما ولعنه واعد له جهنم وساءت مصيراً فغضب يزيد منه وأمر به فأخرج سحباً.(۱)

وقال يحى بن الحكم بن ابى العاص اخو مروان وكان جالساً عنده:

لَهامٍ بجنب الطف أدنى قرابه من ابن

زياد العبد ذى الحسب الوغل

سميه أمسى نسلها عدد الحصى

وليس لآل المصطفى اليوم من نسل

فضربه يزيد على صدره وقال: اسكت لا أم لك.(۲)

والتفت رسول قيصر إلى يزيد وقال: إن عندنا فى بعض الجزائر حافر حمار عيسى ونحن نحج إليه فى كل عام من الاقطار ونهدى إليه النذور ونعظمه كما تعظمون كتبكم

۱- نفس المصدر، ص۳۵۵.

۲- تاريخ الطبرى ج۱، ص ۲۶۵؛ وكامل ابن الأثير ج۴ص۳۷.

فأشهد انكم على باطل(۱) فأغضب يزيد هذا القول وأمر بقتله فقام إلى الرأس وقبّله وتشهد الشهادتين وعند قتله سمع أهل المجلس من الرأس الشريف صوتاً عالياً فصيحاً «لا حول ولا قوه إلا بالله».(۲)

ثم جعلت امرأه من بين هاشم كانت فى دار يزيد لعنه الله تندب على الحسين (عليه السلام) وتنادى يا حبيباه يا سيّد أهل بيتاه يا ابن محمداه يا ربيع الأرامل واليتامى يا قتيل أولاد الأدعياء.(۳) ولما رأت هند بنت عمرو بن سهيل زوجه يزيد الرأس على باب دارها والنور الإلهى يسطع منه ودمه طرى لم يجف ويشم منه رائحه طيبه دخلت المجلس مهتوكه الحجاب وهى تقول: رأس ابن بنت رسول الله على باب دارنا فقام إليها يزيد وغطاها..(۴)

وكان من أشد الناس انكاراً له ولده معاويه. فأخذ يزيد يثوب إلى عقله عندما أكثروا عتابه ولومه، وتكرر عليه انكار الناس، وقد ذكروا أن مروان كان يومئذٍ بالشام، فقال ليزيد - وهو يرى تردى الحاله الاجتماعيه والسياسيه وتصاعد انكار المسلمين على بنى أميه -: (لا يصلح لك توقف أهل بيت الحسين عليه السلام فى الشام فأعدّ لهم الجهاز، وابعث بهم إلى الحجاز).(۵)

وشعر يزيد بالندم فقال: ما كان علىّ لو احتملت الأذى وانزلته - أى الحسين - معى فى دارى، وكلمته فيما يريد. لعن الله ابن مرجانه، فقد بغّض بقتله إلىّ المسلمين، وزرع لى فى قلوبهم العداوه، فبغّضنى إلى البرّ والفاجر بما استعظم الناس فى قتلى حسيناً،

۱- المقرم، عبد الرزاق الموسوى، مقتل الحسين عليه السلام، ص ۳۵۵.

۲- المصدر نفسه ص ۳۵۰.

۳- السيد الجليل ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، ص ۱۷۹.

۴- المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ۳۵۶.

۵- الآصفى، آيه الله الشيخ محمد مهدى، الخطاب الحسينى، المرحله الثانيه، للثوره الحسينيه، ص ۱۱۴.

مالی ولابن مرجانه لعنه الله وغضب علیه.(۱)

ثم اقام مجالس العزاء فی الشام وأفرد یزید لأهل البیت علیهم السلام، داراً قریبه من قصوره (دار الحجاره) وأذن لهم بإقامه العزاء والنیاحه علی الحسین علیه السلام، من بعد ما کان ذلک محظوراً علیهم. فأقمن المأتم علی الحسین سبعه أیام، وکان یجتمع عندهنّ کل یوم جماعه کثیره لا تحصی من النساء.(۲) فلم تبق هاشمیه، ولا قرشیّه إلا لبست السواد حزناً علی الحسین علیه السلام.(۳)

وأیضاً روی المفید فی الإرشاد: إن الطاغیه أمر بالنسوه أن ینزلن فی دار علی حده معهن أخوهنّ علی بن الحسین، فأفرد له داراً یتصل بدار یزید فأقاموا أیّاماً(۴).

وأقمن المآتم علیه ثلاثه أیام.(۵)

وروی سبط ابن الجوزی فی التذکره قال:

قال الزهری: لما دخلت نساء الحسین علیه السلام وبناته علی نساء یزید قمن إلیهن، وصحن، وبکین، وأقمن المآتم علی الحسین علیه السلام.

وقال الشعبی: لما دخل نساء الحسین علیه السلام علی نساء یزید قلن:

واحسیناه، فسمعهنّ یزید، فقال:

یا صیحه تحمد من صوائح

ما أهون الموت علی النوائح(۶)

۱- الآصفی، الخطاب الحسینی نقلاً عن تاریخ الطبری: ۷/۱۹؛ وابن الأثیر: ۳/۳۰۰.

۲- نفس المهموم: ۴۵۱ عن کامل البهائی: ۲/ ۲۹۹ - ۳۰۲.

۳- الآصفی، الخطاب الحسینی، ص ۱۱۵.

۴- الآصفی، الخطاب الحسینی، نقلاً عن الإرشاد للمفید: ۲۳۱.

۵- نفس المصدر عن جلاء العیون لسید شبر: ۲/۲۶۴.

۶- الآصفی، الخطاب الحسینی نقلاً عن تذکره الخواص: ۱۵۰.

وكانت نتائج ذلك كله ان يزيد أمر بارجاع السبايا إلى المدينه.. لما خشى الفتنه وانقلاب الأمر عليه عجل باخراج السجاد والعيال من الشام إلى وطنهم ومقرهم، ومكَّنهم مما يريدون وأمر النعمان بن بشير وجماعه معه أن يسيروا معهم إلى المدينه مع الرفق.((۱)

المرحله الثالثه من الدور الإعلامى

اشاره

وساحتها المدينه المنوره ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

۱- القسم الأول يتحدث عن الدور الإعلامى المحدود قبل وصول السبايا

۲ - القسم الثانى يتحدث عن الدور الإعلامى بعد وصول السبايا وعوده الركب الحسينى إلى المدينه.

ألف – القسم الأول

وحيث اراد ابن زياد ان يعلن (انتصاره) فى المدينه فقد ارسل إليها من يخبرها بما جرى على الحسين عليه السلام وآل بيته قال الراوى: وكانت نساؤه وعياله سبايا فارسل ابن زياد عبد الملك بن الحارث السلمى إلى المدينه ليبشر عمرو بن سعيد الاشدق بقتل الحسين فاعتذر بالمرض فلم يقبل منه وكان ابن زياد شديد الوطأه «لا يصطلى بناره» وأمره أن يجدَّ السير فان قامت به الراحله يشترى غيرها ولا يسبقه الخبر من غيره فسار مجدَّاً حتى إذا وصل المدينه لقيه رجل من قريش وسأله عما عنده فقال له: الخبر عند الأمير ولما أعلم ابن سعيد بقتل الحسين فرح واهتز بشراً وشماته.

وأمر المنادى أن يعلن بقتله فى ازقه المدينه فلم يسمع ذلك اليوم واعيه مثل واعيه نساء بنى هاشم فى دورهن على سيد شباب أهل الجنه واتصلت الصيحه بدار «الاشدق» فضحك وتمثل بقول عمرو بن معد يكرب:

۱- ۶ - المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ۳۶۱.

عجَّت نساء بنی زیاد عجَّه

کعجیج نسوتنا غداه الأرنب

ثم قال: واعیه بواعیه عثمان.(۱)

وقد سمی بالاشدق لأنه اصابه اعوجاج فی حلقه إلی الجانب الآخر لاغراقه فی شتم علی بن ابی طالب علیه السلام(۲)، وکانت ردود الفعل ان المدینه اهتزت بالأمر فخرجت بنت عقیل بن أبی طالب فی جماعه من نساء قومها حتی انتهت إلی قبر النبی صلی الله علیه وآله وسلم فلاذت به وشهقت عنده ثم التفتت إلی المهاجرین والانصار تقول:

ماذا تقولون إن قال النبی لکم

یوم الحساب وصدق القول مسموع

خذلتمو عترتی أو کنتُمُ غیبا

والحق عند ولیِّ الأمر مجموع

اسلمتموهم بأیدی الظالمین فما

منکم له الیوم عند الله مشفوع

ما کان عند غداه الطَّف إذ حضروا

تلک المنایا ولا عنهنَّ مدفوع

فأبکت من حضر ولم یر باک وباکیه أکثر من ذلک الیوم.(۳)

وکانت أختها زینب علیها السلام تندب الحسین علیه السلام وتقول:

ماذا تقولون إذ قال النبی لکم

ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعترتی وبأهلی بعد مفتقدی

منهم أساری ومنهم ضرّجوا بدم

ما كان هذا جزائی إذ نصحت لكم

أنْ تخلفونی بسوء فی ذوی رحمی(۴)

۱- المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ۳۳۴.

۲- المقرم، مقتل الحسين عليه السلام نقلاً عن معجم الشعراء للمرزبانی ص ۲۳۱.

۳- أمالی الشيخ الطوسی ص ۵۵.

۴- المقرم، عبد الرزاق الموسوی، مقتل الحسين (عليه السلام)، ص ۳۳۵.

فأجابها ابو الأسود، وهو غارق فی البکاء والشجون:

((رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)).(۱)

وأخذ یقول:

أقول، وزادنی حنقاً وغیظا

أزال الله ملك بنی زیاد

وابعدهم، کما بعدوا وخانوا

کما بعدت ثمود وقوم عاد

ولا رجعت رکائبهم إلیهم

إذا وقفت بهم یوم التناد(۲)

وأقامت أم البنین زوجه أمیر المؤمنین العزاء علی الحسین علیه السلام، وکانت نساء بنی هاشم یجتمعن عندها للعزاء والنیاحه.(۳)

باء – القسم الثانی

إنّ الدور الإعلامی فی المدینه یبدأ مع عوده السبایا حیث اقیمت مجالس الحداد والعزاء باشراف أهل البیت أنفسهم.

وکان للحاله الأولی من وصول الخبر إلی المدینه أثره الکبیر فی تهیئه الأرضیه لما جری من حوادث فی القسم الثانی. فقد علم أهل المدینه بما جری علی الحسین علیه السلام وأهل بیته واقاموا مجالس العزاء.. روی ابن عساکر فی تاریخ دمشق: أن عبد الله بن عباس کان فی الحرم، إذ أسرّ إلیه شخص بالحادث المفجع فی العراق فذعر، واجهش بالبکاء. فسأله محمد بن عبد الله: ما حدث یا أبا العباس؟

قال: مصیبه عظیمه نحتسبها عند الله، وارتفع صوته بالبکاء، وانصرف إلی

۱- سوره الأعراف، الآیه ۲۳.

۲- حیاه الإمام الحسین للقرشی: ۳/۴۱۹.

۳- الآصفی، الخطاب الحسینی.

منزله، واقام فی منزله مأتماً علی الحسین علیه السلام واقبل الناس یعزّونه بمصیبه الحسین.(۱)

وکذلک عبد الله بن جعفر فقال ابن جریر: لما ورد نعی الحسین جلس عبد الله ابن جعفر للعزاء وأقبل الناس یعزونه فقال مولاه (ابو اللسلاس)(۲): هذا ما لقیناه من الحسین!! فحذفه بنعله وقال: یا ابن اللخناء أللحسین تقول ذلک؟! والله لو شهدته لأحببت أن لا أفارقه حتی اقتل معه، والله انه لمما یسخی بنفسی عن ولدیَّ ویهون علیّ المصاب بهما أنهما أصیبا مع أخی وابن عمی مواسیین له صابرین معه ثم أقبل علی جلسائه وقال: الحمد لله لقد عزّ علی المصاب بمصرع الحسین أن لا أکون واسیته بنفسی، فلقد واساه ولدای(۳)..

وهذا قد مهد لأن یکون هناک تجمع حاشد لأهل المدینه ما ان سمعوا بمقدم الإمام زین العابدین علیه السلام إلی المدینه.. یقول الراوی: ثم انفصلوا من کربلاء طالبین المدینه قال بشیر بن حذلم فلمّا قربنا منها نزل علیّ بن الحسین علیه السلام فحطّ رحله وضرب فسطاطه وانزل نساءه وقال: یا بشیر رحم الله اباک لقد کان شاعراً، فهل تقدر علی شیء منه؟ فقال بلی یا بن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم انّی لشاعر فقال علیه السلام ادخل المدینه وانع أبا عبد الله علیه السلام، قال بشیر: فرکبت فرسی ورکضت حتّی دخلت المدینه فلمّا بلغت مسجد النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم رفعت صوتی بالبکاء وانشأت أقول:

یا أهل یثرب لا مقام لکم بها

قتل الحسین فأدمعی مدرار

الجسم منه بکربلاء مضرّج

والرأس منه علی القناه یدار

۱- الآصفی، الخطاب الحسینی، المرحله الثانیه للثوره الحسینیه، نقلاً عن تاریخ ابن عساکر: ۱۳/۸۶.

۲- فی الإرشاد للشیخ المفید وکشف الغمه للاربلی ص ۱۹۴: ابو السلاسل.

۳- تاریخ الطبری ج۶، ص ۲۱۸.

قال ثمّ قلت هذا علیّ بن الحسین علیه السلام مع عمّاته واخواته قد حلّوا بساحتکم ونزلوا بفنائکم وأنا رسول إلیکم اعرّفکم مکانه، قال فما بقیت فی المدینه مخدّره ولا محجّبه إلا برزن من خدورهنّ مکشوفه شعورهنّ مخمّشه وجوههنّ ضاربات خدودهنّ یدعون بالویل والثّبور فلم أر باکیاً أکثر من ذلک الیوم ولا یوماً أمرّ علی المسلمین منه وسمعت جاریه تنوح علی الحسین علیه السلام فتقول:

نعی سیدی ناع نعاه فاوجعا

وأمرضنی ناع نعاه فأفجعا

فعینیّ جوداً بالدموع واسکبا

وجودا بدمع بعد دمعکما معاً

علی من دهی عرش الجلیل فزعزعا

فأصبح هذا المجد والدین أجدعا

علی ابن نبیّ الله وابن وصیّه

وإن کان عنّا شاحط الدّار أشسعا

ثم قالت: أیها الناعی جدّدت حزننا بأبی عبد الله علیه السلام وخدشت منّا قروحاً لما تندمل فمن أنت رحمک الله؟ فقلت أنا بشیر بن حذلم وجّهنی مولای علیّ بن الحسین علیه السلام وهو نازل فی موضع کذا وکذا مع عیال أبی عبد الله علیه السلام ونسائه قال: فترکونی مکانی فضربت فرسی حتّی رجعت إلیهم فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع فنزلت عن فرسی وتخطّیت رقاب الناس حتّی قربت من باب الفسطاط وکان علیّ بن الحسین علیه السلام داخلا فخرج ومعه خرقه یمسح بها دموعه وخلفه خادم معه کرسیّ فوضعه له وجلس علیه وهو لا یتمالک عن العبره وارتفعت أصوات الناس بالبکاء وحنین النسوان والجواری والناس یعزّونه من کلّ ناحیه فضجّت تلک البقعه ضجّه شدیده.(۱)

وأما نساء آل البیت علیهم السلام فقد هاجت بهن ذکریات الأمس القریب مع الأخوه والأعزه کیف خرجوا من المدینه جمعاً من الرجال والنساء ناصرین للإمام فی ثورته العظیمه فعادت النساء باکیات یندبن رجالهن..

۱- السید الجلیل ابن طاووس، اللهوف علی قتلی الطفوف، ص ۱۹۷ - ۲۰۰.

وکان من رثائهن فی أبی عبد الله علیه السلام:(۱)

مدینه جدّنا لا تقبلینا

فبالحسرات والأحزان جینا

خرجنا منک بالأهلین جمعاً

رجعنا لا رجال ولا بنینا

وکنا فی الخروج بجمع شمل

رجعنا حاسرین مسلبینا

وکنّا فی أمان الله جهراً

رجعنا بالقطیعه خائفینا

ومولانا الحسین لنا أنیس

رجعنا والحسین به رهینا

فنحن الضائعات بلا کفیل

ونحن النائحات علی أخینا

ألا یا جدّنا قتلوا حسیناً

ولم یرعوا جناب الله فینا

ألا یا جدّنا بلغت عدانا

مناها واشتفی الأعداء فینا

لقد هتکوا النساء وحمّلوها

علی الأقتاب قهراً أجمعینا(۲)

ثم أخذت زينب بنت أمير المؤمنين بعضادتى باب المسجد وصاحت:

- يا جَدَّاه إِنّى ناعيه إليك أخى الحسين.

وصاحت سكينه: يا جَدَّاه إليك المشتكى مما جرى علينا فوالله ما رأيت أقسى من يزيد ولا رأيت كافراً ولا مشركاً شراً منه ولا أجفى وأغلظ فلقد كان يقرع ثغر أبى بمخصرته وهو يقول: كيف رأيت الضرب يا حسين.(۳)

وأقمْنَ حرائر الرساله المأتم على سيد الشهداء ولبسْنَ المسوح والسواد نائحات الليل والنهار والإمام السجاد يعمل لهن الطعام.(۴)

۱- الأغانى، لأبى الفرج الاصفهانى، ج۲، ص ۱۵۸.

۲- الآصفى، الخطاب الحسينى، نقلاً عن منتخب الطريحى: ۳۵۷.

۳- المقرم نقلا عن رياض الأحزان، ص ۱۶۳.

۴- المقرم نقلا عن محاسن البرقى ج۲، ص ۴۲۰، باب الإطعام والمأتم.

وفی حدیث الإمام الصادق علیه السلام:

ما اختضبت هاشمیه ولا ادهنت ولا أُجیل مرود فی عین هاشمیه خمس حجج حتی بعث المختار برأس عبید الله بن زیاد.(۱)

وأما الرباب فبکت علی أبی عبد الله حتی جفَّت دموعها ومما قالته فی رثاء زوجها الحسین علیه السلام:

إنَّ الذی کان نوراً یُسْتَضاء به

بکربلاء قتیل غیر مدفون

سبط النبیِّ جزاک الله صالحه

عنّا وجنبت خسران الموازین

قد کنتَ لی جبلا صعباً ألوذ به

وکنتَ تصحبنا بالرحم والدّین

مَنْ للیتامی ومَنْ للسائلین ومَنْ

یغنی ویأوی إلیه کلُّ مسکین

والله لا ابتغی صهراً بصهرکمُ

حتی أُغیَّب بین الرمل والطِّین(۲)

وکانت زینب بنت علی علیه السلام لا تجف لها عبره ولا تفتر من البکاء والنحیب، وکلّما نظرت إلی علی بن الحسین علیه السلام ابن أخیها تجدّد حزنها وزاد وجدها.(۳)

ومن ثم اقیمت مجالس العزاء فی المدینه برعایه أهل البیت علیهم السلام واستمرت هذه المجالس فی توجیه الناس نحو قیم الثوره الحسینیه حتی وقتنا الحاضر.

الدور الإعلامی فی المیزان

کربلاء تمثل حادثه منفرده فی کل احداثها وشخوصها وزمانها ومکانها وحتّی حضور النساء فی هذه الواقعه کان متمیزاً ومختلفاً عما سواه. فمن المعلوم انه کانت

۱- مستدرک الوسائل ج۲، ص ۲۱۵ باب ۹۴.
۲- المقرم، مقتل الحسین علیه السلام، ص ۳۷۶.
۳- الآصفی، الخطاب الحسینی، نقلاً عن منتخب الطریحی: ۳۵۸.

للنساء مشاركات فی المعارک فیما سبق، اذ یحضرن اما عاملاً لتقویه المعنویات کما حصل فی معرکه أحد حیث حضرت نساء قریش خلف المقاتلین وهن یرتجزن:

نحن نساء طارق

نمشی علی النمارق

ان تقبلوا نعانق

أو تدبروا نفارق

والهدف من کل ذلک هو دفع الرجال للقتال. واما ان تحضر النساء فی الحروب للتمریض کما فی صوره رفیده التی کانت تضمد جراحات المسلمین.. وغالباً ما ینتهی دور النساء بانتهاء المعارک وعوده المقاتلین، اما فی واقعه الطف فالأمر کان متبایناً جداً فقد کان حضور النساء إلی کربلاء هو لأداء أدوار جدیده وتولی مهام استمرت حتی بعد انتهاء المعرکه. فالملاحظ ان الدور الإعلامی استمر حتی وصول النساء إلی المدینه حیث اقمن مجالس العزاء وکشفن عن الصوره الواقعیه لمقتل الامام علیه السلام الأمر الذی دفع والی المدینه إلی إخراج السیده زینب علیها السلام عن المدینه، فضاق الوالی الأموی بذلک ذرعاً، وکتب إلی یزید کتاباً یقول فیه:

«ان وجود زینب ابنه علی بین أهل المدینه مهیج للخواطر، فانها فصیحه عاقله لبیبه، وقد عزمت هی ومن معها علی القیام للأخذ بثأر الحسین، فعرفنی رأیک».(۱)

علی هذا یمکن القول ان هذا الدور قد اعطی للمرأه صوره جدیده عن أدوار مستقبلیه یمکن ان تؤدیها، وأهم ما نلاحظه فی هذا الدور هو قدره النساء علی تهییج مشاعر الناس وایقاظ الحس الإیمانی والانسانی وتجمیع الطاقات وشحذ الهمم بشکل فعال أدی إلی قیام الثورات علی الأمویین وظهورها وأولها ثوره التوابین عام ۶۲ ه. أی بعد أمد یسیر من معرکه الطف وهذه اشاره إلی نجاح الدور الإعلامی وتحقیق أهدافه الخالده.

۱- محمد بحر العلوم، فی رحاب السیده زینب، ص ۱۹۷.

ولقد تميزت خطب النساء وكلماتهن فى هذا الدور بأمور نذكر أهمها:

١ . ان عموم الخطب والكلمات كانت تحمل منظومه قيميه جديده أسهمت وإلى حد كبير فى تغيير المنظومه السابقه التى زرعها الإعلام الأموى الكاذب فبدل الاستكانه اصبح الجهاد والتضحيه من أجل الشهاده وبدل الخوف من اظهار الولاء كان هناك الاعلان عن محبه آل البيت عليهم السلام بدليل ان الثورات كلها انطلقت من مبدأ الولاء لآل البيت عليهم السلام، وبدل الخضوع للدنيا والركون إليها والرضا بالظلم كان التفكير بالآخره والتسابق نحو الشهاده ورفض الظلم واعلان الثوره عليه.. وهذا يشير إلى مقدار الكم القيمى الذى حملته النساء والذى ظهر واضحا من خلال السلوك والأفعال، اذ اننا لا نجد فى هذه الخطب والكلمات أى شىء يتنافى مع الأدب العام أو اللياقه. فليس هناك فحش أو سب، أو شتم بل هو خطاب يتعالى عن كل هذه الصفات. وهذا يوصلنا إلى مطاف آخر ان ثوره الإمام كانت قيميه أخلاقيه تغييريه كبرى أدت إلى إعاده النظام الأخلاقى للناس بعد انهياره وغرق الناس فى مستنقع الفوضى والفساد الأخلاقى.

٢ . ولأنه كان خطاباً قيمياً فقد استقر على اعمده الصدق والصراحه. إذ لم تنقل هؤلاء النساء كذباً أو زوراً والعياذ بالله، بل نقلن الحقائق المؤلمه التى مرت بهن، ونقلن الصوره كما هى من خلال أوضاع السبى والانتقال من بلد إلى آخر فكانت خير صوره ناطقه لما جرى من أحداث، فى حين اعتمد الإعلام الأموى على التضليل والتشويه ومهما استعان هذا الإعلام بمقدرات القوى الظاهريه فانه خطاب لا يدوم؛ لأنه لا يستقر على أعمده قويه وأهمها الصدق.

٣ . ثم انه كان خطاباً انسيابياً إذ لم يكن هناك أى تكلف فى مفرداته أو فى إيصاله إلى المتلقى؛ فقد كان الخطاب هو نقلاً لصوره مستقره فى قلوب أُضيئت بأنوار الهدايه

إلى البشر الغارقين فى سرادق الوهم. ولهذا لم تكن هناك حاجه للتكلف الزائد؛ لأنه انعتاق الحقيقه إلى النور فهو إذاً خطاب القلب المجروح. ولأنه خطاب نابع من القلب، فلا بد أن يستقر فى القلوب التى خرجت تبحث عن الحقائق فجاءتها كسحاب مطر شديد بعد ازمه جفاف.

۴ . وهو أيضاً لم يكن خطاباً فكرياً بحتاً استهدف خطاب العقل معتمداً على النظريات والأدله والنتائج بشكل يثقل على الإنسان البسيط والعادى فهمه. كما انه لم يكن خطاباً عاطفياً مجرداً يهمه تصوير المأساه بشكل خاوٍ دون تحريك العقل البشرى، فهو إذاً خطاب فكرى عاطفى اراد ان يحقق انتصاراً فكرياً فى التعريف بأصحاب الثوره وفى التأكيد على مبدأ الولاء لأهل البيت عليهم السلام وفى التعريف بمتطلبات هذا الولاء، كما انه حقق انتصاراً عاطفياً من خلال صور الحزن التى رافقت المشهد الثقافى. ولهذا نجح الخطاب فى تحريك القلوب والعقول، ومن ثمَّ فلا بد من حركه سلوكيه واضحه تعبر عن فهم الخطاب واستيعابه وبهذا تكون مؤشرا على نجاحه فكانت الثورات القاصمه للوجود الأموى وكانت مجالس العزاء نموذجاً خالداً لهذا الفهم.

۵ . كما انه لم يكن خطاباً عادياً أبداً، لم يكن مجرد كلمات بسيطه كما هى العاده فيما تتفوه به النساء. بل كان خطاباً بليغاً بل هو قمه فى الفصاحه والمتانه الأدبيه والصياغه اللفظيه بما يوحى انه انبعث من أناس على درجه عاليه من الفهم والوعى الثقافى وهذا نجده فى كل الخطب. وقد اشاد الإمام السجاد عليه السلام بخطاب عمته زينب عليها السلام فقال لها: انت بحمد الله عالمه غير معلمه فهمه غير مفهمه.(۱)

لقد القت النساء خطبا عديده وهن فى مراحل عمريه متفاوته كما ان نسبتهن مع الشهداء كانت مختلفه. فقد كانت السيده زينب عليها السلام فى الخمسين فى حين كانت

۱- المقرم، عبد الرزاق الموسوى، مقتل الحسين، نقلاً عن الاحتجاج الطبرسى ص۱۶۶.

فاطمه بنت الحسين عليه السلام فى الثلاثين لكن مع ذلك لا نجد تفاوتاً ثقافياً أو بلاغياً واسعاً بين الخطب.

۶. وهو أيضاً لم يكن خطاب اناس قانطين او اناس استبدبهم اليأس فأرادوا تفريغ حمولتهم ابداً فقد كان نبراس الأمل معهم فى كل أدوارهم(۱). ونحن نلمس مواقع عده للأمل والتفاؤل بمستقبل يسحق بنى أميه ويُعلى من شأن آل البيت عليهم السلام ونذكر لذلك مثالاً هو خطاب السيده زينب عليها السلام مع يزيد (كد كيدك، واسع سعيك، فوالله لا تمحو ذكرنا أبداً ولا تميت وحينا ولا يرحض عنك عارها وهل رأيك الا فند وأيامك إلا عدد وجمعك إلا بدد).

۷ . ثم ان الخطاب أكد على قيمه الانتصار، انتصار الإمام وانتصار مبادئه وانتصار خط الولاء رغم ان الإعلام الأموى ابتهج بانتصار الخليفه على الخارجى واعلن الفرح والزينه.. وتأكيد الانتصار يبدو فى أكثر من موقع واشاره وهو اذ أكد الانتصار فانه أكد مظلوميه أهل البيت عليهم السلام واستعرض مكانتهم بشكل شد العقول إلى الكلمات فكانت ثورات.. كما تقول فاطمه بنت الحسين عليه السلام فى خطبتها: «كما قتل ولده بالأمس فى بيت من بيوت الله تعالى، فيه معشر مسلمه بألسنتهم، تعساً لرؤوسهم ما دفعت عنه ضيماً فى حياته ولا عند مماته، حتى قبضه الله تعالى إليه محمود النقيبه، طيب العريكه، معروف المناقب، مشهور المذاهب، لم تأخذه فى الله سبحانه لومه لائم، ولا عذل عاذل، هديته اللهم للإسلام صغيراً، وحمدت مناقبه كبيراً، ولم يزل ناصحاً لك ولرسولك، زاهداً فى الدنيا غير حريص عليها، راغباً فى الآخره، مجاهداً لك فى سبيلك، رضيته فاخترته وهديته إلى صراط مستقيم».(۲)

۱- راجع مواساه السيده زينب عليها السلام للإمام السجاد عليه السلام، المقرم، مقتل الحسين عليه السلام ص ۳۰۸.

۲- المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ۳۱۴.

۸ . والعجيب ان هـذا الخطاب كان شـجاعاً قوياً قال كلمته فى الوقت الذى تراجع فيه الصـناديد عن بيان آرائهم او اعلان ولائهم ونصـرتهم لمن يطلب النجـده بشـكل لاـ يتنـاسب حتى مع الاخلاق العربيه المعروفه. كان الخطاب شـجاعاً أمام المجرمين والقتله وكل واحـده منهن كانت امرأه عزلاء خاويه من كل سـلاح إلا سـلاح الإيمان والقيم امام هذه الجموع المصـفوفه أمامها الشاهره سيوفها وحرابها.. هؤلاء النساء صـببن الحمم الخطابيه البلاغيه فى وقت غفله الناس وجبنهم وتخاذلهم وتراخى قواهم فجاءت هذه الكلمات لتُحيى الشـجاعه فى نفوسـهم، ولهذا مررنا فيما تقدم من البحث على مواقف قوه وشجاعه ظهرت فى مجالس الحاكمين وأحياناً خارجها من أناس عزل.. لقد اكتسبوا الشجاعه بفعل الخطاب الشجاع...

۹ . ثم ان هـذا الخطاب كان منوّعاً متعـدد الوجوه والمسالك وهو يعطى لكل شـريحه ما تحتاجه من الخطاب؛ فمع الموالين لابد من وخز الضـمير وتعزيز الشـعور بالاـثم كى يعـودوا أدراجهم محـاسبين أنفسـهم عن تقصـيرهم فى نصـره الإمـام. فى حين امـام الاعـداء كان الخطاب فاضـحاً لأفعالهم متوعداً بخيبه خططهم منذراً بأفول دولتهم وعاكساً للاعتزاز بالشـهاده والتضـحيه والتفاخر بآل البيت حسـباً ونسـباً وموقفاً وهذا ان دل على شـىء فانما يدل على قوه الذكاء لدى هؤلاء النساء والقدره العاليه على تشخيص ما هو مطلوب وضرورى لكل حدث وواقعه.

۱۰ . ويمكن القول فى نهايه المطاف: إن هـذا الخطاب قـد نجـح فى كسـر الصوره النمطيه التى سادت آنذاك عن المرأه، وهى صوره سـلبيه لاـمرأه ضـعيفه بعيـده عن هموم المجتمع غـارقه فى ذاتها، عاجزه عن اتخاذ أى موقف له اثره فى حياه الناس والأمه فـإذا بهـذا الإعلاـم النسـائى يقـدم لنا صوره المرأه القويه فى الله.. الحامله هموم الأمه والساعيه لتغيير الواقع عبر مجابهه الظالمين، وقدم لنا المرأه التى تعيش الولاء خطا ورساله وفكراً

ومنهجا لا مجرد تمتمات لسان .. وبهذا نقف فی الدور الإعلامی أمام نساء عظیمات لهن القدره علی احتمال المصائب وابتلاع الهم وتغییر أمور الناس.. فهل تصل نساؤنا المعاصرات إلی هذه الصوره؟.

یقول الشیخ مطهری فی الملحمه الحسینیه: حول تأثیر شخصیه عیال الحسین علیه السلام فی التبلیغ وهو التبلیغ الذی حمل دورین؛ دور التعریف بالإسلام، ودور اعلام الناس ووضعهم بالصوره الصحیحه عما کان یجری وأحداث العمل الآخر الذی تمکن أهل البیت علیهم السلام من انجازه هو تحقیق الاتصال الجماهیری والتحدث إلی الجمهور وعلی منبر العدو نفسه فی الوقت الذی لم یکن مثل ذلک الأمر ممکنا قبل الحادثه واثناءها لخوف الناس وعدم تجرئهم علی الاتصال بآل البیت علیهم السلام بسهوله.(۱)

۵ – روایه المقتل الحسینی

کیف کان بامکاننا ان نفهم ما جری فی کربلاء إزاء التضلیل الإعلامی وتزییف الحقائق والوقائع الذی اعتمدته السیاسه الأمویه ورصدت له مبالغ ضخمه وامکانیات عظیمه ؟ وکیف نعرف ما هی الأحداث التی حصلت یوم العاشر من محرم؟ .

یجیب الشهید السید محمد الصدر فی کتابه أضواء علی الثوره الحسینیه علی کل هذه التساؤلات بالقول:

ان الرواه الأوائل لحادثه الطف هم:

۱ . الأئمه المعصومون.

۲ . النساء من ذریه الحسین وذریه أصحابه، فمن الممکن ان یتحدثن عما رأینه عن تلک التفاصیل.. وتُعَدُّ کل واحده منهن شاهد حال حاضر للواقعه.

۱- مطهری، مرتضی: الملحمه الحسینیه، ج۳، ص ۲۳۷.

فلقد تكلمت النساء فى كل مكان وصلن اليه عما جرى فى كربلاء، وعن حكايه الرأس المرفوع على السنان والتعريف بالسبايا واستخدمن فى ذلك كل ما لديهن من قدرات كلاميه وبيانيه فى التعريف بالمقتل الحسينى وبهذا نبذ الناس الروايه الأمويه التى بثوها عن الإمام ومقتله عليه السلام وتمسكوا بروايه هؤلاء النساء فى الكشف عن أحداث الواقعه المأساويه الكبرى. فأمام التضليل الأموى كان كلام النساء هو الوحيد الذى رد على التشويه فى الحقائق وصوت النساء هو الصوت الاول الذى اخترق الحصار الاموى للاعلام.

ورغم ان البعض يحجم هذا الدور باعتبار ان النساء كن فى الخيام ولا يمكنهن سرد كل الوقائع حيث ان السيد محمد الصدر يعقب على ذلك بالقول: ومع ذلك يجب ان لا نبالغ فى ذلك لأمرين الأول ان النساء كن موجودات فى الخيام ولسن مشرفات على الواقعه ولا متابعات للحوادث ولا يعرفن أشخاص الرجال الأجانب باسمائهن؛ الثانى كانت المصلحه الدينيه والاجتماعيه تقتضى اقامه المزيد من المآتم على واقعه الطف بعد عودتهم إلى المدينه المنوره.

وأقول ربما يكون هذا صحيحاً لكنّ هناك أموراً يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار منها:

۱ . ان نساء أهل البيت كن فى الخيام ولكن النساء الاخريات خرجن إلى أرض المعركه وعدن إليها بعدما طلب الإمام الحسين منهن ذلك.

۲ . ان تتابع الشهداء كان واضحاً وكان الإمام يجمعهم فى خيمه واحده وكانت النساء تتابع الوقائع وترى عوده الجثث الطواهر.

۳ . الامام الحسين عليه السلام هو آخر من استشهد وبتتابع سقوط الشهداء كان لابد وان تكون هناك صوره اوليه عن استشهاد كل واحد، ولا ننسى ان النساء فى أى دور كانوا تابعوا خروج الاحبه ومن ثم استشهادهم.

۴ . ان النساء قد نقلن وقائع عديده جرت ربما بعد الواقعه، وليس مهماً ان تعرف الاسماء كلها فروايات النساء مع الآخرين الذين شهدوا الواقعه ودونوها مثل حميد بن مسلم كانت هى الحجر الاساس فى التعريف بالمقتل الحسينى ومن ثم فأمام التضليل الأموى كان كلام النساء هو الوحيد الذى رد على التشويه فى الحقائق. والملاحظ ان الإمام زين العابدين عليه السلام كان أيضاً مريضاً فى الخيمه ولكنه نقل الوقائع بعد ذلك!!

والمهم فى كل ذلك التعريف بالوقائع الاصليه اما الجزئيات فقد وصلت الينا فيما بعد حتى من الذين حاربوا الامام وممن كانوا فى الجيش الاموى.

وقد اقيمت مجالس العزاء فى المدينه وسعت من خلالها نساء الطفوف فى التعريف بما جرى فى كربلاء. ويمكن القول: إن هذا الدور يأتى مكملاً لما قام به أهل البيت عليهم السلام من روايتهم للمقتل الحسينى ونحن اعتمدنا على كل ما جاءنا من روايات بعد التدقيق فيها حتى وصلنا إلى الصوره الصحيحه للمقتل الحسينى.

۶ – اعلان الحزن العام (الحداد الرسمى)

اشاره

وقد اقيمت مجالس العزاء فى الشام ومن ثم فى كربلاء فقدكانت هناك صور واضحه لاظهار الحزن وبعد العوده إلى المدينه أيضاً اقيمت مجالس العزاء لذكر مصائب آل البيت عليهم السلام، وقد هجرت النساء الزينه والخضاب كما ورد فى الروايه عن الإمام الصادق: ما اختضبت هاشميه ولا ادهنت ولا أجيل مرود فى عين هاشميه خمس حجج حتى بعث المختار برأس عبيد الله بن زياد.(۱)

واقمن حرائر الرساله المأتم ولبسن السواد نائحات الليل والنهار والإمام السجاد عليه السلام يعمل لهن الطعام(۲)، انه حزن جماعى نسائى رجالى عام، وأما على بن

۱- المقرم، مقتل الحسين، ص۳۷۶.

۲- نفس المصدر السابق.

الحسین فانقطع عن الناس انحیازاً عن الفتن وتفرغاً للعباده والبکاء علی أبیه ولم یزل باکیاً لیله ونهاره فقال له بعض موالیه: إنی أخاف علیک أن تکون من الهالکین فقال علیه السلام: یا هذا إنما اشکو بثی وحزنی إلی الله وأعلم من الله ما لا تعلمون ان یعقوب کان نبیاً فغیَّب الله عنه واحداً من أولاده وعنده اثنا عشر وهو یعلم أَنّه حیٌّ فبکی علیه حتی ابیضت عیناه من الحزن وانّی نظرت إلی أبی واخوتی وعمومتی وصحبی مقتولین حولی فکیف ینقضی حزنی، وانی لا أذکر مصرع بنی فاطمه إلا خنقتنی العبره وإذا نظرت إلی عماتی واخواتی ذکرت فرارَهُنَّ من خیمه إلی خیمه.(۱)

الکل اعلن الحداد وکان الحداد نفسه تحدیاً للسلطه الظالمه التی أراقت دم الإمام وأصحابه فی أرض الطفوف.

وقد اتخذ الحزن مظاهر عده منها إقامه مجالس العزاء نفسها؛ إذ اقام الإمام السجاد مجالس خاصه، وقد تهیأت المدینه للحداد منذ ان جاء خبر مقتل الامام؛ إذ ارسل الوالی من یعلن عن قتل الامام یقول الراوی:

ارسل المنادی یعلن عن قتله فی ازقه المدینه فلم یسمع ذلک الیوم واعیه مثل واعیه نساء بنی هاشم فی دورهن علی سید شباب أهل الجنه.(۲)

وقال: فما بقیت فی المدینه مخدّره ولا محجّبه إلا برزن من خدورهنّ مکشوفه شعورهنّ مخمّشه وجوههنّ ضاربات خدودهنّ یدعون بالویل والثّبور فلم أر باکیاً أکثر من ذلک الیوم ولا یوماً أمرّ علی المسلمین منه ثم قالت: أیها الناعی جدّدت حزننا بأبی عبد الله علیه السلام وخدشت منّا قروحاً لما تندمل(۳).. وقد عرضنا لموقف ابنه عقیل

۱- المقرم، مقتل الحسین علیه السلام، ص ۳۷۷.

۲- المقرم، مقتل الحسین علیه السلام، ص ۳۳۴.

۳- ابن طاووس، اللهوف علی قتلی الطفوف، ص ۳۳۴ - ۳۳۵.

فی شعرها (ماذا تقولون) کواحد من مظاهر الحداد التی سبقت وصول السبایا وفی الشام أیضاً کانت هناک مظاهر حزن [فأقمن المأتم علی الحسین سبعه أیام، وکان یجتمع عندهنّ کل یوم جماعه کثیره لا تحصی من النساء.(۱) فلم تبق هاشمیه، ولا قرشیّه إلا لبست السواد حزناً علی الحسین علیه السلام].(۲)

ولما عرج الدلیل علی کربلاء اقامت النساء مجالس نیاحه کصوره لاعلان الحداد العام, والمعروف ان المرأه أظهر للحزن من الرجل من خلال لبس السواد وترک الخضاب والبکاء ونعی الامام وهذا ما حصل فی المدینه بعد عوده السبایا ولهذا بان الحداد واضحا فی المدینه واستفادت النساء من کل هذه فی التعریف بمقتل الامام واماطه اللثام عن القناع الاموی الحاقد. وکان الامام السجاد علیه السلام یندب أباه واخوته وابناء عشیرته فی کل مناسبه حتی عد احد البکّائین الخمسه. وقد اشتد الحزن فی المدینه بعد ان ترکت الواقعه ردود فعل واضحه مما جعل الحاکم الاموی یخشی الفتنه فأمر باخراج السیده زینب عن المدینه بوصفها المسبب عن التعریف باحداث الطفوف وبشکل مکثف وصریح وهذا الابعاد والنفی للسیده کان محاوله للسیطره علی زمام الامور.

السبی.. المأساه الکبری

... وسیق موکب الأسری والسبایا فکان أبشع موکب شهده التاریخ منذ کان.. بهذه الکلمات تصف الکاتبه (بنت الشاطی) موکب السبایا.. والحق انه أیضاً افجع موکب شهده التاریخ. ویبدأ سبی النساء منذ استشهاد الإمام علیه السلام حیث هجم الأعداء علی معسکر الإمام واحرقوا الخیام واعتقلوا کل من کان فیها..

۱- نفس المهموم: ۴۵۱.

۲- الآصفی، الخطاب الحسینی، ص ۱۱۵.

يقول الراوى: لما قتل أبو عبد الله الحسين عليه السلام مال الناس على ثقله ومتاعه وانتهبوا ما فى الخيام، وأضرموا النار فيها وتسابق القوم على سلب حرائر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ففررن بنات الزهراء عليها السلام حواسر مسلبات باكيات، وان المرأه لتسلب مقنعتها من رأسها وخاتمها من اصبعها وقرطها من اذنها والخلخال من رجلها. فقد أخذ رجل قرطين لأم كلثوم وخرم اذنها، وجاء آخر إلى فاطمه ابنه الحسين فانتزع خلخالها وهو يبكى قالت له: مالك؟ فقال: كيف لا أبكى وأنا أسلب ابنه رسول الله قالت له: دعنى، قال: أخاف أن يأخذه غيرى.

ورأت رجلا يسوق النساء بكعب رمحه وهن يلذن بعضهن ببعض وقد اخذ ما عليهن من اخمره واسوره ولما بصر بها قصدها ففرت منه فأتبعها رمحه فسقطت لوجهها مغشياً عليها ولما افاقت رأت عمتها أم كلثوم عند رأسها تبكى.

أُزْعِجَت من خدرها حاسره

كالقطا رُوِّع من بعد هجود

تندب الصون الذى قد فقدت

صبرها فيه إلى خير فقيد(۱)

وبعد الزوال ارتحل إلى الكوفه ومعه نساء الحسين وصبيته وجواريه وعيالات الأصحاب وكنّ عشرين امرأه وسيروهنَّ على أقتاب الجمال بغير وطاء كما يساق سبى الترك والروم وهن ودائع خير الأنبياء ومعهن السجاد على بن الحسين وعمره ثلاث وعشرون سنه، وهو على بعير ظالع بغير وطاء وقد أنهكته العله ومعه ولده الباقر وله سنتان وشهور.(۲)

وأتاهن زجر بن قيس وصاح بهن فلم يقمن، فأخذ يضربهن بالسوط واجتمع عليهن الناس حتى اركبوهن على الجمال.(۳)

۱- المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ۳۰۰ - ۳۰۱.

۲- نفس المصدر السابق، ص ۳۰۵.

۳- نفس المصدر ۳۰۹.

وتسير قافله السبايا فی طريق طويل يبتدئ من كربلاء إلی الكوفه ثم إلی الشام ثم العوده من الشام إلی كربلاء ثم إلی المدينه فی مسيره طويله قدرها أصحاب المقاتل بما يقارب الشهرين!!

لقد كانت رحله طويله، قاسيه، صعبه، محزنه، مفجعه وثقيله بكل ما فيها من ضغوطات نفسيه وبدنيه واجتماعيه لكنها كانت حقاً عدل القتل والتمثيل.(۱)

نقل عن ابی الجوزی عن جده انه قال: ليس العجب ان يقتل ابن زياد حسيناً وانما العجب كل العجب ان يضرب يزيد ثناياه بالقضيب ويحمل نساءه سبايا علی اقتاب الجمال.(۲)

وإلی هذه الصوره يشير مغنيه فی كتابه قائلا: لقد رأی الناس فی السبايا من الفجيعه أكثر مما رأوا فی قتل الحسين وهذا بعينه ما أراده الحسين من الخروج بالنساء والصبيان.(۳)

وإلی هذه الحال يشير البعض الی ان فاجعه كربلاء لها عدلان رئيسان يكمل أحدهما الآخر عدل القتل والتمثيل والهتك لحرمه هذه الصفوه من أبناء الأمه وعلی رأسهم الإمام الحسين عليه السلام ابن بنت رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وصحبه الكرام.

وعدل السبی والأسر والهتك والاستهتار بحرمات هذه النسوه اللائی يمثلن حرم رسول الله وأهل بيته.(۴)

۱- السيد محمد باقر الحكيم، دور المرأه فی النهضه الحسينيه.

۲- يراجع محمد جواد مغنيه، الحسين وبطله كربلاء,ص ۳۵.

۳- نفس المصدر.

۴- الشهيد السيد محمد باقر الحكيم: دور المرأه فی النهضه الحسينيه، ص ۶۴.

وهـذا هو الجـانب الأول فى هـذه المأساه اما الجانب الثانى منها فهو ان كل أدوار نساء أهل البيت عليهم السـلام ظهرت فى هـذه المرحله، فضـلاً عن الدور الإعلامى الكبير والعظيم والخطير، فلولا تنقل ركب السـبايا من بلد الى بلد لما استطاعت النساء تصدير الحقائق فى الامصار والبلـدان التى وصـلوا إليها. هـذا الامر يضاف إلى ما اظهرته النساء من مرونه عاليه فى التكيف مع الأحـداث فحولت النسـاء حـاله السبى من حـاله شـلل اجتماعى وضـغط نفسـى فادح إلى حاله عطاء اعلامى ضـخم وإلى حركه ثوريه فعاله استطاعت ان تزيح النقاب عن الوجه الأموى المقيت.

وعاده حينما تحـدث الحروب فى أى مكان فان النساء والأطفال هما أكثر الشـرائح تضـرراً من انعكاسات الحرب ورغم التفاوت الموجود بين الحروب المعاصره والسابقه من حيث قوه الفتك وسعه الانتشار والتقنيات إلى غير ذلك لكن تبقى النساء والأطفال شرائـح سـهله التصدع إزاء المؤثرات الخارجيه القاسـيه، وعاده ما تعيش هذه الشـرائح انعكاسات نفسـيه قاسـيه تظهر واضـحه فى ارتفاع نسبه الخوف والتوتر وزعزعه الأمن النفسى والشعور بالاحباط والاكتئاب والشك بالقضيه وبقدسيه الثوره أو المعركه التى خاض غمارها.

وتنتاب النساء مشاعر اقسى خاصه إذا كانت مع الأولاد اوإذا كان الأولاد ضمن الأسرى أو تعرضوا لحوادث حيث يسيطر الخوف أكـثر وتزداد المحاولاـت السـاعيه للحفـاظ على الموجودين الأحيـاء ممـا يضـاعف من نسـبه التوترات والقلق والهواجس ويزيد الارباك.

مضافاً إلى ذلك ان النساء تتأثر بمشاهـد العنف وبخاصه عنف الحروب بشـكل أكبر وأكثر من الرجال بسـبب البناء الفزيولوجى، ولأن ذاكره النساء تمتد زمناً أطول مع الحفاظ على امتيازها بالقدره على الاحتفاظ بالجزئيات الصغيره فان عامل التذكر يتخذ

له مـدی أطول مما يعنى معايشه الصوره المؤلمه للوقائع التى حصـلت فى الحرب ويزداد الحال تأثراً إذا ازدادت مده المعايشه مع هذه المشاهد المرعبه. ورغم ان الإيمان بقدسـيه المعركه يخفف الالم لكن يبقى الإنسان بشـراً ذا عواطف ومشاعر جياشه ويبقى يتذكر ويبكى ويذرف الدمع رغم حرصه على ان لا يوحى للآخرين بانه يائس أو ذليل.

على ضوء هذه الدراسه المبسـطه لانعكاسات الحروب على النساء يمكن ان نفهم وضع السـبايا بشـكل أعمق فمن ناحيه ان هؤلاء النساء كن قد عشن كل مظاهر القسوه والعنف التى مورست ضد أهل البيت عليهم السلام فقد رأين الأحبه صرعى مجزّرين على أرض المعركه, شاهدوا عطش العيال، ذبح الرضيع، وحصار القوم وقتل الانصار ومقتل على الأكبر والعباس بشكل مأساوى مؤلم للغايه اضافه إلى قطع الرؤوس وتعليقها على الرماح أمام موكب السـبايا طوال المسيره الطويله. ولنا ان نتصور أحوالهن عندما مرّوا بهن على مصـارع الشـهداء فى مسيرهم إلى ابن زيـاد وكيـف أكـل الحزن قلوبهم وتعـالت اسـتغاثاتهم وهم فى كـل ذلـك بين الرؤوس والـدمع والألـم والجوع والعطش تقـودهم زمره ابن زيـاد وعمر بن سـعد وشـمر، أى انهن كن يرينَ القتله الـذين كـانوا يرقصون على اشـلاء الضـحايا الذين كانوا من سـلاله بيت النبوه وفيهم سيد شباب أهل الجنه!. وهم يظهرون الشماته والفرح أملاً وانتظاراً للجائزه الكبرى التى سيحصـلون عليها تقـديرا لهم لقيامهم بكل تلك الافعال الشـنيعه!. يُظهرون كل ذلك أمام مجموعه نساء اسـيرات ثكالى فقـدن الأحبه فى وقت واحد وبصوره تقرح القلوب وسـرن مقهورات بل حتى لم يتمكنّ من دفنهم!. ولنا ان نتصور أحوال النساء هـذه والواقع اخطر من الكلمات المكتوبه. ولم يكن السـفر من الكوفه الى الشام بالسـهل اليسـير، فقـد عرف الطريق الوعوره والمصاعب، ولم يكد السائر فيه يبلغ الشام حتى يقطع من عمره أكثر من شهر على الابل الصابره المجده.

ولكن ابن زياد أراد أن يكون الطريق بأقل بكثير من هذه المده ليضرب عصفورين

بحجر واحـد: أولاً- الامعـان فی اجهـاد السـبایا، واذلالـهم، وثانیـاً تفادیاً لکل الاحتمالات التی تنشأ من تنقل الموکب - حسـب طبیعته فی القری والمدن التی یمر بها، وخشیه ردود الفعل فیها، قال الراوی:

«لقد کان مسیره الطریق شهراً للابل ذوات الصبر والقوه، ولکن الحداه الغلاظ ارهقوا قدرتها، وأوجعوا صبرها، فقطعت الإبل فی عشره أیام أو دونها ما کان علیها أن تقطعه فی شهر أو أکثر، وکأنما سالت امام الإبل عثرات الطریق لتحط عن قریب بعض أوزار القوم، ولولا- أنهـا کـانت تحمـل عفافاً وطهراً لیس مثله فی الأرض عفـاف وطهر، لأـلقت بأحمالهـا حین کانت تفزعها أصوات الحداه، وکأنها حست بما تحمل، وحنت لرنه الحزن من فوقها فسارت وأسـرعت، کأنها لم تسـمع من قبل برنه حزن کما سـمعت فی هذا البکاء.

وسیر بالسبایا فی اعتساف وارهاق لیل نهار، وسیر بهن من خلف الرؤوس عما کان یسار بالسبایا من الحروب، وکان سیر شمر بن ذی الجوشن أمیراً لهـذا الرکب سـبباً فی أن یصوم أهـل البیت عن الکلام، فما نبست منهن نابسه بکلمه ولا أشارت واحـده منهن باشاره، وکان إذا حدث أحد نفسه بالکلام أو علا صوته بالبکاء قرعه الفرسان بالرماح!.

وجعـل ابن ذی الجوشن کلمـا مر ببلـد أرسـل إلیه قبل أن یـدخله أنه موکب رجل خارجی خرج علی أمیر المؤمنین، فإذا جازت الکذبه علی القوم مرّ بالبلد، وإذا لم تجز الکذبه، أو خیف البلد مال منه، ولم یعرج علیه.

وطالمـا مـال الرکب عن الطریق التی تسـلکها الإبل، وخاصه البریه والرمال خوفاً من غضب الناس إذا علموا فثاروا، فإذا خرج ابن ذی الجوشن من بلد وقریه لیلاً أصبح یتفقد أثواب الرکب، فلعل أهل البلد جاءوا بشیء زائد فیأخذه منهم».(۱)

۱- محمد بحر العلوم، فی رحاب السیده زینب، السیره والتاریخ (۳)، ص ۱۷۳ - ۱۷۵.

اننا الآن مع كل هذه الطرق المعبده لنشعر بالتعب فى السفر البرى فى حافلات مكيفه ومريحه فكيف كان السفر فى ذاك الزمان؟ خصوصا وان شمرا لعنه الله كان لا يسير ضمن الطرق الرئيسه خوف الاذى الذى يتوقع ان يتعرضوا له! معنى هذا انهم ساروا فى طرق فرعيه صعبه ومرهقه للغايه.. ولنا ان نتصور اوضاع الركب الحسينى وبخاصه النساء الثكالى المرهقات.. كان من الممكن ان يصبن بانهيار أو يتملكهن خوف أو رعب لكن الأمر كان عكس ذلك تماماً فقد ابدين قدره عظيمه فى اداء الدور الاعلامى بشكل يدهش السابقين واللاحقين.. فها هى العقيله زينب عليها السلام ما ان تدخل الكوفه حتى تهاجم أهلها بخطابها العظيم وتصب عليهم حمماً من الكلمات الضاريه التى أوجعتهم فانتبهوا. بل وتجعل كل الحاضرين يغرقون فى بحر الدموع والآهات والحسرات ثم جاءت باقى الخطب كذلك. ان هذا يعكس لنا أموراً منها صلابه هؤلاء النساء وثباتهن وهذا يعود بالدرجه الأولى إلى ثقتهن بالقضيه التى جئن من أجلها وإلى نمط التربيه وإلى قدرتهن على تحمل الشدائد التى أبت الجبال حملها وإلى إيمانهن العظيم بالله تعالى والذى قدّر الامور.

ومن البديهى ان قول الإمام الحسين عليه السلام (شاء الله ان يراهن سبايا) كان قد رسم لهن صوره ذهنيه عما ينتظرهن من أدوار قادمه وخطوب جسام. ويرى العلماء المعاصرون ان من عوامل نجاح الشخصيه هو توقعها لحوادث مستقبليه وحوادث صعبه وثقيله وتهيئه الذات للاستعداد لمواقف كهذه. وهذا النمط من التفكير يحرر من المسير الروتينى للحياه ويكسب الفرد قوه ازاء مواقف عارضه ويعلمه ادوات الصلابه والثبات. بمعنى آخر إنه يمنحه سرعه التكيف ازاء الأحداث المفاجئه، فكيف إذا كانت هى أحداثاً متوقعه ومنتظره ودار الكلام عنها منذ أمد بعيد؟.

ومن هنا كان للسبى انعكاسات وأبعاد إيجابيه كثيره على واقع الثوره. فلقدكان

هـدف السـلطه الأمويه من سبى النساء هو إرسال رساله إلى كل الـذين يفكرون فى الثوره على النظام أو الذين لا يدينون بالولاء للحكم الأـموى مفادهـا: اننـا لا نرحم أياً كان حتى لو كان الخارج علينا من أهل بيت الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم أو سـيد شبـاب أهـل الجنه.. وكـان الأمويون يخططون لرسم صوره مشوهه لهؤلاء السـبايا فى صوره الـذل والانكسار وطلب الرحمه لكن الأمر أصـبح عكس ذلك تماماً فهـذه كلمات النساء تتوعـد الحاكم الظالم وتعاتب الناس (بقسوه) على تخلفهم عن النصـره ومن ثم فمـا خطـط له الإمـام عليه السـلام من اصـطحاب النسـاء معه فى المعركه كان صـحيحاً وحكيماً، لأنه أسـهم فى عرض قداسـه الفكره التى انطلق منهـا الإمـام الحسـين عليه السـلام وهـذه بـذاتها كـانت رسـاله معـاكسه للرساله الأمويه وكانت أقوى تأثيراً لما اصطحب المشهد العام من مناظر مؤثره وصور مؤلمه.

وكـان الإعلاـم الأـموى قـد أعلن فى كـل مكـان قبل وصول السـبايا إليه ان هؤلاء سـبايا التركـ والـديلم. ولكن النساء قلبن هـذه الدعايه وغيرّن الحال لما رأى الناس مظاهر الحشـمه والوقار عليهن فعلموا ان هؤلاء النساء من أهل بيت النبوه ولنا ان ندرس هذه الشواهد:

جاء فى المقتل:أشـرفت امرأه من الكوفيّات فقالت: من أى الأسارى أنتنّ؟ فقلن نحن أسارى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت المرأه من سطحها فجمعت لهن ملاء، وازراً ومقانع واعطتهن فتغطّين.

ولمـا همت السـيده زينب بإلقاء خطبتها (أومأت زينب عليها السـلام إلى ذلك الجمع المتراكم فهـدأوا حتى كأنَّ على رؤوسـهم الطير وليس فى وسع العـدد الكثير ان يسـكن ذلك اللغط أو يردَّ تلك الضوضاء لولا الهيبه الإلهيه والبهاء المحمـدى الـذى جلّل «عقيله آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم».

فیقول الراوی: لما اومأت زینب ابنه علی علیه السلام إلی الناس فسکنت الأنفاس والأجراس فعندما اندفعت بخطابها مع طمأنینه نفس وثبات جأش وشجاعه حیدریه.(۱)

وبعباره اخری (جاء أهل الکوفه لیتفرجوا علی أسری الخوارج فی مدینه علی وإذا بصوت علی ینطلق هادراً بین الناس فانکشفت الخدعه وبدأ الناس بالبکاء والعویل).

جاء فی المقتل: وفی أول یوم من صفر دخلوا دمشق فاوقفوهم علی (باب الساعات) وقد خرج الناس بالدفوف والبوقات وهم فی فرح وسرور ودنا رجل من «سکینه» وقال: من أی السبایا أنتم؟ قالت:

نحن سبایا آل محمد صلی الله علیه وآله وسلم.

ودنا شیخ من السجاد علیه السلام وقال له: الحمد لله الذی اهلککم وأمکن الأمیر منکم!. فقال علیه السلام له:

یا شیخ أقرأت القرآن؟

قال: بلی، قال علیه السلام:

أقرأت:

((قُل لَّا أَسْأَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّهَ فِی الْقُرْبَی)).

وقرأت قوله تعالی:

((وَآتِ ذَا الْقُرْبَی حَقَّهُ)).

وقوله تعالی:

((وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَیْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِی الْقُرْبَی))؟

۱- المقرم، عبد الرزاق الموسوی، مقتل الحسین علیه السلام، ص ۳۱۰ - ۳۱۱.

قال الشيخ: نعم قرأت ذلك. فقال عليه السلام:

نحن والله القربى فى هذه الآيات.

ثم قال له الإمام:

اقرأت قوله تعالى:

((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا))؟

قال: بلى. فقال عليه السلام:

نحن أهل البيت الذين خصهم الله بالتطهير.

قال الشيخ: بالله عليك انتم هم فقال عليه السلام:

وحق جدنا رسول الله انا لنحن هم من غير شك.

فوقع الشيخ على قدميه يقبلهما ويقول أبرأ إلى الله ممن قتلكم وتاب على يد الإمام مما فرط فى القول معه وبلغ يزيد فعل الشيخ وقوله فأمر بقتله.(۱)

لقد نشر موكب السبايا فكر الثوره فى كل مكان وصلوا إليه بالخطب المجلله وبالكشف عن وقائع المعركه والأحداث الداميه التى حصلت وكان هذا بحق سبقاً إعلامياً ونشراً خبرياً وبثاً واسعاً إلى أماكن متعدده حيث كانوا مضطرين إلى المرور بالقرى والبلدان؛ لأن الرحله طويله والمؤن لا تكفى ووسائل النقل كالبغال والحمير لا تتحمل المشى الطويل وهذا الانتقال من بلد إلى بلد أسهم فى نشر الواقعه. وهذا ما اكده المؤرخون من هياج الوضع فى الشام والتوصيه بإخراج أهل البيت عليهم السلام منه بسرعه.

وتبعا لذلك فقد ازدادت نسبه التفاعل الجماهيرى مع هذه القافله المتعبه التى فيها أطفال جياع صفر الوجوه ونساء باكيات نادبات مرهقات وعليل مريض يجر نفسه جراً

۱- المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ۳۴۹.

. وكـان منظر السـبايا المؤلم قـد عزز من مظلوميه أهل البيت عليهم السـلام وزاد من حجم الجنايه الأمويه عليهم أمام الناس فكل امرئ طالع موكب السبايا اعتصره الألم والحزن على ما يرى وحينما يعلم ان هؤلاء هم حرائر بيت الوحى والنبوه يصاب بالاحتراق والانكسار الأمر الذى أوجد كمّين عاليين: كماً عالياً من المظلوميه المنتشره أمام الناس وكماً عالياً من بيان وعرض للوحشيه من قبـل يزيـد وبقيه أزلامه.. وهـذا التفاعل زاد من مساحه التواصل النفسـى. فهـذه الصوره المؤلمه زادت فى تهييـج المشاعر وزياده النقمه على الحكم الأموى ولهـذا لما خرج الركب من الكوفه أخذ يتعمد عدم دخول المدن الآهله بالناس لكى يكون بمنأى عن استتباعات الحال.

لقـد خرجت هؤلاء النسـاء بإرادتهن مع الحسـين عليه السـلام وخرجن ناصـرات للإمـام داعمـات له فى ثورته الكـبرى فى وقت تقاعست فيه الأمه والفطاحل من الرجال عن نصره الامام عليه السلام!!..

وهؤلاء النسـاء أسـهمن فى تغيير الصوره النمطيه التى كـانت عليها المرأه. فالمرأه المسـلمه هنا تبـدو مسؤوله عن دينها ورسالتها ومكلفه بالـدفاع عن المقـدسات وقـد تقـاعس الرجـال عن نصـره الإمام وقلّ الناصـرون منهم. ولكن هـذا الأمر لم يغير من عزائم النسـاء أو يضـعف هممهن ابـداً... ورغم ان نسـاء أهـل البيت عليهم السـلام هن النموذج الأكمـل للعفـاف والستر لكنهن خرجن لنصره الدين حينما تطلب الأمر ذلك.. فلقد كانت هذه رساله المرأه والرجل ومسؤوليتهما على حد سواء.

على هـذا يمكن القول: إن قافله السـبايا هى التى أسـهمت فى نشـر فكر الثوره وتعزيز الشـعور بالأثم لدى الناس، ومن ثم مهدت الطريق لاشتعال الثورات بعد ذلك ومن ثم سقوط الدوله الأمويه.

لقد نجحت السبايا فى تغيير حاله السبى من حاله ألم إلى حاله انطلاق ومن حاله

انین فردی إلی انین جماهیری ومن حاله مشاعر ذاتیه محصوره إلی مشاعر مجتمعیه عامه واضحه فی بکاء الناس وتطلعهم للثأر والتوبه عما سلف.

وبهذا لم یذهب دم الحسین علیه السلام هدراً.. لقد کان النظام الأموی یرید ابعاد الثوره عن المدن الکبیره (الکوفه) وحصرها فی صحراء کربلاء لکن موکب السبایا نقل وهج الثوره إلی کل المدن والبلدان التی نزلوا فیها وبهذا استنزلوا حقد الناس وغضبهم علی ابن زیاد ویزید وعلی الامویین قاطبه. ولأن الإمام الحسین رسم الخط الفیصل فی حیاه عزیزه لا ذل فیها فقد استرخص الناس ذواتهم وانطلقوا فی ثورات کثیره..

مطهری: تاریخ کربلاء انما احیاه وخلده الاسری ای ان الاسری هم الذین تمکنوا من المحافظه علی هذا التاریخ وان جهاز الحکم الاموی قد ارتکب خطأ بالغاء عملیه اسر أهل البیت والانتقال بهم من ساحه المعرکه.(۱)

وفی نهایه هذا المقال احببت ان انقل رأیاً اعجبنی للسید محمد باقر الحکیم رحمه الله فی کتابه دور المرأه فی النهضه الحسینیه حیث یقول: فنحن نجد فی الفقه الإسلامی حکماً یتعلق بالبغاه - وهذا تعبیر قرآنی والبغی من یبغی علی الحاکم العادل - وهو أن الباغی یجوز قتله، ولکن تبقی عیالات الباغی إذا کان مسلماً فی مأمن من الأذی فلا یجوز أن تؤسر، أو تصبح غنائمَ، وبهذا تفترق نساء البغاه وأطفالهم عن نساء الکفار وأطفالهم، فإن عیالاتهم یتحولون إلی سبایا، ورجالهم یتحوّلون إلی أساری، وأموالهم تتحول إلی غنیمه.

وأول من بیّن هذا الفرق فی الحکم هو: (الإمام علی علیه السلام، وذلک فی أعقاب حرب الجمل، عندما طلب بعض المقاتلین منه أن یقسم الغنائم التی استولوا علیها بعد المعرکه بینهم، فرفض الإمام علی علیه السلام ذلک، وکان جوابه قویاً

۱- الملحمه الحسینیه، مطهری، ص ۱۸۱.

وشديداً، بعد أن نهاهم ونهرهم عندما ألحوا عليه، فأجابهم: من يقبل منكم أن تكون غنيمته أمه عائشه - باعتبار أن عائشه أم المؤمنين كانت من جمله الأسارى - فوجدوا أن الإجابه صحيحه، فمن يقبل أن تكون غنيمته أمه، حيث قال: «..أما علمت أنّ دار الحرب يحل ما فيها وأنّ دار الهجره يحرم ما فيها ألا فمَهلاً مهلاً رحمكم الله فإن لم تصدّقونى وأكثرتم علىّ - وذلك أنّه تكلّم فى هذا غير واحد - فأيّكم يأخذ عائشه بسهمه؟!» وفهموا أن الحكم الشرعى بالنسبه إلى بغاه المسلمين، يختلف عن الحكم الشرعى بالنسبه إلى الكفار. والمسلمون بكل مذاهبهم وطوائفهم يلتزمون بهذه الفتوى، ويقبلون هذا الحكم الشرعى.

ولكن فى كربلاء نجد الأمويين يسلكون سلوكاً آخر، حيث قاموا بسبى حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأسرهنّ!! وعيالات أصحاب الحسين عليه السلام وأولاده، كما قاموا بنهب أموالهم، وعدّوها غنائم حرب!!.(۱)

أمير المؤمنين عليه السلام زار السيده عائشه بعد وقعه الجمل وودعها أكرم وداع وسار فى ركابها أميالاً وارسل معها من يخدمها ويحف بها.(۲)

وقد بقيت ذاكره السبى المؤلم عند أهل البيت عليهم السلام فهذا الإمام السجاد عليه السلام يقول فى وصف ذلك المشهد:

«والله ما نظرت إلى عمّاتى وأخواتى إلا وخنقتنى العبره، وتذكّرت فرارهن يوم الطف من خيمه إلى خيمه، ومن خباء إلى خباء، ومنادى القوم ينادى: احرقوا بيوت الظالمين».(۳)

۱- محمد باقر الحكيم، دور المرأه فى النهضه الحسينيه، ص ۷۳ - ۷۵.

۲- محمد الصدر: أخلاق أهل البيت، ص ۳۰۹، نقلاً عن عبقريه الإمام للعقاد.

۳- حياه الإمام الحسين ۲۹۹:۳.

الفصل الثالث: نساء الطفوف فی دائره الضوء

اشاره

الموازنه بين أدوار الجنسين

اشاره

نساء الطفوف كن شرائح متنوعه من المجتمع النسائى فيهن العالمه المعلمه. وبينهن من لم تحظ إلا بالحد الأدنى من حفظ بعض السور القرآنيه. وفيهن الكبيره فى السن والفتاه الشابه والطفله الصغيره ومن كانت ذات حسب رفيع وضمن اعلى البيوتات ومن كانت من اسره عاديه جداً. وفيهن من اسلمت توا وبينهن من شبعت حبا وحنانا فى حجر جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وفيهن الزوجه والأخت والبنت والأم والبعيده كل البعد عن هذه الانساب.

ومع تعدد الشرائح النسويه من حيث العمر والصله والقرابه والوعى والفهم كان تعدد الأدوار واضحاً ومفيداً. وكلٌ قد أدى دوره حسب ما وصل إليه وعيه وحسب قدرته وحسب ما اتيح له. ولهذا نجد انه كانت هناك أدوار ثقيله ومهام جسيمه كأدوار السيده زينب عليها السلام وهناك أدوار اخف ثقلا فى الصوره لكنها كانت ذات ثقل واضح فى المعركه المصيريه.. وهذا التنوع أسهم فى تعريف كل شريحه بدورها وبمهامها وبتوقعات الزمن وبما تستطيع ان تقدمه المرأه من اسهامات لتثبيت عقيده الولاء والتمهيد لانتصار الاطروحه المهدويه العالميه مستقبلا.

وتبعاً لهذا كان تنوع الأساليب التى اتبعتها النساء فى التعبير عن الولاء والمظلوميه واضحاً. وهذا التنوع أسهم فى تعريفنا بمساحات العمل النسوى المتعدد الادوار والمسؤوليات والاساليب واعطى للمرأه رساله خالده عما تستطيع القيام به.

لقد كانت واقعه كربلاء ثوره مجتمع صغير متعدد الشرائح بكل ما فيه من رجال ونساء، شيباً وشباباً، كهولاً وصبيه، فتيات وأرامل امام قياده المجتمع الكبير ولكن أحد أهم المعالم المميزه للأدوار عموماً هو ان كلا الجنسين (الرجال والنساء) انطلقوا من هوياتهم الاصليه ولم يتجاوز أحد على هويته الخاصه. وبمعنى آخر أكثر تفصيلاً ان النساء انطلقن من خلال أدوارهن محافظات على هويتهن الانثويه وكذلك الرجال. فالإمام عليه السلام اصطحب اخوته (العباس وعبد الله وجعفر وعثمان..) ليقاتلوا ويحملوا السيوف وينزلوا ليوثاً إلى ميادين الوغى فى حين حمل اخواته معه ليكن مقاتلات ولكن بالكلمه فسيوفهن كانت كلماتهن التى تحولت إلى نبال ورماح حاده استقرت فى الصدر الأموى فمزقته. ولم تخرج النساء مقاتلات ولم يسمح الإمام لهن بذلك.

قال الراوى: واخذت زوجته ام وهب بنت عبد الله من النمر بن قاسط، عموداً واقبلت نحوه تقول له: فداك ابى وأمى قاتل دون الطيبين ذريه محمد صلى الله عليه وآله وسلم. فأراد ان يردها إلى الخيمه فلم تطاوعه وأخذت تجاذبه ثوبه وتقول: لن ادعك دون أن أموت معك فناداها الحسين: جزيتم عن أهل بيت نبيكم خيراً ارجعى إلى الخيمه فانه ليس على النساء قتال فرجعت.(۱)

ولم تطالب النساء بان تخرج إلى ساحات القتال بل على العكس من ذلك فأوامر الإمام كانت عدم تجاوز باب الخيمه حتى استشهاده واطاعت النساء الأوامر ويظهر ذلك من مواقف عده فقد ودعت السيده زينب عليها السلام أخاها عليه السلام الوداع الثانى وجاءت إليه بالجواد ولكنها عادت ادراجها إلى المخيم وليس فى ذلك أى غضاضه أو انتقاص بل أدت السيده كل أدوارها كامله. واستشهد العباس عليه السلام فلم يأذن

۱- المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص ۲۳۸، نقلاً عن الطبرى ج۶، ص ۲۴۵، وابن الأثير ج۴، ص۳۷.

الإمام لأحد بالذهاب إلى جسده الذى بقى فى موضع استشهاده.

وحينما نـدرس أدوار الرجال نراها تـدور بالدرجه الأولى حول النصـره والقتال فى حين كانت أدوار النساء التبليغ والإعلام وبهذا نجح كلا الفريقين فى تأديه المطلوب. ان واحداً من أهم مشـكلاتنا المعاصره هى مشكله الدور. فلقد عاشت المرأه صراعاً طويلاً ضـد أدوارها التقليـديه (كالأمومه) ولكن الحال أدى إلى انتكاسه كبرى لتخلى المرأه عن واحـدٍ من أدوارها الاساسـيه والاصـليه والقـديمه. (فالمرأه الجديـده) تنظر إلى هـذه الأدوار على انها انتقاص لحريه المرأه فى جسدها وفى حياتها، وتطالب بأدوار أكبر كدورها فى المناجم وفى غسل الشوارع! وهذا يعود إلى ما روّج له الفكر المعاصـر من انتقاص حاد للأنوثه بكل أدوارها وتعظيم للـذكوره بكل أدوارها واعمالها وتصوير الرجل بانه الكمال المطلق فانـدفعت المرأه تبذل الكثير وتضـحى بالكثير كى تصل إلى النجاح فى تصورها على حساب وأد الانوثه فى ذاتها بيدها هى!.

فإذا اردنا ان نفهم أنفسـنا وما هو المطلوب منا فلنفكر فى شخوصنا.. من نحن؟ والى أين؟ وماذا نستطيع ان نفعله؟.. علينا ان نتقبل ذواتنا كما خلقها الله ولا نعيش اوهاماً زائله وسرابا خداعا.

العنف السياسى ضد نساء الطفوف

يعـدّ العنف السياسـى اخطر انواع العنف الممارس ضد المرأه وربما يعود الى الميزات الخاصه التى يتصف بها من الشده والسـعه والتنوع والامتـداد والعوامـل النفسـيه الضـاغطه. يعرّف العنف عـاده بـانه احـد انمـاط السـلوك العـدوانى تجـاه المرأه ويتمثل فى اسـتخدام القوه والقهر والتهديد لالحاق الاذى والضـرر بالاشخاص والممتلكات ومن ثم فهو كل ممارسه تعتمد القوه وتستهدف الحاق الاذى النفسـى والاجتماعى والبدنى بالمرأه سواء بصوره مباشـره أو غير مباشـره. أما العنف السياسـى فهو يختلف عن باقى أنواع العنف؛ إذ إنه

یرتبط بجهه سیاسیه وهی التی تتولی ممارسه العنف باشکاله المختلفه ضد المرأه. وقد تکون هذه الجهه متمثله فی النظام الحکومی الذی یلجأ الی سن القوانین التی تسبغ الشرعیه علی صور العنف ضد المرأه کالقانون الذی یعفی القاتل فی جریمه شرف من القصاص أو یمنع المرأه المتزوجه من العمل أو یمنع الحجاب وهذا شکل واحد یتمیز باسباغ الوضع القانونی علی الاحوال السیئه والمضطهِده للمرأه. أو فی القوانین التی سنّها الأمویون لمحاربه أهل البیت علیهم السلام والموالین لهم والتی شملت النساء والرجال دون فرق. ویکون القمع السیاسی بأشکاله المختلفه من السجن والتهجیر والطرد من العمل ومصادره الاموال والاقامه الجبریه أیضاً من مظاهر العنف السیاسی ضد المرأه والتی تأخذ طابع تأیید ودعم ورعایه من حکومه البلد، الامر الذی یفرز صفه المقاومه احیاناً بشکل المطالبه بالحقوق أو التضحیه من اجل التغییر واستبدال النظام.

لقد تعرضت نساء الطفوف لأقسی اشکال العنف السیاسی - والذی کان بشکل مباشر - متخذا صورا عده منها الضرب، الشتم، حمل الرؤوس أمام النساء، قطع الماء، حرق الخیام، قتل الصغار، کشف الوجوه، السبی، قتل الأحبه والتمثیل بهم.. الی غیر ذلک. وقد سبق ذلک صور أخری لهذا العنف فی اقصاء اهل البیت عن الحیاه العامه وفی مطارده انصارهم والتنکیل بهم وفی سن القوانین المحاربه لاهل البیت علیهم السلام ابتداءً من سب أمیر المؤمنین علی المنابر وهو أول مسلم یسب هکذا وبعلانیه. وقد کانت مده العنف طویله أیضاً فقد سبق الواقعه واستمر بعدها وقد صاحب هذا العنف حرباً نفسیه قاسیه کانت تستهدف معنویات أهل البیت علیهم السلام بالدرجه الأولی عبر وسائل عده منها تشویه صوره الثوره والإمام والتعریف بانه خارجی ومعامله النساء کأنهن سبایا من الکفار - ولسن من أهل بیت النبوه - اضافه إلی مرافقه الأعداء والقتله للعتره الطاهره. والتظاهر بالقوه والغلبه عبر آلیات کرفع الرؤوس أمام النساء ووضع رأس الحسین علیه السلام فی الطشت واعلان الفرح والزینه إلی غیر ذلک.

والحرب النفسيه امتدت مع السبايا الى الأماكن والبلدان التى وصلوها وهم يرون فرح أعدائهم وعبثهم ولهوهم، ولكن معنويات النساء العاليه والدعم الاجتماعى والنفسى الذى كان بينهن وتوكيل الأمور إلى الله قلب الحرب النفسيه إلى مسار مضاد لما خطط له أعداؤهم ألا وهو إزاحه عقده الخوف والتعريف بمظلوميه آل البيت عليهم السلام.

التعامل مع الضغوط

وهذا كله قد ضاعف من نسبه الضغوطات التى عاشتها هؤلاء النساء بالاخص عقيله بنى هاشم السيده زينب عليها السلام، فقد عاشت السيده مريم عليها السلام ضغطاً اجتماعياً واضحاً ظهر فى ترددها من اعلان مولد المسيح عليه السلام على الملأ وعبرّت عن الحال بالقول (يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) فى حين عاشت السيده آسيه عليها السلام ضغطاً سياسياً واضحاً ظهر فى طغيان فرعون ومحاولته فى اجبارها على التخلى عن عقيده التوحيد بشتى أنواع العذاب الذى صبه عليها. فى حين عاشت هؤلاء النساء ضغوطاً واسعه اجتماعيه وسياسيه ونفسيه وثقافيه أيضاً. بانت من خلال معاناه الأطفال فى قطع الماء وفى إباده الأحبه بابشع الوسائل دمويه وألماً وأقساها وأكثرها، وبانت فى مسيره السبايا الطويله مع الرؤوس والثكالى والدخول إلى قصور الطواغيت والقتله ولكن هؤلاء النساء نجحن فى ايجاد آليات صحيحه فى التعامل مع الضغوط عرفّها لنا العلماء المعاصرون.. وأهم هذه الآليات:

١ - الاسناد الجماعى الذى قدمته السيده زينب بالدرجه الأولى إلى باقى النساء والى الامام السجاد أيضاً، فقد كانت السيده تدارى الكل وتخفف الاحمال عن الكل فقد حرصت السيده على رعايه أسر الشهداء والثكالى ومتابعه شؤونهم. وإذا كان السند يخفف ثقل المصاب فيا ترى من قدم الاسناد لزينب نفسها؟!

۲ – التصدی للمشاکل التی واجهت النساء کالذی حصل مع سهل (ودنا سهل ابن سعد الساعدی من سکینه بنت الحسین وقال: ألک حاجه؟ فأمرته ان یدفع لحامل الرؤوس ان یجعل الرؤوس أمام النساء کی تنشغل الناس بالنظر إلی الرؤوس عن النظر إلی أساری آل محمد صلی الله علیه وآله وسلم ففعل «سهل».)(۱)

أو فی مواجهه السیده زینب للشامی الذی طلب فاطمه بنت الحسین جاریه له. فلقد تحرکت بسرعه وغیّرت الموقف وقد کانت هناک ظروف قاهره تعاملت معها النساء بالصبر وضبط النفس.

۳ – نمط الشخصیه المتوازنه المرنه، إذ تکون أکثر قدره ونجاحا فی مواجهه الضغوط والمتابع لشخصیه السیده زینب یجد مرونه عالیه فی التکیف مع الضغوط والمعلوم ان زیاده الضغوط یؤثر علی الصحه النفسیه والجسدیه مما یؤدی إلی استنزاف الطاقه وتدمیرها ومن ثم تدمیر الذات. وحالیا هناک ۷۵٪ من المرضی المعاصرین المراجعین للأطباء یشکون من عدم قدرتهم علی التکیف مع الضغوط ومن ثم انهیارهم امامها أو ظهور أعراض اضطرابات نفسیه کالقلق والشعور بالذنب والیأس والخوف والکآبه وعدم الثقه بالنفس.

فی حین ان هذا کله لا نجده عند نساء الطفوف أو عند السبایا أو عند السیده زینب علیها السلام حیث یخفف الإیمان بالله والایمان بقداسه القضیه من حده الضغوط. فلقد کان المرور علی أجساد الضحایا فی المعرکه وهم بتلک الحاله کفیلاً بتدمیر معنویات نساء الطفوف وسلب ارادتهن واظهار جزعهن.

ولکننا نجد لغه العیون طافحه بالدموع مع صبر جمیل والتغلب علی کل مشاعر الاحباط.

۱– المقرم، ص۳۴۹.

غياب الشكوى

رغم كل هـذه الظروف الصـعبه والقاسـيه فقد اسـتطاعت هؤلاء النساء تحمل الأذى الذى تنوء عن حمله الجبال، والصبر عليه ولم ينقـل عن واحـده منهن أيه شـكوى سواء فى الحضور إلى كربلاء أو فى الاهوال التى مرت بهم. بل نجـد حاله من تفويض الأمر إلى الله ورؤيه الأمـور بخير (مـا رأيت إلاـ جميلاً...) وفى الحمـد الواضـح فى كل خطبه رغم عظم المصاب. فى حين ان التاريخ ينقل لنا عن غلام عبـد الله بن جعفر بن أبى طالب والـذى اظهر ضـجره واستياءه من اصـطحاب الإمام للنساء إلى كربلاء، قال ابن جرير: لمـا ورد نعى الحسين جلس عبـد الله بن جعفر للعزاء وأقبـل النـاس يعزونه فقـال مولاـه (ابو السـلاس): هـذا مـا لقينـاه من الحسـين!! فحـذفه بنعله وقـال: يـا ابن اللخناء أللحسـين تقول ذلك؟! والله لو شـهدته لأحببت أن لا أُفارقه حتى اقتل معه، والله انه لممـا يسـخى بنفسـى عن ولـدىَّ ويهون علىّ المصاب بهما أنهما أُصـيبا مع أخى وابن عمى مواسـين له صابرين معه ثم أقبل على جلسائه وقال: الحمد لله لقد عزّ على المصاب بمصرع الحسين أن لا أكون واسيته بنفسى، فلقد واساه ولداى.(۱)

ورغم قساوه كل الظروف وثقل المسؤوليات والاهتمام بصـيانه البيت النبوى ونقل فكر الثوره إلى الناس جميعاً رغم كل ذلك لا نسـمع عتاباً مع الأحبه أو شـكوى أو تـذمراً كما يحلو لأرباب المقاتل ان يصوروا لنا هـذا الاستياء والضـجر والعتاب مع الحسـين الـذى حمـل النسـاء وزجّهن فى هـذا الاتون المسـتعر.. يالعظمه هؤلاء النساء الصابرات المصبرات مع كل هـذه الرزايا والخطوب. ومن المعروف ان النسـاء أمام الشـكوى يكنَّ على صور عـده منهن نموذج صابر يفضـى بثه وحزنه إلى الله راضـياً بقـدره وقضائه وهناك طائفه تعودت على الشكوى وباستمرار كنمط سلوكى متميز لديهن

۱- المقرم، مقتل الحسين (عليه السلام)، ص ۳۴۰.

فهن يشتكين حتى لو كان الحال حسنا ويجددن الشكوى فى أمور عفا عليها الزمن ويعشن حاله عدم الرضا عن كل شيء موجود مما يؤدى الى استفحال الشكوى.. وغالبيه هذه النماذج الشكاءه هن نساء عاجزات عن ايجاد الحلول لمشكلاتهن أو ايجاد المفر من المعضلات التى تعترض حياتهن وبعض هؤلاء النساء يصل فيهن العجز والضعف وقله الثقه بالنفس إلى أن يعبرن عنها من خلال الشكوى كمخرج مؤقت يرد إليهن الشعور بالأمان. وبهذا يهدمن حياتهن ويهدرن طاقاتهن وعمرهن فى شكوى فارغه لا تسمن ولا تغنى، وهن لا يخسرن فقط حياتهن بل يزداد الآخرون منهن نفوراً وضجراً وملالًا. وهن يرمين بأسباب المشكله على الآخرين ويحاولن ان يخلصن أنفسهن من أى شعور بالتفكير بالمشكله واسبابها ودورهن فيها. وتزداد حاله الشكوى كلما زاد البعد عن الله تعالى وضعفت الحاله الايمانيه. ولهذا لم نجد لهذه المفرده وجوداً فى قاموس نساء الطفوف لقوه العلاقه مع الله تعالى ولعمق الايمان بأهداف الثوره.

المهارات الحياتيه

اشاره

نساء الطفوف كن يتمتعن بمهارات حياتيه عاليه واعنى بالمهارات (السلوكيات المقبوله التى تتيح للأفراد التفاعل مع المواقف بفاعليه وتمكنهم من تجنب الاستجابات غير المناسبه) وأهم هذه المهارات الحياتيه:

۱ – مهارات الحوار

وهذه بانت على أكثر من صعيد من خلال مواقف عده منها:

حوار السيده زينب عليها السلام مع ابن زياد.

حوار السيده زينب عليها السلام مع عمر بن سعد.

حوار السيده مع الشامى.

حوارات السيده العامه كمواساتها للامام السجاد عليه السلام.

۲ – مهاره التعاون والمشارکه

وبانت واضحه من خلال تعاون هؤلاء السبايا على شؤون الثوره سواء فی السبی او قبله اوبعده.

وأيضاً من خلال مواقف السيده زينب عليها السلام فی متابعتها لشؤون العليل والسبايا والاهتمام بالطفله رقيه.

۳ – مهاره الاتصال الشفوی والتواصل اللفظی

ولعل الخطب النسائيه أكثر دليل على البيان اللفظی كخطبتی السيده زينب عليها السلام فی الكوفه والشام وخطبه ام كلثوم وفاطمه بنت الحسين عليه السلام.

كما بانت هذه المهاره من خلال مواقف الرد على الشامی والمواساه مع الإمام زين العابدين عليه السلام.

۴ – مهاره التعاطف

عبر مشاركه الآخرين انفعالاتهم وفهم أحاسيسهم ويبدو الأمر واضحاً فی تسليه أسر الشهداء والارامل والثكالی ومواساه الإمام السجاد عليه السلام.

۵ – مهاره الاقناع عبر تقديم الدليل والبرهان

وهذا واضح فی خطب الاحتجاج والتأنيب التی تكلمت بها النساء وقد نجح الاقناع من خلال تحويل آراء الناس ومشاعرهم نحو الإمام الحسين وثورته وابطال المخطط الاموی.

وهذا يدل على نجاح الأساليب التی اتبعوها فی التأثير على الناس ومخاطبه العقول والقلوب، وهو فن اجادته هؤلاء النساء وبان بشكل متميز فی هذه الواقعه من خلال ردود الفعل التی نقلها رواه المقتل كما ذكرنا ذلك سابقا.

۶ – مهاره اتخاذ القرار وحل المشكلات

وتبدو واضحه فى اداره السيده زينب عليها السلام للقافله والسعى لعدم طغيان المشكلات على السطح.. لا أقول لم تكن هناك مشكلات.. أبداً فان المسافر فى سفر قصير يعانى من الكثير من الصعوبات والازمات العارضه فكيف بمسيره سبايا ثكالى مع رؤوس مرفوعه ولمده طويله، لقد كانت هناك مشكلات كثيره لعل واحده منها مشكله الشامى الذى اراد بنت الحسين خادمه ولعل واحده منها مشكله رقيه وما اثارته من استغاثات وهى صوره معبره عن معاناه الاطفال والذين قدّر البعض عددهم ب ۴۰ طفلاً وأيضاً كانت هناك مشكله العليل فى السفر وغيرها، ولكن هؤلاء النساء استطعن تطويق المشكله وتحجيمها أو تخفيف ردود الفعل الناتجه عنها.

۷ – مهارات إداره المشاعر

من خلال التعامل مع الحزن والقلق ومع الصدمات المؤلمه والإساءات التى تعرضوا لها – وما اكثرها – وامتصاص الغضب ولعل أهم الآليات هنا هو كظم الغيظ والصبر وتفويض الأمر إلى الله والمسانده الجماعيه.

الضبط العاطفى

تعرف العاطفه على انها تنظيم وجدانى ثابت نسبياً (عكس الانفعال الذى يكون حاله طارئه ووقتيه) فالإنسان ليس مركباً آلياً جامدا ك(الريموت) بل هو يفيض بمشاعره ويتفاعل مع محيطه من خلال عواطفه.. يفرح ويحزن ويحب ويكره.. ولهذه الصور العاطفيه انعكاساتها الكبيره على شخصيه الإنسان وعلى سلوكه. ولهذا اهتم الإسلام بالبناء العاطفى عن طريق تهذيب العواطف وتوجيهها الوجهه السليمه بحيث تكون عامل بناء لا عامل تخريب.

وتعدّ العواطف واحده من أهم دوافع العمل. فنحن نقوم بالعمل على احسنه إذا كنا نحبه والعكس صحيح. كما تحتل العواطف زخماً عالياً من الطاقه النفسيه التى تترك الأثر العميق على الحاله الشعوريه للأفراد.

وقد اتهمت المرأه على طول المسيره البشريه بانها كيان عاطفى مركز. وعُدَّتْ عاطفتها محطه ضعفها!.

وفسر الكثير حرمانها من بعض الوظائف والمناصب بانه يعود إلى الزخم العاطفى الذى تحمله والذى لا تستطيع ضبطه بالصوره المطلوبه!! ولكن فى العصر الحديث ظهرت لنا مفردات جديده كالذكاء العاطفى والصحه العاطفيه والجفاف العاطفى والأميه العاطفيه إلى غير ذلك مما نجده فى صفحات الكتب الحديثه، فالإنسان المعاصر بعد ان وصل إلى الفضاء وسيطر على باطن الأرض ونجح فى خلق الإنسان الآلى وجد نفسه بحاجه الى ان يعيش مشاعر الحب والفرح والحزن كى يشعر على الأقل بالراحه النفسيه والتوازن النفسى.

وبهذا الصدد يرى كثير من المهتمين بشؤون الانسان والمجتمع ان العالم الآن محتاج إلى عاطفه النساء أكثر من حاجته إلى سيوف الرجال!!.

لقد خلق الله تعالى المرأه بكيان عاطفى مميز كى يؤهلها لأداء مهامها الأساسيه فى الكون ألا وهى تربيه الأجيال وصيانه الأسر.

وهذا الفيض العاطفى الذى يشبع الحاجات الأولى للانسان سواء فى طفولته أو فى مراحله المتتابعه لا يمكن تعويضه عن طريق الريموت والحاسوب وغير ذلك. ولهذا بدأت الدراسات المعاصره تهتم بدراسه العواطف وأنواعها وأقسامها وكيفيه توجيهها وعدّت [الأميه العاطفيه (والتى هى عدم القدره على التعبير عن العواطف)]، عدّت واحداً من أمراض العصر الحديث.

ویخطیء من یقول ان الرجل خلق بلاـ عواطف، بل ان الله تعالی خلق للزوجین الـذکر والأنثی جهازاً عاطفیاً کاملاً وربما تتفاوت المرأه بعض الشیء عن الرجل فی اظهـار العواطف والتعبیر عنها بحکم مهامها وتربیتها وبحکم العلاقات الاجتماعیه التی سادت المجتمعـات، فقـد عُرف عن المرأه أنهـا أکثر قـدره علی التعاطف مع الآخرین، والتعاطف هو القـدره علی التواصل مع الناس فی المواقع الصعبه والخطیره(۱).

فـالمرأه أکثر قـدره علی توظیف هـذه العواطف فی الاتجـاه الأـکثر فائـده وأثراً، وبهـذا یعزی إلی الأمهـات الأثر الأکبر فی توفیر الحاجـات النفسـیه للأطفال من أجل البناء السـلیم لشخصـیاتهم. ویشـدد علماء التربیه المعاصـرون علی ضـروره تواجـد الأم قرب أولادها فی مرحله بناء الشخصیه.

فالعاطفه إذاً هی إحدی مرتکزات الجهاز النفسـی الذی اهتم الإسـلام بتهذیبه وتوجیهه لتخلیص الإنسان من الآلیه فی السلوکیات واخراجه من طـابع الروتین الی طـابع التفاعل والشـعور, فلا بـد ان تهتز مشاعره وینبض قلبه ویفکر ویبکی ویتألم ویحب ویـدافع عن حبه وولائه فیعیش ألم الإسلام الکبیر ومحطات فرحه. وبهذا تکون الشخصیه الرساله هی نسیجاً مترابطاً یین الفکر والسلوک والعاطفه.

وتُسهم الإراده فی توجیه العواطف کما یعمل الفکر علی تربیه العواطف باتجاه القیم الدینیه والإنسانیه التی یؤمن بها الفرد.

وبعد هذه المقدمه نعود إلی نماذجنا الأولی فی نساء الطفوف فنجد نماذج رائعه للولاء العاطفی والوجدانی ونماذج إنسانیه سامیه تعیش ألم الآخرین وتعیش همَّ الحسین علیه السلام.. الوحید الغریب فی البیداء الذی یطلب النصره وینادی بأعلی صوته

۱- وهو القدره علی تفهم مشاعر أو عواطف الآخرین.

مستغيثا وما من مغيث.. نجد السيده زينب عليها السلام تذوب جوىً حينما تسمع الإمام الحسين عليه السلام ينعى نفسه ليله العاشر قال على بن الحسين: سمعت أبى فى الليله التى قتل فى صبيحتها يقول وهو يصلح سيفه:

يا دهر أُفٍ لك من خليل

كم لك بالاشراق والأصيل(۱)

لكنها تصون دموعها عن الظهور أمام الأعداء والشامتين حينما ترى الإمام عليه السلام مقطع الأوصال مزروعاً بالسهام وقد فاض دمه على التراب الزاكى وتناثرت اشلاؤه على الرمضاء.. فأى عظمه عاشتها هذه المرأه العظيمه؟.

لقد عاش الرساليون فى حياتهم الكثير من محطات الضغط العاطفى وعملوا على توجيه المشاعر بالاتجاه السليم وإدارتها فالإمام زين العابدين عليه السلام عُد أحد البكائين الخمسه فقد استفاد من كل فرصه ليظهر فيها حزنه على مصاب أبيه وكانت عمليه تهييج العواطف احد اهم اسباب المواجهه مع الحكومه الامويه وقد نجح الامام فى ذلك نجاحا خالداً ما نزال نرى آثاره حتى الآن، وتلك الزهراء عليها السلام تعلن حزنها وبكاءها وسيله احتجاج على الأمه الناكثه لوعدها فيقام لها بيت الاحزان تأييدا لها فى ثورتها البكائيه.. إلى غير ذلك من الشواهد.

لكن السيده زينب حبست دموعها وعملت على توجيه النساء اللائى كن معها على ان يتبعن هذا الأسلوب الذكى من أجل ايصال رساله الإمام الحسين، لقد كان الضغط العاطفى على السيده زينب عظيماً لكنها استطاعت ان تجعل ارادتها أقوى فما سمحت لدموعها بالنزول ولا لحزنها بالظهور إلا فى المواقع التى تطلبت ذلك كما فى يوم الأربعين حيث كانت هناك الحاجه العليا لاظهار اقصى درجات الحزن والذى يمثل أقصى درجات الاحتجاج على السياسه الأمويه واحد أهم عوامل الكشف عن الظلم

۱- المقرم، ص ۲۱۷.

الأموى الذى صُب على أهل البيت عليهم السلام، وبذلك كان يوم عوده السبايا إلى كربلاء ومن ثم إلى المدينه يوم حزن عظيم هز الأمه كلها.

واهتمت السيده بتوجيه عواطف الاخريات اللائى كن فى موكب السبايا وبذلك تحول الجميع إلى صوره زينبيه واحده فى الإباء والصمود والصبر.

وبهذا كان للعواطف أثرها فى تأجيج الحزن على أهل البيت عليهم السلام كما كان لأساليب الضغط على العواطف أثرها فى ابانه عظمه هؤلاء النساء فالعواطف يمكن ان تكون سلاحاً لاحياء الأمه كما يمكن لها عبر توجيهها الوجهه السليمه ان تكون وسيله لنهضه الأمم.

الاستقلاليه

نساء الطفوف على العموم عشن الاستقلاليه الواضحه فى قراراتهن ومواقفهن ولم يشعرن ان هناك آراء مفروضه عليهن. ولو اردنا ان نسأل طوعه لماذا آوت مسلماً؟ فستكون اجابتها بانها فعلت ذلك بحريه تامه ولم يجبرها احد، فلقد كانت حره التفكير وحره الإراده أيضاً رغم ان ارادتها وتفكيرها كانا على عكس ولدها تماما فقد كان مسيّرا بأوامر ابن زياد. ولم تكن تابعه فى قراراتها لأى شخص آخر عكس ولدها الذى عاش التبعيه للحاكم والمال. ونفس الشىء يقال عن نساء ركب الحسين اللاتى هاجرن معه فقد اخترن طريق الهجره بمحض إرادتهن بل فرضن ارادتهن رغم وجود معارضه لخروجهن مع الامام. ونفس الشىء يقال عن باقى النساء.. وكلما شعرت المرأه باستقلاليه مواقفها فانها تتحرر من التبعيه ويعمق لديها الشعور بالمسؤوليه وبانها ذات تكاليف ومسؤوليات لا يؤديها عنها غيرها ومن ثم فانها توفق أكثر لاتخاذ قرارات صائبه؛ إذ تتيح لها هذه الاستقلاليه تبنى آليات صحيحه لصناعه القرار وللتخطيط للمستقبل ولمعرفه الأهم من المهم.

والواقع المعاصر يقول لنا ان نساءنا يعشن التبعيه بل اصبحت جزءاً من كيانهن ولديهن شعور بالعجز عن تبنى رأى او موقف وهذه التبعيه تسهل لهن عمليه التخلص من المسؤوليات عن طريق تبنى الاعذار! فى تصور خاطئ انه يخلصهن من الحساب والسؤال. وهناك من يستفيد من تكريس هذه التبعيه لأنها تجعل المرأه أداه طيعه فى يد الآخرين!.

ان المرأه والرجل كائنان مستقلان لكل منهما تكليفه وحسابه وكل منهما يحيا حياته ومماته ويُسأل بعد مماته ولا بد ان يقدم لحياته، ولو كان تابعاً بهذه الصوره لانتفى الحساب وجعل الحساب والتكليف على من كان تابعا له وهذا وهم كبير.

وأما القوامه فانها محدوده فى الحياه الزوجيه فقط بوصفها متعلقه بالطرفين من خلال الحقوق والواجبات، ثم ان القوامه ليست الغاء للشخص الآخر أو مصادره وجوده بل هى إداره كما هى الحال فى الإدارات الأخرى.

نساء الطفوف كن مستقلات فى كل الأمور تقريباً ومع ذلك لم يظهرن أى تردد أو تراجع أو ندم على موقف. فقد دفعت دلهم زوجها دفعاً إلى الجنه وكان هو مترددا فى البدايه فى حين ان التردد لم يظهر ابدا فى سلوكها حتى لما طلقها وافترقت عنه، وكذلك أم وهب وأم عبد الله والنوار، وغيرهن؛ لانهن هن من اخترْنَ هذه القرارات وهذه المواقف البطوليه ولهذا نلمس غياب السلبيه أو التحيّر أو النكوص فى السلوك والمواقف الأمر الذى جعل الطاقه الذاتيه لا تتبدد فى اتجاهات سلبيه وتتجه بالكامل نحو الهدف الأصلى..

لقد مارست النساء أدوارهن بكفاءه دون اكراه أو اجبار بل بحريه نابعه من صميم الذات. ورغم انهن كن مستقلات التفكير والاراده والقرار لكنهن لم يكنّ أبداً منفصلات عن أسرهن سواء بالرعايه أو الحمايه أو بالوصل والاغاثه بل تحركت حياتهن مع أسرهم وعشن معهم وإليهم.

نساء الطفوف.. صلاح وإصلاح

اشاره

كان الهدف الأساسی الذی أعلنه الإمام علیه السلام من ثورته هو ما قاله علیه السلام: إنی لم اخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وانما خرجت لطلب الإصلاح فی أمه جدی صلی الله علیه وآله وسلم أرید أن آمر بالمعروف وأنهی عن المنکر وأسیر بسیره جدی وأبی علی بن أبی طالب، فمن قبلنی بقبول الحق فالله أولی بالحق ومن رد علی هذا اصبر حتی یقضی الله بینی وبین القوم وهو خیر الحاکمین.(۱)

فقد کانت ثورته المبارکه تهدف إلی تطهیر الواقع الفکری والنفسی والاجتماعی والسیاسی من الانحراف والفساد الذی ألمّ بالمجتمع آنذاک واصلاحه عبر القیم الجدیده التی حملتها ثوره الإمام علیه السلام. والإمام علیه السلام لم یرسم خارطه الثوره کی تکون حملته الإصلاحیه آنیه لزمانها ومکانها بل انه أراد ان یکون الهدف الإصلاحی ممتداً فی الأمه عابراً لمساحات الزمان والمکان بما یحمله من خلود المفاهیم ودیمومه الوعی الإنسانی وقد کان أحد أهم أسباب حمل النساء معه فی الثوره هو حمل رؤی الإصلاح الجدید إلی الأمه بعد ان حاول الأمویون تقویض الثوره فی محدودیه صحراء کربلاء التی حوصر بها الإمام وانصاره. لقد کان الهدف من ذلک هو ان تقوم النساء بأدوار التبلیغ والإعلام ونشر الفکر الحسینی الرامی إلی الإصلاح وتطهیر الفساد الموجود آنذاک وبذلک یکون الإصلاح مسؤولیه کل فرد رجلا کان أم امرأه.

((وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِیَاء بَعْضٍ یَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَیَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنکَرِ...))(۲).

۱- المقرم، عبد الرزاق الموسوی، مقتل الحسین علیه السلام، ص ۱۳۹.

۲- سوره التوبه، الآیه ۷۱.

ولفهم هـذه الأمور أكثر لابـد ان نسـلط الضوء على أمور عـده منهـا: حـاجه المجتمع آنـذاك للإصـلاح وظهور علامات الفساد الإدارى والسياسـى والاجتمـاعى والفكرى والاقتصـادى. وتتضـح معـالم الفساد الموجود آنـذاك من خلال اسـتقراء الواقع العام فيكفى فى الواقع السياسى ان يكون الحاكم فاسداً وان يكون وكلاؤه ونوابه كذلك.

وهذا ما اشار إليه الحسين عليه السلام بقوله:

«ويزيد فاسق فاجر، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمه، معلن بالفسق والفجور..».

أما على صـعيد الواقع الاجتماعى فنحن نرى الحرب مشـتعله ضـد الموالين لآل البيت عليهم السـلام فقد تعرضوا للكثير من اعمال الابـاده والتهميش ومصـادره لقمـه العيش ونرى ذلـك أيضـاً فى القيـم الـتى انتشـرت آنـذاك بين عمـوم المسـلمين فى الخنـوع والانهزاميه والرضا بالذله وشراء الضمائر إلى غير ذلك.

أما الفساد الفكرى فيكفى ما قام به الأمويون من تشويه الفكر الدينى ونشـر الأحاديث الموضوعه والكاذبه ومصادره كل رأسمال فكرى لأمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام.

من كل ذلك نرى ان الواقع كان بحاجه إلى إصـلاح عام. فهل يا ترى يمكن ان يكون هناك اصـلاح دون ان يكون للمرأه دور ومشاركه؟ وهى التى عانت - كما اشرنا - من استتباعات الوضع الفاسد بشكل مباشر أو غير مباشر.

ان الأمر الذى لا يقبل الشك أو الجدال هو ان عمليه الإصـلاح الشامل فى المجتمع تستوجب ان يكون هناك احتواء شامل لكل الشرائح الاجتماعيه، ونلاحظ ان إحدى أهم اخطاء المصلحين فى العالم هو انهم يرومون الإصلاح والتغيير فى المجتمع عبر

قناه واحده أو قنوات محدوده وابقاء باقى القنوات الأخرى مسدوده. وهذا ما سبب موت هذه الحركات الإصلاحيه وإجهاضها فلا يمكن ان تنجح أى مساعٍ للاصلاح ما لم يتم تحريك كل فئات المجتمع ونفى الغبار عنه. وهو ما اشرنا إليه سابقاً حينما قلنا ان ثوره الإمام الحسين عليه السلام كانت ثوره مجتمع صغير - بكل فئاته - ضد قياده المجتمع الكبير وبهدف اصلاح المجتمع الكبير.

وبهذا كان للمرأه حضورها الواضح فى ساحه الاصلاح كما كان ذلك ميسرا للشيخ والشاب والصبيه والفتى إلى غير ذلك. ان حضور المرأه فى المشروع الإصلاحى الحسينى كشف عن قوه دور النساء ومتانه البناء الذاتى وبخاصه للسيده زينب عليها السلام والتى كانت ذات الحمل الأكبر فى عمليه الإصلاح من خلال نشر البرنامج الحسينى والتعريف بآليات الإصلاح وحتميه انتصاره. فلقد رسمت صوره المرأه الآمره بالمعروف والناهيه عن المنكر من خلال كل الوسائل التى اتيحت لها فى الثوره.

ان الاصلاح يستلزم الإيمان بوجود فساد فى المجتمع فلا بد من ان تكون هناك رؤيه فاحصه للمجتمع للتعرف على مواقع الفساد.

وقد كشفت النساء عن الفساد الاجتماعى بحق المرأه من خلال قول السيده زينب عليها السلام:

«تخديرك حرائرك واماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا... ».

وهنا قد نأتى على سؤالين مهمين هما:

- هل ان الإمام عليه السلام لما حمل النساء معه كان يروم مشاركه قويه للمرأه فى برنامجه الإصلاحى؟

- والسؤال الثانى: هو اننا لا نرى تغييراً على الخارطه الاجتماعيه والحياتيه بعد الثوره فى ما يتعلق بمسيره المرأه فأين هو الإصلاح فى دائره الحضور النسوى؟

الإمام الحسين رائد الإصلاح

تتفاوت الرؤى حول أدوار النساء فى الحياه العامه. ويمكن تقسيم هذه الرؤى إلى ثلاث رؤى معاصره:

١ . الرؤيه التقليديه للمرأه والتى تحصر دورها فيما عليها وفيما لها، فالمطلوب هو أداؤها للتكاليف الأساسيه كالصوم والصلاه وان تكون مطيعه لزوجها وهذا كل همها فى الحياه. هؤلاء التقليديون يحاولون الابقاء على واقع النساء بما هو عليه فهم يرون ان أوضاع النساء بما عليه لا تحتاج إلى إصلاح أو تغيير أساسى فهن يقمن بأداء التكاليف الأساسيه مقابل النفقه مثلاً. وهؤلاء يرفضون كل ما هو معصرن ويجعلون حلول مشاكل النساء المعاصره بالاتكاء على رمزيات الفكر الدينى بعيداً عن الأخذ بأسلوب الحداثه أو العصرنه أو مراعاه تغيير الزمان والمكان وبهذا تكون أفكارهم محدوده لمن يتكئون على الماضى دون الأخذ بتطورات الحاضر والمستقبل. والمرأه هنا تابع وليست كائنا مستقلا كما انها بعيده عن مفاهيم الاستخلاف والأمر بالمعروف. وهى لا تعيش فى وعيها ظروف الامه ومشاكلها لضيق الدائره الحياتيه والهدفيه لها والدين هنا مجرد احكام عباديه مجزأه والقائلون بهذه الرؤيه لا يستطيعون ايجاد تفسير منطقى لحمل الامام الحسين عليه السلام نساءه الى كربلاء سوى انها حاله خاصه لزمانها وتحت رعايه المعصوم المباشره !! وبهذا لا يكون هناك حديث عن دور سياسى او تكاملى للمرأه.

٢ . الرؤيه التجديديه للمرأه والتى تميل إلى الرؤى الغربيه والتى تحاول التخلص من ضغط الدين عن طريق جعل التكاليف لزمانها الذى مضى (كالحجاب والقوامه وغير ذلك) وهم يقتدون بالنمط الغربى ويحاولون محاصره القيم والعادات والتقاليد وإقصاءها. ولأن المرأه هنا تشبه الرجل (وليست شريكه له فى مسؤوليه الخلافه) فيكون

حل مشکلات النساء عن طریق التنمیه الاجتماعیه والاقتصادیه بعیداً عن الدین، فلتعمل بأی شکل وفی ای مکان کان وهی کائن غیر مرتبط بالأسره (التی یرونها قیداً). هؤلاء یرون ان المرأه کائن مستقل معزول عن الأسره والمجتمع. ولهذا یخاطبون المرأه کمفرده مستقله بعیداً عن وشیجه العلاقات التی تربطها بزوجها واولادها ویحاولون وضع القوانین الجدیده من خلال هذه الرؤیه. فالمرأه هنا کائن منفصل (کما هی الحال فی المنظومه الغربیه التی اباحت الاجهاض، لانه حق المرأه لکنها اصطدمت بحق الطفل فی الحیاه) والدین لیس له أی تأثیر علی حیاه المرأه واهدافها .

۳ . الرؤیه الدینیه المعاصره او الحضاریه للمرأه: وهی تتکئ علی الفکر الدینی إذ لا حیاه للأفراد دون وجود دین ینظم حیاتهم ویضع لهم ضوابط دنیویه اخرویه ویبیّن لهم قیما أساسیه تصوغ للإنسان المعاصر أهدافه واتجاهاته واسالیبه فی الحیاه. لکنهم یأخذون بنظر الاعتبار آلیات التطور المعاصر ویحاولون ایجاد موافقه بین الدین وبین متطلبات الوضع المعاصر. فهم یضعون القوانین التی تتکئ علی الدین وتأخذ بعین الاعتبار التطور والحداثه وتنظر إلی المرأه من زاویه الانسان الخلیفه لله فی أرضه فله مسؤولیاته وأهدافه وواجباته وحقوقه. هذا التیار یحاول قراءه الفکر الإسلامی مجدداً ضمن آلیات معاصره تحامی عن قدسیه الدین وعن فاعلیته فی کل عصر وزمان وما وجدناه من مشارکه للمرأه فی العملیه السیاسیه فی إیران والعراق ولبنان ومن التأکید علی دورها الاجتماعی والتغییری یدخل ضمن هذه المنظومه.

وحتی فی إطار القدره (کما سیأتینا) هؤلاء یطرحونها من باب ایجاد النموذج الشامل المتوازن الذی یجمع بین المرأه الانسان والمرأه الانثی والذی یستوعب وجودها الفردی والاجتماعی کنموذج الزهراء بثورتها وبعبادتها وبأمومتها وبحسن تبعلها أو کنموذج ابنتها الحوراء زینب علیها السلام ومن ثم هم یرون ان للمرأه دورا اساسیا فی الحیاه العامه لا یلغی ادوارها الاولی کالامومه والزوجیه ولا یتمیع ضمن الصور

المشوهه للمرأه تحت مسميات الحداثه والعصرنه. ولهذا يرون ان صوره المرأه فی کربلاء قابله للتجدید والظهور فی کل عصر وزمان انطلاقاً من ادوار المرأه التعددیه ولیست المحدوده کما یراها التقلیدیون.

من هذه الرؤیه العامه یمکن القول: إنه لا یمکن للإمام ان ینطلق فی ثوره الإصلاح هذه دون ان یهتم بنصف المجتمع. صحیح انه کان قد اناط الدور الإعلامی بالنساء عموماً وللسیده زینب علیها السلام علی الأخص، ولکنه لم ینطلق لزمانه المحدد وانما اراد ان یوصل رساله الإصلاح الخالده إلی الرجال والنساء کافه وعلی مر العصور.

غیاب أم حضور؟

ان المتتبع للتاریخ لا یری صوراً نسائیه بعد الثوره وهذه القراءه السطحیه تجعل حضور النساء فی الواقعه (والذی هو عدل التضحیه) وکأنه صوره عابره لمجری تاریخی قدیم. والمستقرئ للتاریخ بعد الواقعه یری ان الحال بقی کما هو علیه حول مشارکه المرأه فی الأدوار والمسؤولیات الاجتماعیه والسیاسیه، وبأن الانکماش والاقصاء الذی لمسناه فی أوضاع ما قبل الثوره بقی علی ما هو علیه بعد الثوره، فأین التغییر إذاً؟

وقد یکون هذا الرأی صائباً للذین یقرأون الصور الحاضره فی المساحه التاریخیه ولا ینقبّون فی أوراق التاریخ ودفاتره عن الأحداث والوقائع التی حصلت، علی هذا لابد ان نفهم دور المرأه فی صناعه التاریخ کی نصل الی قرار صائب.

دور المرأه فی صناعه التاریخ

لقد استطاعت ثوره الإمام علیه السلام رغم انکسارها العسکری ان تعید برمجه القیم الإنسانیه والاجتماعیه والشخصیه فی المجتمع وهذا ما نجده واضحاً من توالی الثورات وانطلاق الموالین فی بیان إداناتهم المستمره للنظام الأموی ومن ثم الحکم

العباسی بعدما ازیحت ثقافه الخوف والذل التی کانت سائده إلی ثقافه العز والکرامه.

وعموما کانت النساء بعیدات عن القتال وربما عن المشارکه فی الثورات التی اتخذت طابعا رجولیا فقد عاشت النساء مسؤولیاتهنّ الاولی فی الاهتمام الأکثر بتربیه الجیل الموالی والناصر لآل البیت علیهم السلام والذی ولد فی العصر الاموی الاسود ثار فی العصر العباسی الاکثر ظلما لآل البیت. فلقد ترکت ثوره الإمام الحسین علیه السلام جرحاً لا یندمل فی قلوب النساء والرجال من خلال صور التضحیه والفداء ومن خلال جرح الأمهات والثکالی ونداء السبایا - فاصبحت المرأه المسلمه الموالیه تعی مسؤولیتها فی ضروره تنشئه الأولاد علی مبادئ الولاء لآل البیت علیهم السلام وعلی حبهم وکیفیه صیانه الرمز الدینی وحمایه المقدسات. وإذ لم تکن هناک صوره واضحه عن ماهیه المطلوب من المرأه المسلمه قبل الثوره ولکن الصوره اتضحت بعدها فبدأت المرأه تربی أبناءها لیس لأمومتها فحسب ولکن لنصره خط الإمامه، وهذا ما یفسر لنا استمرار التیار الموالی لأهل البیت علیهم السلام فی عدده وعدته وقوته وثباته. إذ کان الرجال یستشهدون فی المعارک والثورات التی خاضوها وکانت النساء تکمل المسیره عبر التنمیه البشریه الموالیه. ولو لم تتبنَّ المرأه هذا الخط لحصل فراغ کبیر لا یسد ابداً. فالمرأه بعد الطفوف بدأت تعی ان لها دورا وان هناک مهام ومسؤولیات لا یؤدیها غیرها ولئن کانت نساء الطفوف قد عانین ما عانین من أجل الدفاع عن المقدس وحمایه خط الولاء فان المطلوب من النساء بعد الطفوف اکثر. ان هذا یجرنا إلی التفکیر فی مهمه المرأه الأولی فی التربیه ویمکن من خلال استقراء اوضاع الدول التی تخلت فیها المرأه عن وظیفتها التربویه ان نری انعکاسات ذلک ففی بعض المجتمعات التی تقوم فیها الخادمات بمهام التربیه ظهر جیل یعانی من مشکله اللغه ومن ضعف الحس الایمانی والوطنی لأنه یأخذ قیم الخادمه المربیه واتجاهاتها ولیست اتجاهات الام الاصلیه ومن ثم حصل نوع من الاغتراب الأمر الذی جعل اصوات الاستغاثه تنطلق من کل مکان. ولتخلی الام

(عالمیاً) عن هذه المسؤولیه نشأ جیل یهوی العنف ویتخذه منهجا فی الحیاه لانه عاش الحرمان العاطفی لغیاب الام وعدم استطاعه المعلمه والخادمه تعویض النقص فی مشاعر الحب والحنان. ولقد اطل القرن العشرون مع مطالبات بنبذ الامومه وانتهی بصیحات تطالب بعوده المرأه الی البیت والاسره!.

ولو قرأنا التاریخ قبل الثوره لوجدنا الرموز النسائیه بحد ذاتها محدوده العدد وقد ظهرت فی نموذج سیدات نساء العالمین وفی مواهب المسلمات فی صدر الاسلام. ولکن یا تری هل یعنی ذلک ان المرأه لم یکن لها دور فی صناعه التاریخ إلا من خلال هذه الصوره الظاهره؟

ان دور المرأه فی صیاغه التاریخ یمر بشکلین أساسیین:

الشکل الأول: وهو الأعم هو الشکل غیر المباشر والصوره غیر الظاهره علی شاشه التاریخ ولکنها صوره فاعله ومؤثره وذات امتدادات طولیه. وتأتی من خلال أدوار النساء التقلیدیه وبخاصه دور الزوجه والأم والذی اهتم بصناعه الأجیال، وهذا الدور کان ضبابیاً حتی للمرأه الموالیه وان وجدناه فی آحاد ومفردات، ولکن هذه الصوره اخذت لها ابعاداً أساسیه عند المرأه الموالیه بعد الثوره ونضجت وبشکل واعٍ استقر فی لباب المرأه من خلال اعداد الجیل الموالی والذی یدیم خط الولاء لأهل البیت علیهم السلام ومن هؤلاء النساء اللائی نجهل أسماءهن ومن کانت سجون الحجاج تغص بهن وکانت سجون الرشید تعج بهن. وفی زماننا المعاصر کان صدام یقنص هؤلاء النساء ویغیبهن فی (التیزاب) کما جری مع الکثیر من النساء أمثال الشهیده بنت الهدی - التی سنمر علیها - وسلوی البحرانی وآلاف من النساء قتلن واعدمن وغیّبن فی غیاهب السجن.

والمستتبع للتاریخ یری ان صوره الرجل الذی یصنع التاریخ کانت محدوده فی الخلفاء الظالمین لآل البیت علیهم السلام وفی أعوانهم فأین کان الرجل الموالی؟ لقد کان ثائراً فی سلسله ثورات متتالیه أبید فیها الکثیر منهم کثوره التوابین التی اتت علی خمسه

آلاف رجل وكذلك بقيه الثورات ومنها الثورات المعاصره.. كان الرجال يُستشهدون ويتركون ذراريهم بين حاكم ظالم محارب لأهل البيت يروم تنشئه الأجيال على بغض على عليه السلام والنيل منه وبين أم مواليه تصر على ادامه خط الولاء وتعانى الكثير من الضغط الاقتصادى والنفسى والاجتماعى والفكرى حتى ينشأ ولدها على حب أهل البيت عليهم السلام وربما عشنا بعض مفاصل هذه الحاله وعاش ابناؤنا أيضاً بعض استتباعاتها وإلى هذا يقول الشاعر:

لا عذب الله أمى انها شربت

حب الوصى وغذتنيه فى لبن

وكان لى والد يهوى ابا حسن

فصرت من ذى وذا أهوى أبا حسن

- أما الشكل الثانى فى صناعه التاريخ فكان فى اسماء محدوده وواضحه عرفنا بعضها وجهلنا كثيراً غيرها من الرجال والنساء. وكان اسم الرجل يظهر بوضوح؛ لأن العرف نفسه يروج له فى حين تبقى صور النساء وأسماؤهن فى ضمن الدائره الحمراء! لان التاريخ نفسه لم يكن انسانيا فى كثير من مقاطعه بل كان ذكوريا.

لقد أسهم التاريخ نفسه فى ظلم الانسان رجلًا كان أو امرأه فالتاريخ كتب لنا عن مجون الحكام وبطش الطغاه وظلمهم للبشر وعما قاموا به من اعمال يعدها البعض افتخارات فى حين انها احتراقات واحتقارات!.. فهل الذى يقوم بذبح البشر واراقه دمائهم وطمس حضاراتهم هل يستحق التمجيد والخلود؟.. ولكن التاريخ هو هذه الوقائع المره اذ نادراً ما يكتب التاريخ عن الفضائل وعن السمو الانسانى وعن سبل تكامل البشر. ولأن الاغلب فى مسار التاريخ هى حاكميه الرجل ونبذه للانثى ايا كانت فقد اخفى التاريخ الكثير من الحقائق العليا فيما يخص النساء وبقى تاريخا ذكوريا فى حين ان تاريخ الاسلام كان تاريخ الرجل والمرأه على حد سواء.

ومع كل ذلك نجد صوراً خالده فى التاريخ كصوره العقيله زينب عليها السلام

والوافدات على معاويه وسميه ونسيبه.. ولكن من البديهى أيضاً ان تكون هناك صورٌ أخرى فى التسافل الحيوانى كصوره آكله الاكباد.

وبعد كل ما استعرضناه نصل الى نتيجه وهى اننا مدينون للمرأه فى حفظ رساله الولاء وايصالها لنا بكل امانه، فيا ترى كيف نحافظ عليها؟

ويمكن القول: إن حضور السيده زينب عليها السلام فى برنامج الإصلاح الحسينى قد كشف اموراً منها:

۱- انه لا يمكن لأى مسيره اصلاح ان تنجح ما لم تهتم بالمرأه وتوكل إليها مهام المشاركه فيها. وان أى عمل اصلاحى يهمل نصف المجتمع سيصاب بالتلكؤ والضعف وهذا الاهتمام بوجود المرأه فى البرامج الاصلاحيه يسهم فى ايجاد الحلول الاصلاحيه لمشاكل النساء والمجتمع، فإصلاح اوضاع النساء يحتاج إلى جهد المرأه والرجل، وكذلك اصلاح اوضاع الرجال، وكذلك اصلاح أوضاع المجتمع.

۲- نساء الطفوف كسرن الصوره السلبيه النمطيه عن المرأه ونشرن صوره المرأه الآمره المعروف والناهيه عن المنكر والناصره لدينها، صوره إيجابيه تعرّف المرأه بدورها المطلوب فى كل عصر سواء فى عصور التضييق والحراب أو فى عصور الانفتاح والحريه.

۳- هذا الحضور النسائى المتميز كسر العقل الذكورى الذى كان لا يرى دوراً للمرأه أو أيه قيمه مجتمعيه.. ها هو سيد الشهداء وأبو الاحرار عليه السلام يوكل إلى اخته أصعب المهام فى ظروف قاسيه للغايه.. مهام قد لا يقوى الرجال عليها لأنها متعدده فى ظروف عسيره وضاغطه.. ولكن السيده زينب عليها السلام تحقق نجاحا منقطع النظير وتكون سبباً لكل هذا الخلود الذى حظيت به الثوره الحسينيه بشكل لم يكن له سابقه أو لاحقه، فسيد الشهداء عليه السلام يدعو من خلال هذا الحضور النسائى إلى دعم حضور المرأه فى المواقع الصعبه، وإلى اسناد المهام لها وعدم الشك فى

قـدراتها وكفاءتهـا. فمن قال ان المرأه ضـعيفه او كائن هزيل أو ان ليس لها دور فى المسـيره الانسانيه فتبقى مركونه على الرف.. أبداً.. ولولا هذه الثوره لما بانت قوه المرأه.

۴- اصـلاح رؤيه المرأه إلى نفسـها.. فلمـاذا لا تعيـد المرأه قراءه أدوار هؤلاء النساء لتعرف دورها ومهامها ولا تبقى اسـيره الوهم بالعجز وعـدم القـدره على ان تقوم بقسط من المهام التى تتطلبها المراحل الراهنه من دوره الاسـلام فى الكون.. هذا الاصـلاح له اثره من حيث:

* انه يخلص المرأه من الهامشيه واللامبالاه ويجعلها تعيش واقعها ضمن المبالاه والاهتمام والفاعليه.

* انه يسهم فى توجيه النظر إلى مشكلات مجتمعها والتعريف بالمساحات التى تحتاج الى اهتمام اكثر.

* يخلصـها من العبثيه والتشـتت فنحن نرى حجم الانفـاق الـذى يصب على الإعلام لقوقعه النساء ضـمن إطار الزينه والموضه فى إطار الصوره والجسد وجعل ذلك شغلهن الشاغل لإبعادهن عن الاهتمام بشؤون المجتمع واصلاح شؤونه.

* شعورها بالمسؤوليه الثابته عليها والتى لا تتغير مع تغير الزمان والمكان أبداً.

((وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ...))(۱).

* ويـؤدى إلى تخليصـها من الانـانيه والانكفـاء على الـذات وإلى الانطلاـق إلى المجتمع الكـبير وإلى علاـج مشـكلاته بمـا فيها مشكلات النساء.

* وكل ذلك سيمهد لتطوير الذات عبر زياده ثقه المرأه بنفسها والابتعاد عن كل علامات الهوان والضعف.

۱- سوره التوبه، الآيه ۷۱.

نساء بين النهضتين

ما بين نساء الانتظار ونساء الطفوف

انتهت واقعه الطف بأشخاصها لكنها بقيت فى الوجدان الإنسانى كصوره مشرقه لرفض الذل والظلم والثوره على الواقع الفاسد المنحرف، وبقيت نساء الطفوف العظيمات رموزاً عليا وأمثالاً ساميه لأدوار النساء التى لا تنطلق من إطار الأنوثه أو العقد النفسيه بل تنطلق من صوره الإنسان العظيم حامل رساله الاستخلاف والذى سيكون أُنموذجاً عالياً للخليفه فى الأرض وبهذا فقد بقيت أُنموذجاً خالداً لكل النساء والرجال وعلى مر العصور.

ونحن نعيش الآن زمن الانتظار والتمهيد لظهور المصلح الكبير الذى سيمحو كل ملامح الفساد ويجتث كل مواقع الظلم ويجعل الأرض تعيش تحت رايه العداله الإلهيه.. وهو الحلم الذى عاشته البشريه دوماً وخطط لأجله الانبياء عليهم السلام وكانت تضحيه الإمام الحسين عليه السلام الغاليه من أجل هذا التمهيد الأزلى لانتصار العدل وإزاله الجور. وقد أكدت الأحاديث على أهميه الانتظار.

ففى الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

أفضل أعمال أمتى انتظار الفرج.

وفى أحاديث أخرى اشارات عن حضور النساء مع الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهى اشارات ربما اختلف البعض فيها لكننا سنعود ثانيه إلى دور المرأه فى صناعه التاريخ فنرى الدور المباشر الذى تشير إليه الروايات كما فى الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام:

«ویجیء والله ثلاثمائه وبضعه عشر رجلاً فیهم خمسون امرأه یجتمعون بمکه من غیر میعاد».(۱)

وعن المفضل، عن أبی عبد الله علیه السلام قال:

«یکن مع القائم علیه السلام ثلاث عشره امرأه »

قلت: وما یصنع بهن؟ قال علیه السلام:

« یداوین الجرحی، ویقمن علی المرضی کما کان مع رسول الله صلی الله علیه وآله».(۲)

ولا ننسی الدور اللامباشر للمرأه فی صناعه التاریخ وهذا یعنی ان المرأه موجوده فی ادوار فعاله سواء فی زمن الانتظار او الظهور, وتعتمد المرأه الناصره للإمام عجل الله تعالی فرجه الشریف فی زمن الانتظار علی صوره نساء الطفوف الخالده فی العطاء والتضحیه وفی الدفاع عن العقیده والامام.. وتبدو مسؤولیه المرأه فی زمن الانتظار متأطره فی جانبین أساسین:

۱ . الجانب الأول هو بناء الذات وتربیه النفس واصلاحها وتهذیبها والاهتمام بالأعمال الصالحه والمخلصه. فکل عمل مخلص هو انتظار للفرج.

۲ . والجانب الثانی یتمثل فی تربیه الجیل المنتظر وإعداده وتقویه ثقافه الانتظار لدی نساء المجتمع (وعمومه) من خلال اتباع آلیات مناسبه وهذه الثقافه تنمی عند الأفراد حاله الاستعداد والتأهب للظهور.

فثقافه الانتظار مشروع حضاری یعید الجذور الإنسانیه للحضاره البشریه ویرسم معالم المجتمع التوحیدی الذی هو حلم الانبیاء علیهم السلام فمن این نبتدئ؟

۱- المجلسی، بحار الأنوار، ح۵۲، ص ۲۲۳).

۲- إثبات الهداه: ج۳ ص۵۷۵ ح ۷۲۵ (ب ۳۲ فصل ۳۸).

والجواب:

ألف . فى البدء هل لدينا القناعه الكافيه بان الإسلام يحمل حلولاً لمشاكلنا وانه يمثل النجاه مما نعيشه من أزمات ومستنقعات؟.

ولعل واحدا من أهم مشكلات المرأه المسلمه المعاصره - وكذلك المسلم المعاصر - هو انها لا تعيش الوعى الكافى بان الإسلام يحمل اطروحه ناجحه ومفيده للمرأه ولكل البشر ولكل المجتمعات، هناك تشتت فى وعينا، ونعيش ارهاصات قالها الآخرون لابعادنا عن ديننا. مقولات مشوهه من أمثال: ان الإسلام ظلم المرأه وانه حرمها حقوقها وكأن المطلوب من المرأه المسلمه المعاصره ان تشن حرباً على الإسلام (الذى خنق المرأه وصادر حريتها كما أُدخل فى وعيها) وبعدها تنطلق بافق آخر يسمى أيضاً إسلاماً!!. وهذا هو السخف بعينه!. لابد أولاً ان أعى اطروحه الإسلام بشكل عام وبخاصه فيما يتعلق بقضايا المرأه وان اضع الجدار العازل بين اطروحه الإسلام ومنظومه العرف (المقدس) والتى هى فى كثير من الأحايين تعاكس الإسلام وتشوه صورته، لابد ان اعرف حاله المرأه فى العالم الآن. فهى تقدمت فى جوانب عده فى الجانب الحقوقى مثلا (بشكل عام) وفى جانب العمل والتعلم والسياسه إلى غير ذلك.

لكن كيف افسر الظواهر الطاغيه فى العالم من باب تأنيث الفقر، تأنيث الأميه، الرقيق الأبيض، البغاء، العنف ضد المرأه (بكل أشكاله) وإلى غير ذلك من الظواهر السيئه؟.

ولذا لابد أولاً- من ان احرر عقلى من كل فكر مضاد للإسلام ومن كل فكره تصطدم مع الإسلام وتحاربه واجعل عقلى ساحه واعيه لمفاهيم الإسلام الصحيحه وبالذات فيما يخص المرأه فالحجاب تحرر وانعتاق وليس عبوديه واسترقاقاً والقوامه إداره وصيانه وليست تسلطاً وإذلالاً إلى غير ذلك من الأمور.

باء . ان تعرف المرأه المسلمه المنتظره فلسفه الانتظار ومن هو الإمام المهدى، ولماذا غاب؟. وهذه الرؤيه المعرفيه تُسهم فى رسم الصوره الأوليه للإمام – المقدس – الذى تدافع عنه المرأه المسلمه وتقدم له النصره بكل الوسائل.

ثم لابد من آليات للتواصل مع الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف والذى تعرض عليه أعمال مواليه. وبلا شك لابد وان يكون هناك سعى فى تقديم ما يفرح قلبه عن طريق الابتعاد عن الذنوب وهجران المعاصى والسعى إلى اكتساب الفضائل والحفاظ على الحجاب وغيرها.

ولعل واحده من أساليب التواصل مع المقدس فى زمن الغيبه هو تقديم الهدايا للإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف هدايا معنويه وماديه كأن تكون ركعتى صلاه أو صدقه أو الدعاء المستمر له أو المعايشه لهمه وألمه والتألم لحاله (عزيز على ان أرى الخلق ولا ترى ولا أسمع لك حسيساً ولا نجوى. عزيز على ان تحيط بك دونى البلوى). والاهتمام بذكرى مولده وقراءه الأدعيه التى تعمق الرابطه معه والفرج له كدعاء العهد والندبه إلى غير ذلك.

ولا يقتصر الأمر على المرأه وحدها بل لابد من ان تشارك أسرتها وجماعتها فى أعمال النصره واظهار الولاء ونحتاج هنا الى ان نرسم صوره أوليه للإمام فى عيون أولادنا الصغار وان نجيب على اسئلتهم ونعرّفهم بأسباب غيبته وما هو مطلوب منهم فى زمن الغيبه وكلما كان الأم، والأب، أنموذجين ساميين للأخلاق الفاضله – بعيدين عن العنف والشتم والسخريه – كلما كان تقبل الأولاد لهذه الأفكار العليا اسرع.

جيم . على ان اعيش الوعى الكامل فى أهميه الإصلاح وأهميه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وان ادرك حاجه المجتمع والإنسان إلى المصلح والإصلاح وان اعرف آليات الإصلاح المطلوب, اذ لا يمكن القيام بأى عمل إصلاحى أو تغييرى أو المشاركه

فی عملیه الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر ما لم یکن الفرد نفسه - رجلًا کان أو امرأه - صالحاً من جوانب عده کأن یکون ذا معرفه دینیه وذا معرفه بعوامل الزمان والمکان والتغییرات الحاصله، وذا قدره علی التحمل وعلی تبنی آلیات ناجحه فی التغییر. یقول الشیخ مطهری فی ملحمته الحسینیه:

انک لو اردت ان تأمر بالمعروف وتنهی عن المنکر بشکل غیر مباشر فان إحدی الطرق المحنکه هی ان تکون قبل کل شیء صالحاً وتقیاً وصاحب فعل قبل ان تکون صاحب قول. وعندما تکون أنت شخصیاً أنموذجاً بهذه المواصفات ستکون مثالاً مجسماً للأمر بالمعروف والنهی عن المنکر.(۱)

ومما لا ـ شک فیه ان النهضه الحسینیه رفعت من شأن عملیه الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر،(۲) وکشفت عن دور المرأه والرجل فی هذه العملیه الحیویه کما کشفت عن قابلیات النساء والرجال وعن آلیات التعامل مع الانحراف والفساد.

واذ تبدو الحاجه إلی أنموذج المرأه الآمره بالمعروف (کلمه المعروف تشتمل علی کل الأهداف والمفاهیم الإسلامیه الإیجابیه) والناهیه عن المنکر، أی المرأه التی تهتم بالإصلاح کأمر أساسی فی تطور المجتمع ونهضته، فإذا اهمل الاصلاح اهمل دم الحسین علیه السلام واهملت عطاءات نساء الطفوف وتأخر الظهور.

وتزداد الحاله سوءاً إذا تصورت المرأه ان لا ـ مهام لها فی عصر الانتظار سوی البقاء فی البیوت والاهتمام بالموضه ومشاهده مسلسلات رمضان الممجده للانحرافات!. وان صوره نساء الطفوف لزمانها ولیس لزماننا! وکأن الحسین علیه السلام کان لزمانه! فحسب.

۱- مطهری، الملحمه الحسینیه، ج۲، ص ۹۲.

۲- مطهری،الملحمه, ص ۲۲۸.

ان المرأه الآن بحاجه إلى قراءه واعيه للذات تجتث من خلالها كل خرافات الماضى وضبابيه الحاضر، إذ تنتظرها الكثير الكثير من المهام فى زمن الانتظار وترقب الظهور.

والمرأه التى تحمل مشعل الامر بالمعروف والنهى عن المنكر عليها ان تسير فى خط زينب - عليها السلام- كأُنموذجٍ سامٍ للشخصيه الإسلاميه التى ترتكز على بناء فكرى واضح بعيداً عن الضبابيه.. وبناء نفسى متين يمنحها القدره على مواجهه الصعاب.. وبناء اجتماعى ناجح يمهد لانطلاقتها وحركتها فى الدائره الاجتماعيه.

دال . نساء الطفوف وبالذات السيده زينب عليها السلام كن أنموذجاً رائعاً فى قوه البناء الذاتى ومتانته الذى لم يتهاون أمام الجيش الكبير الذى خرج لقتال الحسين عليه السلام ولم ينهر أمام طاغيه زمانه يزيد أو عبيد الله وغيرهما من العتاه. وهذا البناء الذاتى الصلب فى الله الرحيم بخلقه تحتاجه كل امرأه منتظره فى زمن الانتظار. فلا بد ان تكون هناك أولويات لكى ننجح فى بناء ذواتنا بما يؤهلنا للصمود أمام التحديات المعاصره والمستقبليه.

وبناء الذات يعنى تحرير الإنسان أولاً من قيوده وأثقاله التى تشدّه إلى الدنيا ومن الصفات السلبيه التى تسلب قدراته الإيجابيه كالتكبر والشكوى الزائده وفقدان الثقه بالنفس إلى غير ذلك من معوقات الرقى والتكامل وبهذا تتحول المرأه إلى إنسان إيجابى معطاء يعيش المسؤوليه والتمهيد للظهور معتمدا على كل الآليات المتاحه انطلاقاً من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلى غيره.

اما أهم مرتكزات البناء الذاتى الناجح وأهمها فهى:

١ . ما هى رسالتك فى الحياه ؟. فالمهم ان نعرف من أين وإلى أين وكيف السبيل إلى أهدافنا. فنحن لم نخلق عبثاً وانما نسير نحو الغايه التى خلقنا لاجلها ونحو أهدافنا ولا بد ان نقف عند رسالتنا ونقرأها بوعى مرات ومرات.

۲ . لأرسم صوره مستقبليه عن نفسی کناصره - وناصر - للإمام وانا حالياً فی طريق التمهيد ولأتعرف علی احتياجاتی المطلوبه للوصول إلی الصوره العليا..

۳ . نساء الطفوف هن القدوه الحسنه لی فی مسار الانتظار، لأتعلم کيف انصر الامام وکيف اصون المقدس وکيف اعيش نکران الذات.

۴ . لأتعرف علی نفسی وارسم خارطه لمواقع الضعف عندی ومواقع القوه وآليات التغيير فلا يمکن ان انجح فی الحياه ما لم افهم نفسی وقدراتی.

۵ . لاسعی لاکتساب المهارات الحياتيه المهمه کالثقه بالنفس وقوه الإراده وأدب الحوار والإقناع والاستماع والتقدير والاحترام والاخوه والصداقه والتعاون وآليات الاستثمار والتخطيط النافع، وآليات حل المشکلات، وآليات تنظيم الوقت إلی غير ذلک.

۶ . البناء الروحی مهم للغايه فعلاقتی مع الله تؤثر علی حجم مواجهتی للخطوب وعلی ثباتی علی مبادئی، ولا بد من تدعيم البناء الروحی بالذکر وتلاوه القرآن الکريم واداء الفرائض والمواظبه علی صلاه الليل وتعزيز الشعور بمعيه الله.

۷ . لأعوّد نفسی علی تحمل المشاق والتعامل الصحيح مع الضغوطات واتخلی عن ساعات راحه احبها.. لابد من ان أقوم بتجارب صعبه ربما ساواجهها مستقبلاً. - لنعود أنفسنا التکيف الذکی مع المواقف والأحداث التی تمر علينا. فالحياه لا تسير علی مسار واحد؛ إذ فيها تغييرات وتناقضات وأمور ساره ومحزنه إلی غير ذلک، وهناک من يصاب بالصدمه والسکته والذهول والضياع حينما يعترض مسير حياته عامل ما يؤدی إلی تلکؤ الروتين الذی اعتاده، وهناک من يوطن نفسه علی الوصول إلی أهدافه رغم التحولات.. لاتصور تغييرات فی حياتی، مشکلات، صعود فی سلم الحياه، کيف سأکون ثابته أمام التحديات؟.

٨ . لاعّود نفسى على الاهتمام بأمور المسلمين ..لاتابع نشرات الأخبار، لأحضر فى المناسبات المهمه مع الناس كمراسم الدعاء والزياره، ولاشملهم بالدعاء والاستغفار فى صلاه الليل.

٩ . لاحرص على الاستزاده من العلم والمعرفه فنساؤنا _بل وحتى رجالنا_مع الأسف يعشن اما أميه كتابيه واما اميه معرفيه سواء فى إطار المعرفه الدينيه أو المعرفه الاجتماعيه بل اننا نجد نساء حاصلات على شهادات عليا من أرقى الجامعات ولكنهن لا يستطعن تلاوه بعض الآيات القرآنيه بشكل صحيح!!، والثقافه للرقى وليست للاسترخاء والتباهى. فزينب عليها السلام لم تكن بنت عاشوراء أو وليده الطف بل عاشت آلام الرساله وأحداثها الصعبه والمره منذ وفاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى شهاده أمها، ثم ابيها ثم أخيها.. ولما جاءت إلى كربلاء كانت مدرسه للعلم والثقافه والشجاعه.

١٠ . لاصون هويتى.. فقد كانت لنساء الطفوف هويتان:

الأولى: إنسانيه ظهرت واضحه فى أداء مسؤوليات الاستخلاف والرغبه فى ترشيد المجتمع نحو الله والرحمه والسمو على عوامل الجذب الدنيويه وإلى غير ذلك..

الثانيه: هويه نسائيه ظهرت من خلال حرصها على حجابها، وتقبلها لذاتها وعدم مطالبتها بأدوار ذكوريه.

ولا بد للمرأه المسلمه المنتظره ان تعيش كلا الهويتين وتسعى للحفاظ عليهما دون افراط أو تفريط.

١١ . الحضور الاجتماعى.. فنساء الطفوف لم يعشن الانزواء لا قبل الفاجعه ولا بعدها فقد كانت للسيده زينب عليها السلام مجالسها مع النساء بهدف التوعيه والإرشاد قبل الثوره وإقامه مجالس العزاء للنساء بعدها. كما انها تواصلت مع شريحه الثكالى

والأمهات المفجوعات ومع الشرائح الأخرى ولم يكن الحضور صورياً أو شكلياً بل كان حضوراً واعياً وذكياً.

إذن يكون حرصنا الاكبر في ان يكون لنا حضور في الساحه الاجتماعيه ولنبتعد عن الانزواء فانه تبديد للطاقات وتجميد للحركه.

هذه المشاركه والحضور الاجتماعي تسهم في:

ألف . التعرف على المشكلات الاجتماعيه وبخاصه فيما يرتبط بوضع النساء.

باء . ينمي الشعور بالمسؤوليه تجاه الأُخريات وينمي المهارات الاجتماعيه.

جيم . الحضور الاجتماعي يخفف من الانانيه والانغلاق على الذات.

دال . يُسهم في إيصال ثقافه الانتظار إلى الاخريات. وفي دعم ثقافه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويمهد للأعمال الصالحه.

وواحده من أهم أبواب الحضور الاجتماعي هي المشاركه في الشعائر الحسينيه وبكل أشكالها سواء في زياره الرسول والأئمه عليهم السلام أو في حضور مسيرات عاشوراء أو الاربعين والمجالس الحسينيه والتي لم تصل بعد الى مستوى الطموح لكنها مازالت مؤثره على شرائح كثيره من النساء. وتعد هذه كلها محطات تجميع الأمه وتحشيد الطاقات وتمثل روافد فكريه تعمل على زياده الارتباط مع التاريخ ومع نساء الطفوف ومع عقيده الانتظار.

١٢- اغتنام الفرص: فلقد كانت فرصه طيبه في ان يسلم وهب النصراني على يد الامام وان يحظى بشرف الشهاده. وكانت أيضاً فرصه لزهير ودلهم وطوعه في ان يسجلوا موقفا خالداً ولم يفكروا يوما في ذلك، ولكنها فرصه جاءت اليهم لتكسبهم شرفاً وخلوداً, وإضاعه الفرصه غصه والفرص تمر مر السحاب فلابد ان نعرف كيف نصونها ولهذا من الانسب ان لا نتعود رد الفرص أو قول (لا) لكل مهمه تعرض علينا.

نساء الطفوف.. القدوه الخالده

السيده زينب عليها السلام .. المثل الأعلى للمرأه المسلمه

واحده من أهم سبل العروج نحو الرقى والتكامل هو وجود المثل الأعلى والقدوه الحسنه للفرد والتى تخرج الفرد من قواعد التنظير والأفكار الجامده وتحولها إلى إطار الواقع التطبيقى والصوره الحيه للمفهوم وللفكره. وبهذا يكون دور القدوه الصالحه دوراً تربوياً عالياً فى التعريف بالنموذج الذى تسعى اليه النظريه الفكريه. كما انه أسلوب سهل يزيح العوائق التى يتصورها الفرد أمام رقيه وتكامله، من حيث ان هذه الصوره التطبيقيه تعطى للإنسان الأمل فى امكانيه تحقيق النموذج السامى وتعرّفه بالوسائل والآليات الواجب اتباعها فى هذا المضمار وبهذا توجّه إراده الإنسان نحو مسيره الكمال المنشود. ولولا وجود النموذج الحى والصوره التطبيقيه للنظريه الفكريه لبقى الإنسان فى موضعه حائراً لا يدرى ما هى صوره النموذج والمثل الأعلى وما هو السبيل إليه بل ربما لا يكلف نفسه عناء الرقى والتكامل.

ولهذا اهتم القرآن الكريم بأمر القدوه الصالحه وعرض النماذج العليا فى القدوات المعصومه والتى تمثلت بالأنبياء عليهم السلام وبخاصه النبى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى:

((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَهٌ حَسَنَهٌ)).(۱)

((أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ)).(۲)

أو فى نماذج عليا للنساء كما هى الصور التى عرضها القرآن الكريم فى نماذج

۱- سوره الاحزاب، الآيه ۲۱.

۲- سوره الأنعام، الآيه ۹۰.

الصالحين والصالحات كامرأه فرعون ومريم واللتين ضربهما القرآن مثلاً كنماذج للقدوه الحسنه لكل الذين آمنوا - من الرجال والنساء - وعلى مر العصور.

قال تعالى:

((وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَهَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِی عِندَکَ بَیْتًا فِی الْجَنَّهِ وَنَجِّنِی مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِی مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِینَ (۱۱) وَمَرْیَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِی أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِیهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِکَلِمَاتِ رَبِّهَا وَکُتُبِهِ وَکَانَتْ مِنَ الْقَانِتِینَ)).(۱)

وهذه القدوات المعصومه المطلقه الخاليه من الزلل هى نماذج ثابته، خالده، ليس فيها اختلال أو تضارب بل هى قمه النماذج الإنسانيه، وتصلح جميع جوانب حياتها وسلوكياتها لتكون نماذج حيه وثابته لكل عصر وزمان.

وهناك قدوات غير معصومه وغير مطلقه ولكنها أيضاً نماذج عليا، وصور عظيمه اقتدى بها الناس ومازالوا مثل سميه ونسيبه ودلهم.

ولعلنا الآن نلمس استتباعات الحرب الفكريه وصراع العولمه الذى يبغى تثبيت نماذج مهزوزه للقدوات فى الفنانين والراقصات ونجوم السينما وغيرهم ومحاوله تشويه نماذج القدوات التى رسخت فى الوجدان الشعبى تحت مسميات وصور هزيله.. وهذا ما يبرر لنا سعى اعداء الإسلام على مر التاريخ لطمس صوره الإمام الحسين عليه السلام وصوره انصاره وتشويه معالم البطولات وتحريفها بما هو مشوه وضبابى.

ومن البديهى ان طرح نموذج القدوات الضعيفه أو السيئه، - بعض العلماء لا يسمى القدوات السيئه بهذا الاسم بل يعرضها تحت عناوين المحاكاه والتقليد -، يقطع

۱- سوره التحريم، الآيات ۱۰ - ۱۲.

العلاقه مع البناء التاريخى المتين وينهى أواصر الترابط مع النماذج الخالده كما انه يمهد إلى تحديد صور ضبابيه للرقى الإنسانى فى نماذج واهنه تدور ضمن إطار الأهداف الماديه والدنيويه وضمن دائره الجسد والشهوه والهوى وهذه كلها قواطع وموانع تحول دون الوصول للمثل الأعلى المطلوب وهذه هى إحدى الكوارث التربويه التى نعيشها والتى جند لها الإعلام اللا دينى كل اجندته وآلياته للنجاح فيها.

نساء الطفوف ... القدوه الحسنه

تشكل منظومه نساء الطفوف منظومه كامله لكل نماذج القدوات الحسنه، ومنظومه ساميه فى تقديم المثل الأعلى الصالح لكل زمان ومكان. وهؤلاء النساء العظيمات وعلى رأسهن السيده الحوراء زينب عليها السلام عقيله الطالبيين هن النموذج الحى للرساله فى كل زمان وبخاصه فى زماننا حيث التحديات الصعبه والمجابهات الفكريه فى أعلى المدارج هؤلاء النساء لسن شخوصاً عشن ومتن.. لسن نساء عبرن أياماً وسنوات إلى نهايه الأمد بل يمثلن رؤيه الإسلام والإمام عليه السلام للمرأه ويمثلن منطلقات للمرأه المسلمه المعاصره فيما يجب ان تكون عليه.

هؤلاء النساء عشن الحريه بكاملها لم يذعنَّ للحاكم ولم يخضعن للسلطان ولم تُزِدْهُنَّ حراب الأسر والأذى إلا تصميماً على إدامه المسير حتى يأتى الله بأمره.. وقد نعيش الاغتراب عنهن حينما نذعن للنفاثات فى العقد، وللمضللين من شياطين الإنس والجن، وحينما نساوم على العقائد من أجل دنيا فانيه ومتعه وقتيه زائله.

لقد عاشت هؤلاء النساء الاهتمام الفكرى بالأمه المسلمه، وكيف السبيل إلى بيان الحقائق لها وكشف الوجه المشوه للحاكم الأموى وأعوانه وعشن أيضاً الاهتمام الحركى بالأمه المسلمه المغلوب على أمرها آنذاك فى كيفيه انقاذها وإحيائها وبيان محطات العز لها وكيف تحيا بكرامه دونما ذل أو عبوديه..

فمن ناحيه تعرض نساء الطفوف نماذج لقدوات متعدده الأدوار. حيث نجد الأمهات الفدائيات من أمثال أم وهب وأم عبد الله الكلبى ورمله.. واللائى دفعن أولادهن للتضحيه فداءً للإمام الحسين عليه السلام ونجد أمهات لا يسألن عن أولادهن الشهداء بين الضحايا كالسيده زينب عليها السلام؛ لأنهن كان الشغل الشاغل لهن فقط فى صيانه الإمامه. وهناك نماذج ساميه للزوجات الصالحات فدلهم زوجه زهير بن القين وزوجه حبيب بن مسلم كن زوجات حبيبات ومحبات يدفعن أزواجهن للموت لنصره الإمام عليه السلام رغم ما فى الفراق عن الحبيب من لوعه. ونجد الرباب زوج الحسين عليه السلام نموذجاً متألقاً. هذه المرأه التى يقول فيها الإمام:

لعمرك إننى لأحب داراً

تحل بها سكينه والرباب

تراها تعيش كل صور الأذى وفى اجواء الحرب الظالمه تعيش لوعه أبناء يستغيثون من الظمأ وترى ولدها الرضيع مذبوحاً وابنتها تتلوى من العطش وزوجها الحبيب يجود بنفسه ولا من معين، وهى فيما بعد تقاد أسيره ويبحث عنها العدو اللئيم ضمن قافله السبايا متشمتاً بقول الحسين فيها.. هذه الزوجه الصابره لا نسمع لها شكوى أو عتاباً مع الزوج أبداً بل كلها مشاعر جياشه نحو الاحبه الذين صرعوا على أرض المقدسات. نجد الرباب نموذجاً سامياً فى الزوجه الحانيه التى تقف إلى جوار الزوج حتى بعد استشهاده وتجتر آلام الفاجعه دون ان يكون لها شكوى فهى المؤمنه بأهداف الحسين الصابره على جهاده وعلى أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر.. وقد تكون صوره الرباب الزوجه المواسيه حاضره لدى الكثيرات من النساء اللائى يرون أزواجهن منصرفين لهموم الرساله ولا يجدون الوقت الكافى لأن يكونوا مع أسرهم.. ولكن ان ترى الزوج والولد بهذه الصوره وان تحضر مجلس الأعداء فذاك أمر آخر.

وفى نساء الطفوف نجد النماذج العليا للشابات فى فاطمه بنت الحسين عليه السلام

والتى القت خطبتها فى الكوفه أمام الناس الذين تلكأوا عن نصره الإمام وبكل قوه وثبات وهى الاسيره المرهقه وهى الوحيده التى تكلمت من بنات الإمام بعد استشهاده، هذه اليتيمه القت من جوفها حمماً على المتخاذلين فتحولت تلك الحمم إلى وقود يشعل بيارق الثوره.. وتجد كلماتها لا تقل فصاحه أو قوه عن باقى الخطب فهى نموذج سامٍ فى الوعى والمعرفه وفى نصره الرساله والعقيده ضمن شعار الكلمه وضمن شعار القيم التى حملتها فتراها تلجأ الى عمتها زينب عليها السلام ما ان بان لها طيف من هوى الشامى الذى ارادها جاريه. فما كانت والعياذ بالله من أولئك الذين ارتأهم الشامى بل كانت أجل واسمى لكن كم هو مؤلم ما سمعت من كلام وهى قمه فى الطهر والعفاف وهى الحره الأبيه، وما احوج شاباتنا اللواتى تستغرقهن غوايه الموضه والسفور والتشرنق حول دائره المكياج والملابس إلى ان يعشن صوره الشابه التى هى مثلهن فى العمر وربما فى الرغبات لكنها عاشت أهدافها العليا المقدسه وصانت قيمها رغم قله الناصر وأدت ما انيط بها من دور إعلامى جليل بكل قوه وجداره فى زمن نحس مكفهر.

أما الشابه الأخرى وهى سكينه بنت الإمام فلم تكن أقل شجاعه عن اختها وهى أيضاً نموذج للشابه المؤمنه المحافظه على حجابها وايمانها حتى فى مواقع الخطر.. ونموذج للشابه التى لا تعيش التذمر رغم كل المصائب التى مرت عليها، ما نسمع لها عتاباً وذماً وهروباً من واقع ثقيل المأساه أبداً بل هى البطله الثابته المبادئ الراسخه الإيمان.

أقول فى نفسى: ما احوج شاباتنا اليوم للتأسى بهؤلاء الشابات العظيمات اللائى - رغم صغر سنهن - عشن أدواراً صعبه وأهدافاً عليا وكن نموذجاً للمرأه التى تسمو على الشهوات والاهواء.

وهناك نسوه لم يكن بقوه أسره المعصوم أو كفاءتها لكنهن قدمن العظيم والكثير

فهذه طوعه الشجاعه الابيه تنصر مسلماً وتؤيده فی وقت خذله صناديد الكوفه. وعجباً للتاريخ الذی سجل لحظات النصره هذه لتكون وساماً خالداً لهذه المرأه القويه فی دينها الثابته علی ولائها والتی لم تصبح ضحيه الأهواء كما كان ابنها وغيره من الرجال.

وكان التاريخ - ومازال - ينسب الغوايه للنساء ويصفهن بقله الإيمان وتزحزح العقائد والذوبان فی الهوی وهی تهمه غادره اراد الرجال من خلالها ان يبرروا فيها ضعفهم وانزلاقهم فی الشهوات. وطوعه قالت عكس ما قالوا وثبتت فی التاريخ قوه الشخصيه لدی المرأه المسلمه.

هؤلاء القدوات الصالحه يعلمننا ان نتحرك دون شكوی أو تذمر أو استياء وان ننتهز الفرص من أجل التغيير والإصلاح فی أمه المصطفی. واذا كنا نفكر كم نتبوأ من مساحات فی الحيز الاجتماعی فهذا ما لم تفكر فيه هؤلاء النساء إذ كانت حركتهن خالصه لله ومع الله وإلی الله ولابد ان نتعلم وان تكون لنا اذن واعيه.

الشهيده بنت الهدی ..نموذج معاصر

لم تجرِ العاده ان يكتب الرجل فی كتبه ومؤلفاته باسم غير اسمه أو التعويض باشاره عنه؛ لأن العرف يدعمه ويسانده فی تعريف نفسه. أما المرأه فغالباً ما يكون نجاحها محاصراً معسراً ولهذا كتبت بنت الهدی باسم مستعار يكنّی عن هويتها النسائيه لا أكثر. ورغم ذلك فقد حورب هذا الاسم النسائی ضمن اطروحات العلماء المتصلبه؛ إذ كيف يمكن لهذه الانثی ان تقتحم قلاع العلماء الكبار فتأخذ منهم سطوراً وصفحات كانت مقصوره عليهم!. وهذا الامر عاشته المرأه الغربيه قبلها فقد كتبت جان ساند باسم الرجال رغم انها كانت إياها لا إياه!. فالذكوريه كانت حاكمه ومسيطره علی العقل المجتمعی.

ولكن بنت الهدی رحمها الله كانت اقوی من التحديات المعاصره فكتبت ونشرت

كتبها النسائيه فى زمن الهجمه الشيوعيه المحاربه للإسلام وفى وقت تفرغ فيه علماؤنا الاعلام للرد على الفكر الشيوعى وحمايه الفكر الدينى بشكل عام، تبنّت الشهيده احياء وتوعيه عقل المرأه المسلمه ووقايته من التلوث الزاحف وتقديم القناعات القويه لها حول دينها وإسلامها. وكانت ضمن حركه دؤوب بين أطياف المجتمع العراقى فنشرت فكرها فى الحيز الجامعى واستقطبت طالباته وقدمت لهن الرؤيه المعاصره للإسلام والذى يريد للمرأه ان تكون واعيه متسلحه بالمعرفه والعلم (طلب العلم فريضه على كل مسلم ومسلمه) لكن ضمن القيم الإسلاميه. اعدت الشهيده جيلاً من النساء المؤمنات الصالحات اللائى حملن مشعل التغيير والإصلاح وانطلقن يكملن برنامجها الإسلامى الكبير حتى ظهر الخط الإسلامى الواضح من خلال انتشار ظاهره الحجاب فى الوسط الجامعى وفى أوساط الأثرياء والفقراء على حد سواء. وكانت ظاهره مميزه وجهت رساله واضحه للحكام والشياطين بابطال اجندتهم الفكريه التى رصدوها لحرب الإسلام وتشويه أفكاره وقيّمه الحضاريه.

ولهذا سارع نظام صدام المقبور إلى انهاء حياتها كى ينهى صوره معاصره للمرأه المتسلحه بالعقيده وهى تدافع عن العقيده. صوره لامرأه آمره بالمعروف ناهيه عن المنكر فى زمن الضباب والتضييق.. قتلها صدام لكى لا تسير على خُطى زينب فتنطلق فى دور إعلامى واسع ينشر لواء الإسلام عالياً فى سماء أرض الطفوف بعدما ألبت الناس على النظام من خلال انتفاضه رجب(۱) فلابد ان يقطع هذا الدور.

ان الكفر الحاقد لم يبق لها جسداً ولا أثراً سوى تلك الصفحات المكتوبه فى

۱- فى انتفاضه رجب عام ۱۹۷۹ اعتقل المرجع السيد محمد باقر الصدر فما كان من السيده آمنه الصدر اخته إلا أن تحضر الحرم الحيدرى وتعلن نبأ اعتقال السيد وتدعو الناس للجهاد ولنصره المرجع الصدر، فخرجت المظاهرات فى أنحاء العراق ضاغطه على الحكومه فى الافراج عن السيد وهذا ما حصل.

أوراقها القديمه.. لكن طالباتها مازلن ينشرن لواء الإسلام فى ارجاء المعموره مستفيدات من كل الآليات المتاحه.

ان بنت الهدى صوره معاصره ومشرقه للمرأه المسلمه ولادوارها الزينبيه فى زمن التحديات الصعبه. ولعل هناك صوراً أخرى لا تقل عن هذه الصوره لكنها غائبه أو مغيبه (كما غاب الألوف من الرجال فى سجن الحجاج).. انها ثمره العطاء الزينبى الخالد لعاشوراء عام ٦١ ه.. إذ لم تكن ثوره الحسين وكلمات زينب لوقتها وزمانها وأرضها المحدوده إنما كانت لكل الأمه على مر الأزمان والتواريخ.

كيف تبقى صورهم فى الذاكره؟

نحتاج إلى ان نحافظ على هذه النماذج الساميه فى القدوات الصالحه وان نبقى وهج أنوارهم فى نفوسنا.. ولا بد أولاً ان نفهم هؤلاء النساء ونعرفهم ونعرف أدوارهم وكيف ضحين وجاهدن فى الله حق جهاده.

ولا بد لنا - كمربين - ان نستعين بكل ما من شأنه ان يحفظ هذه الصوره النبيله عبر استخدام التقنيات المعاصره والاصرار على حمايه المنبر الحسينى بتقديم هذه النماذج بشكل دورى ودائم كى لا يضعن فى غيابت النسيان.

لابد من التعريف بشخوصهن وأدوارهن وزرع القوه فى نفوس بناتنا ونسائنا بأنهن قادرات على إعاده الأدوار الكريمه وعليهن التعرف على آليات النجاح التى اتبعنها.. لابد أولاً ان نعرفهن على قوه المرأه المسلمه وقوه شخصيتها ولكننا - مع الأسف - ظلمناهن.

فهذه هى مشكلتنا الإساسيه، فلقد حرصنا على الدوام على تصوير هؤلاء النساء اللائى كن جبالاً فى الشجاعه والصمود والثبات. حرصنا على تصويرهن على انهن نساء عاجزات ضعيفات لم يكففن عن الشكوى والعتاب مع الاخ والزوج والابن

وشتان بين الصورتين.. وهذا لعمرى ظلم كبير!..ولقد حرصنا دوماً على تقديم صور النساء فى الفاجعه لاستثاره العواطف واشعال المشاعر وهذا ما جعلنا نقفز على كل ما هو صحيح وواقعى من أجل دموع قلائل. كسرنا هؤلاء القدوات حينما جعلناهن نماذج سلبيه جامده واقتربنا منهن فقط ضمن دائره المأساه والمواساه لا أكثر.

ظلمنا هؤلاء العظيمات حينما فكرنا ان نقترب من الإمام ونسائه لا من موقع الثوره والتغيير والانتصار الحتمى الخالد بل من موقع الانكسار والبكاء والندب الجاحد الذى يميت هؤلاء العظيمات فى دوائر الانهيار.

ظلمنا هؤلاء النساء حينما جعلنا الحواجز بيننا وبينهن واسعه وبعيده فهن غائبات عن حياتنا إلا فى دائره البكاء.. لقد وسعنا قبور هؤلاء العظيمات فهن فى وعينا كائنات ميته ماتت بعد بكاء طويل وشكوى مستمره!.

ظلمنا هؤلاء النساء اللائى عشن الحرص على الإسلام والإمام والأمه كلها.. ظلمناهن لما عشنا همَّ أنفسنا وذواتنا بعيداً عن هموم الأمه الكبيره وهموم الإسلام الذى يذبح من منحره كل يوم ربما مئات من الحسينيين والزينبيات... ورغم ان نساءنا اليوم يعشن الكثير من المشكلات والتصدعات فى جدران الهويه والهدف والطموح لكنهن لم يتعلمن آليات التعامل مع هذه التصدعات من خلال صور نساء الطفوف أنفسهن!.. أو ليس هذا ظلماً كبيراً لهؤلاء النساء الخالدات؟.. والأدهى والأمّر اننا نستجدى من الاخريات ممن هن أقل شأناً وحظاً وديناً ما نتصوره ناصراً لنا على مشكلاتنا. وهذا ظلم أكبر من سابقه.

ربما نبكى زينب عليها السلام ونذرف عليها دموعاً متتابعات لكننا نقتل فى كل يوم وليله الف زينب من خلال استهانتنا بمبادئ ديننا، بمواقيت صلاتنا، بحجابنا، بقيمنا، باهتمامنا بمعرفتنا.. نقتل زينب حينما نعيش استغراق الصوره والمظهر لا استغراق الدين والعلاقه مع الله.

نحن نقهر أنفسنا على الذوبان ضمن الصوره الجسد وننسى ان زينب عليها السلام كانت عظيمه حره أبيه طفرت على كل ابعاد العبوديه التى تطوق نساءنا المعاصرات. لم تكن واحده من نساء الطفوف تعيش القهر والجبر على الحضور إلى كربلاء أو على القيام بأدوارها الرساليه العظيمه وعشنا نحن قهر الموضه وقهر العادات والأعراف فبقينا نرزح تحت قيود العبوديه دهراً طويلاً.

وإذ اننا نعيش كل هذا الظلم الكبير لهؤلاء النساء، فكيف نستطيع ان نضعهن فى سلم الاقتداء الصاعد عبر الفكر والمنهج وليس فى سلم الاقتداء الجامد عبر العواطف الميته؟.. وإذا ما حررنا هؤلاء النساء فى وعينا وذاكرتنا وأخرجناهنّ من سجن ظُلمنا إياهن فحينئذ نستطيع تحفيز القدوه فى سلوكنا وسلوك الآخرين.

لنتعلم أولاً ان نبكى على الحسين وأنصاره ونسائه لا من أجل الثواب والأجر - وان كان هذا مطلوباً بحد ذاته وتشجع عليه الرساله - لكن من باب ابراز الحاجه والعوز إلى محطات الانطلاق كى ننطلق كما انطلقوا.

الفصل الرابع: سیده الطف الأولی

اشاره

السیده زینب بنت علی بن أبی طالب علیهم السلام

اشاره

فی العام الخامس للهجره، تطایرت نسائم الفرح فی أرجاء البیت الفاطمی وقد غمره السرور وفاضت به البهجه بمیلاد الحفیده الأولی للرسول صلی الله علیه وآله وسلم وها هی الزهراء علیها السلام قد تهللت أساریرها واشرق وجهها وهی تحتضن المولوده الصغیره متأمله البراءه العذبه المرسومه علی محیاها الصغیر.. وانتشر خبر ولاده الحفیده الأولی فی أرجاء المدینه کما ینتشر عطر المسک الزکی وتسلق جدران مسجد النبی صلی الله علیه وآله وسلم لینتشر بین جنباته وأرکانه وها هو علی بن أبی طالب علیه السلام وصی رسول الله وأخوه وابن عمه یتلقی البشری فتهفو نفسه لرؤیه المولوده المبارکه فیترک المسجد ویحث الخطی إلی البیت یتبعه ولداه الحسنان علیهما السلام سبطا هذه الأمه وریحانتا رسول الله وسیدا شباب أهل الجنه لیریا اختهما الصغیره وقدکان الحسین علیه السلام یکبرها بسنتین.

حمل علی علیه السلام الطفله بین یدیه.. تأمل وجهها الباسم وطبع علی جبینها قبله وقرأ الأذان والإقامه فی اذنیها. وتسابقت النساء تزف له التهانی بالزهره المتفتحه فی البیت المحمدی سلیله الزهراء وخدیجه الکبری علیهما السلام.. وتساءل الجمیع عن اسم هذه المولوده؟ فسکت علی والتفتت إلیه الزهراء علیها السلام وقالت سمّ هذه المولوده فقال: ما کنت لأسبق رسول الله وکان فی سفر له. ولما جاء النبی صلی الله علیه وآله وسلم سأل عن اسمها فقال صلی الله علیه وآله وسلم ما کنت لاسبق ربی تعالی، فهبط

جبرئیل یقرأ علی النبی صلی الله علیه وآله وسلم السلام من الله الجلیل وقال له سمّ هذه المولوده زینب فقد اختار الله لها هذا الاسم. وزینب تعنی زین أبیها وکانت حقاً زین ابیها وأمها وزین رسالتها ودینها.

مناقبها الفاضله

وفی هذا البیت الذی استضاء بأنوار الرساله المحمدیه وثبتت أرکانه علی دعائم التوحید شبّت زینب وترعرعت لتکون تربیتها علی ید سیده نساء العالمین فاطمه بنت سیده نساء العالمین خدیجه علیها السلام وعلی ید سید الأوصیاء وقائد الغر المحجلین والسابق إلی الإسلام علی بن أبی طالب علیه السلام، وهکذا رضعت زینب من ثدی الإیمان وتغذت من مائده الرساله؛ لترتقی السلم الإیمانی لتکون حقاً عقیله بن هاشم - والعقیله هی المرأه الکریمه فی قومها - فالاستعداد الفطری للکمال موجود عند الجمیع ویمکن الوصول إلیه عن طریق التربیه الصالحه والتوجیه والجهد والاکتساب، وإذا کان عدد قلیل من النساء قد وصلن إلی مرتبه التکامل الإنسانی علی مر التاریخ فلیس هذا بسبب القضاء أو القدر أو الضعف البدنی بل بسبب الإهمال لعناصر القوه والوعی فی تربیه الشخصیه (فالمرأه بحاجه إلی تنمیه شخصیتها وبنائها علی أساس تقویه الطاقه العقلیه لدیها بالتجربه الحیه والمعرفه الواسعه ولا بد من وجود النمو العقلی والعملی والحرکی لها).

ولقد توفرت لزینب علیها السلام کل أسباب التربیه الناجحه، ولهذا فنحن لا نجد فضیله إلا وزینب علیها السلام فی قمتها فمن زهدها انها کانت - علی ما رواه الإمام السجاد علیه السلام - انها ما ادخرت شیئاً من یومها لغدها أبداً.

وکانت علیها السلام تقضی عامه لیالیها بالتهجد وتلاوه القرآن وما ترکت صلاه اللیل حتی فی لیله الحادی عشر من محرم رغم شدتها.

وعن عماد المحدثین: ان زینب علیها السلام کانت تروی عن امها وأبیها

وأخويها وقد روى عنها ابن عباس وعلى بن الحسين وعبد الله بن جعفر.

وكانت عليها السلام من أكثر نساء أهل البيت جرأه وبلاغه وفصاحه وهذا واضح من خطبها فى الكوفه والشام.

وعن الصدوق محمد بن بابويه (طاب ثراه):

كانت زينب عليها السلام لها نيابه خاصه عن الحسين عليه السلام والناس يرجعون إليها فى الحلال والحرام حتى برئ زين العابدين من مرضه.

وفوق كل هذا فقد كانت على قدر كبير من العلم والمعرفه وكانت لها مجالس لتعليم النساء القرآن الكريم فى الكوفه ما بين عامى ۳۵ - ۴۰ ه، وهذا ان دل على شىء فانما يدل على ان لها دوراً كبيراً فى عمليه التوعيه النسائيه، وهذه العمليه المهمه والخطيره تحتاج إلى المرأه المثقفه الواعيه العالمه بشؤون دينها والأمه نفسها تحتاج إلى هذه العمليه لتحريك العنصر النسوى والقضاء على الجهل بين صفوفهن.. وخلاصه ما قلناه ان زينب الحوراء عليها السلام كانت صنوان أمها فى طيب الخلق وحسن السجايا وكانت تشبه اباها فى قوه القلب فى الشدائد والثبات عند النائبات والصبر على الخطوب القاسيات.

زواجها المبارک

ولعظم مناقبها وكرم أخلاقها العاليه فقد خطبها الكثيرون فردّهم الإمام عليه السلام بحثاً عن الكفوء الذى يليق بهذه المرأه العظيمه، ولم يكن هناك اجدر من ابن اخيه عبد الله بن جعفر بن ابى طالب الذى كان أول مولود يولد فى الإسلام فى أرض الحبشه التى هاجر إليها أبوه جعفر وامه اسماء بنت عميس مع جمع من المسلمين. وكان جعفر من احب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد عاد من الحبشه إبان فتح خيبر فجعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقبله وهو يقول ما ادرى بأيهم انا اشد فرحاً بقدوم جعفر أم بفتح خيبر.

زینب... المرأه الصابره

ابتداء من عصر عاشوراء تنتقل المهام الاساسیه للسیده زینب علیها السلام .. فقد اصبحت هی مدیره القافله ذلک ان الرجل الوحید الذی بقی من أهل بیت الحسین علیه السلام فی کربلاء کان الإمام زین العابدین، إذ کان فی حاله صحیه متردیه.(۱)

ان المقام الشامخ لزینب علیها السلام انما تبلور فی الواقع من عملها التبلیغی.

ولقد استطاعت زینب علیها السلام التغلب علی عواطفها فی اللحظات الحرجه وکان من الممکن ان تنهار لعظم الفاجعه ولکنها صمدت وسیطرت علی مشاعرها واحاسیسها لتعطی صوره المرأه الصابره الثابته التی تفوق صلابتها الجبال الراسیات.

زینب علیها السلام خطبت فی الناس وکانت فی منتهی الحیاء والعفه والعظمه وبذلک تکون قد عجنت فی شخصیتها حیاء المرأه وشجاعه علی.(۲) یقول الراوی ولم ارَ واللهِ خَفِره قط أنطلق منها.(۳)

أظهرت السیده زینب علیها السلام درجه عالیه من التسامی من خلال التحول إلی الأهداف العلیا التی انطلق من أجلها الإمام علیه السلام فی نهضته ویبدو ذلک من مواقف عده فقد مر بنا فی أدوار نساء الطفوف فی دور المتابعه والحمایه والذی یکاد یکون خاصاً بالسیده علیها السلام نری سؤالها ومتابعتها لشؤون الإمام والاخوه ولکن لا ینقل المؤرخون أی شیء عن سؤالها عن أولادها الذین استشهدوا فی الواقعه.. لقد کان الإمام کل همها وکل حیاتها ولکن لیس بمعنی الأخ فحسب بل کان بمعنی الولی الشرعی والإمام المعصوم والقائد الأول.

۱- مطهری، الملحمه الحسینیه، ص ۲۵۳.

۲- مطهری، الملحمه الحسینیه، ص ۲۵۶.

۳- المقرم، مقتل الحسین.

وهـذه مرتبه عاليه تشـير إلى عِظم نكران الـذات وتبلور المهم نحو الاهم والـذوبان فى الهم الأكبر ولعل نكرانها لذاتها واهتمامها بشؤون الرساله والإسـلام يبدو واضـحاً منذ البدايه حيث اصرت على ان تكون معه، وهى تعلم مشقه السفر وغياب الراحه والأمان فيه. لكنها انطلقت من موقع حاجه الرساله إلى وجودها واهميه دورها فى كربلاء.

كما ابدت السـيده مهاره عاليه فى قياده إداره شؤون القافله الحسـينيه وتولّيها بعد استشـهاد الإمام الحسـين عليه السلام حيث كان الإمـام زين العابـدين عليه السـلام مريضـاً آنـذاك فمـا هو معروف ان الأزمـات والخطوب تُعَـدَّ المرآه العـاكسه لشخصـيه الفرد، فالشخصـيه لا تبدو ملامحها وخصوصـياتها وقدراتها إلا فى الظروف الصعبه وفى المحكات الحرجه وهذا ما يقوله الشيخ مطهرى رحمه الله: لم تكن زينب عليها السلام شخصاً فى التاريخ ولكنها انطلقت لدعم الحق الذى عرفت أهله لتكون كلمه الله هى العليا.

فالتاريـخ انما يـدون حركه الـذين يتركون بصـماتهم عليه وواحـده من البصـمات الموجوده هو دور القاده والمـدراء فى الحركه العامه. ونحن إذا تتبعنا التاريخ نفسه فماذا يحدثنا عن خلافه مروان الحمار غير الحماقه والذل، وماذا يزيد على خلافه سـليمان بن عبـد الملك غير الشـره والظلم اللا محـدود. ويمكن ان نتابع الشأن الادارى والقيادى للسـيده زينب عليها السـلام من خلال عـده أمور:

ففى الأوقـات الحرجه واللحظـات العصـيبه، عـاده مـا يبحث الناس عمن يلتفون حوله ومن يعينهم فى ذلك الظرف العسـير، وبعد واقعه الطف لم يبق من الرجال أحد إلا الإمام السـجاد عليه السلام والذى كان هو الآخر مريضاً وبحاجه إلى رعايه وعنايه.. كانت هناك مجموعه من الطيور الجريحه والمنكسـره فى الركب الحسـينى وهؤلاء كلهم التفوا حول السـيده زينب عليها السـلام لأمور منها وصيه الإمام الحسين عليه السلام للسيده وتكليفها بهذا الأمر.

لقد كانت لزينب عليها السلام مسؤوليتان: الأولى ان تعطى النموذج الأعلى للمرأه المسلمه فى ان تكون اكبر من المصيبه. والأخرى ان تعطى القوه والصلابه لمن حولها.

وقد كانوا كلهم قبل استشهاد الإمام وبعده متمسكين بالسيده، فهذه رباب تسلم رضيعها الظامى إلى السيده زينب لتوصله بدورها إلى الإمام الحسين عليه السلام، وهذه فاطمه بنت الحسين عليه السلام تلوذ بعمتها فى مجلس يزيد، وتلك رقيه ترافقها السيده حتى وفاتها ودفنها فى الشام. وقد سمعنا ولاحظنا مراراً ان كثيراً من الذين يدّعون وجود قدرات قياديه وإداريه عليا لديهم يتعثرون أمام المشكلات والأزمات التى تعترض طريقهم وكثيراً ما ينهارون أو يبحثون عن ملجأ يفرون اليه. وبعضهم يلجأ للانتحار لأنه غير قادر على التكيف مع المشكلات أو المصاعب التى تعترض سبيلهم، فى حين ان الظروف التى مرت على آل البيت عرّفت بقدرات السيده وابانتها إلى العالم الإنسانى كله، ففى الظروف الصعبه يلتف الأفراد حول نموذج يتعلقون به وهذا يتطلب الإيمان بقدره هذا الشخص فلا بد وان يكونوا قد عرفوا له مواهب وملكات واخلاقيات عليا. ولابد ان يعرفوا انه يمتلك مقداراً من القوه التى يعبر فيها عن رأيه بصراحه دون خوف أو وجل. وان يتخذ مواقف حاسمه فى المنعطفات الساخنه (فاطمه بنت الحسين مع الشامى) (وموقفها من الصدقات)، وان لا يبدى ضعفا اوانهياراً أمام المجموعه كى لا ينهار أعضاؤها الباقون، وهذا هو أحد الأسباب التى تحدثنا عن مواقع القوه لدى السيده فى شخصها وشخصيتها وفى قدرتها على اتخاذ الموقف الحازم فى الظرف الصعب. وهنا سنمر على صفه أخرى لدى السيده ومواهبها الإداريه والقياديه.. فالإدارى الناجح والقائد الناجح هو الذى يتمتع بمعنويات عاليه ويقف على أرضيه صلبه من القوه النفسيه الصامده. وهو - أى القائد والإدارى - لابد وان يطلع على نفسيه موظفيه فيعرف بحساباته وأرقامه كم هى معنويات من هم تحت يديه ليهب لهؤلاء

الضعاف فی المعنویات وذوی الدرجه الدنیا من القوه الذاتیه الباطنیه فیهبهم ما یشد ازرهم ویقوی شکیمتهم ویثبتهم فی موقع الانهیار، ولهذا لم نسمع عن أی موقف ضعیف أو مهزوز أو لا یناسب الساحه المقدسه لآل البیت علیهم السلام.

لقد مرت السیده علی مصرع الحسین علیه السلام ووضعت یدها تحت منحره لتقول نحن آل البیت قدمنا قرباناً لنصره دین الله. ولم تهن ولم تضعف أمام الجند بل اظهرت شجاعتها وصلابتها واخفت دموعها مع نفسها حتی لا یراها عدو أو شامت وبهذا عرفت نساء القافله ما هو المطلوب منهن. فهنا فی قضیه الحسین لیس هناک وقت لاظهار العجز وافراغ الحزن الاجوف، وبهذا قادت السیده زینب علیها السلام القضیه الحسینیه - تحت رعایه المعصوم - فی مساراتها الحاده والصعبه لکنها عبرتها بقوتها وقوه إیمانها بالله تعالی وکانت تهتم بتقویه المعنویات لدی ابناء القافله، ولأن النساء عشن اجواءً قیمیه سابقه فی بیوتهن الأولی فقد کان للعامل النفسی والمعنوی أثرٌ فی صیاغه القیم التی حملها الحسین علیه السلام فی ثورته سواء القیم الأساسیه فی العز والکرامه والتضحیه والصبر والجهاد والأمر بالمعروف والنهی عن المنکر أو القیم الأساسیه الأخری کقیم صیانه المرأه وحفظ ماء الوجه برد الصدقات وإلی غیر ذلک.(۱)

بل ان معنویاتها العالیه وروحیتها الساميه لتحکی عن عظیم صبرها.. لله درک یا سیدتی.. هی التی مرت علی أجسام الضحایا وهی التی قدمت القربان وهی التی کانت تأنس بصوت الإمام الحسین خارج الخیمه یقاتل حتی إذا انقطع الصوت وجاءته لتراه کومه من سهام!!.. هی تواسی الإمام السجاد علیه السلام لما رأی مصرع أبیه. ولا

۱- زینب ادخلت السکینه فی قلوب الأطفال وهدأت روعهم خاصه بعد هجوم الخیول علی المخیم المحترق وفزع النساء وحیرتهن فی أی اتجاه یتحرکن تأتی زینب المکلوم قلبها لتهدئ هذا الجمع الغفیر ولا یمکن ان ینجح أحد فی هذا الدور ما لم یکن هو مظلّلاً بالسکینه. (مؤسسه البلاغ, نساء هن المثل الاعلی).

أقول ان الإمام – والعياذ بالله – أقل صبر وكيف ذلك وهو شيخ الصابرين ولكنى أقول بقدره هذه المرأه على ضبط عواطفها – فدموعها داخليه – والسماح بالقدر المناسب فى الوقت المناسب لمشاعرها ان تظهر على السطح. فهى تواسى الإمام الجديد الذى آمنت بطاعتها له وتصّبره على مرأى الخطب العسير وتذكره بالعهد القديم .. كانت السيده تواسى الإمام وتواسى الآخرين لكن من الذى واساها وصبرّها وقدم لها العزاء؟!

وتشاطرت هى والحسين بدعوه

حتم القضاء عليهما ان يندبا

هذا بمشتبك النصول وهذه

فى حيث معترك المكاره فى السّبا(۱)

وبهذا فالمرأه القويه الشخصيه القويه الروح والمبدأ القويه فى ضبط العواطف والمشاعر لهى نعم العون للرجل فى ساعه الخطر وفى مساحات الشده، فهذا رسول الله يجد فى خديجه نعم المواسى ونعم العون، وإذ قدمت السيده خديجه للمسلمين مالها فهى قدمت للرسول صلى الله عليه وآله وسلم تصبرها وتصبيرها، قدمت المشاركه النفسيه فى مواجهه الضغوط وهو احوج ما يحتاج إليه كل مصلح وكل نبى وكل قائد.. وهو ما يعبر عنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالقول:

آمنت بى إذ كفر الناس وصدقتنى إذ كذّبنى الناس وواستنى فى مالها إذ حرمنى الناس ورزقنى الله منها أولاداً إذ حرمنى أولاد النساء».(۲)

وكذلك كانت السيده الزهراء لأمير المؤمنين عليهما السلام.. لقد آمن كلاهما بالقضيه الحاسمه آنذاك قضيه الولايه وقضيه الرساله وقضيه فدك.. كانت الزهراء عليها السلام هى التى تدافع عن حق زوجها – وهو حق الرساله نفسه – وهى التى تعلن استنكارها للظلم والحيف والجور لم يكن مع على رجال كثيرون فى صراعه الأول لكن

۱– المقرم، عبد الرزاق الموسوى، مقتل الحسين عليه السلام، ص ۳۰۷.

۲– الصقلانى \الاصابه فى تمييز الصحابه.

الزهراء كانت إلى جواره حتى إذا ما رحلت وقف عند القبر باكياً.

وقد حاصرنا مفهوم القوه فى الكتف العريض واليد الغليظه وفى صوله السيوف. ولكن القوه الذاتيه لدى الإنسان كقوه زينب ناءت عن مضاهاتها آلاف السيوف..

ويرى البعض ان هناك تخوّفاً لدى الرجال من ان تكون المرأه قويه فى شخصيتها ويتصورون القوه فى الجرأه أو الوقاحه وكلاهما مرفوض إنما القوه تبدو فى صيانه المواقف وفى التحكم بالمشاعر وفى دعم الأساسيات العامه التى تريدها الأمه.. وإذا كان الأمر كذلك فلِمَ الخوف من قوه شخصيه المرأه؟ وقد رأينا بعضهم يسعى لابقاء المرأه بين ظلام الجهل واساطير الخرافه ويتصور انه بهذه الوسيله سيبقى على المرأه فى قبضه يده - يا للعجب - كأننا نعيش فى غابه لابد من قوى يأكل الضعيف ولا بد للضعيف ان يعيش أخرسَ أبلهَ أعمى كى يبقى فى الغابه!.

ان المرأه اذا تكاملت اقتربت فى سماتها من الرجل المتكامل وهذا ما بان واضحاً عند السيده زينب عليها السلام والتى كانت شبيهه لاخيها الإمام الحسين عليه السلام فى رفضه للضيم والذل وعدم رضوخه ليزيد، فزينب قالت له (مثلى لا يبايع مثلك) ولكن بلغه أخرى، وهى إذ لم تعطهم اعطاء الذليل، فهى أيضاً بقيت الحافظه للقيم التى نادى بها الإمام الحسين ونشرها.

وزينب مثلت المعارضه للحكم الأموى وهى مع نساء الطفوف كنَّ نموذجاً لنساء محجبات مؤمنات عابدات معارضات للحكم الأموى.

والسيده زينب عليها السلام التى تصدّت لكل هذه الاحمال والأثقال فى وقت الشده وتحملت المسؤوليات الجسام، بل تعددت مسؤولياتها ما بين الحفاظ على العيال والحفاظ على القيم والحفاظ على القضيه والحفاظ على المواقف العامه وما بين التسامى والانعتاق من أسر الضغوطات والطيران فى أجواء السماء الإلهيه.. لم تنس ولم تترك صلاه

الليل حتى ليله الحادى عشر وهى بهذا القلب الكسير والهم الثقيل وعيون الأعداء ترصد زينب وترصد صلاتها، فالصلاه معراج كل مؤمن لكنها صلاه الاستنكار والإدانه لما قام به الأمويون.. ومهما زاد بطشهم فعلاقه السيده مع الله مازالت فى القمه.

وقد رأيت بعض النساء أمام أدنى مشكله فى البيت مع الزوج اوالأولاد تهمل صلاتها وتقلص حجم ما تستطيع تقليصه وتقدم لنفسها عذراً فى ذلك بانها مثقله الهم، وليست المرأه وحدها فى هذا الجانب بل الرجل أيضاً وبخاصه الرجل المعاصر الذى تحيطه المغريات وتحاول ان تنتزعه (المعاصَره) من دينه وقيمه..

وبسبب مجالس العزاء التى اقامتها فى المدينه والتعريف بفكر الثوره الحسينيه أمر يزيد باخراجها من المدينه كى يصبح قبرها فيما بعد مزاراً وموئلاً..

لقد كانت ثوره الإمام الحسين عليه السلام برجالها ونسائها ومسيرها حركه جليه نحو الله لم تكن هناك دنيا أو اهواء او استرقاق دنيوى، بل كانت هناك رغبه وتسابق نحو تحصيل رضا الله وجنات الخلد، ولئن استشهد الإمام عليه السلام وصحبه بتلك الطريقه المؤلمه فان مواقفها كانت سجل انتصارات وبطولات وملاحم تحكى عن عظمه امرأه خلقت من الماء والطين ليس اكثر لكنه الايمان الذى جعلها اقرب الى الله.. ومن مظاهر الإيمان هو الصلاه والعلاقه مع الله (ما رأيت إلا جميلاً.. اللهم تقبل هذا القربان) وهذا لا يكون إلا من نفس راضيه بقضاء الله وقدره مطمئنه إلى وعده.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام:

ان عمتى زينب كانت تؤدى صلاتها من قيام الفرائض والنوافل وعند سير القوم بنا من الكوفه إلى الشام وفى بعض المنازل كانت تصلى فى جلوس فسألتها عن سبب ذلك فقالت أصلى من جلوسى لشده الجوع لأنها كانت تقسم ما يصيبها من الطعام على الأطفال.(۱)

۱- جعفر النقدى، زينب الكبرى.

وقالت فاطمه بنت الحسين عليه السلام:

واما عمتى زينب فانها لم تزل قائمه فى تلك الليله (أى العاشر من محرم) فى محرابها تستغيث إلى ربها فما سكنت لنا عين ولا هدأت لنا رنه(۱).

وقالت أيضاً:

ان عمتى مع تلك المصائب والمحن النازله بها فى طريقنا إلى الشام ما تركت نوافلها الليليه.

السيده زينب عليها السلام لم تكن امرأه قائده ومديره ومواسيه ومواليه بل كانت أيضاً نموذجاً سامياً للمرأه الربّانيه ..ولقد ضرب الله مريم عليها السلام مثلاً فى تهجدها وعبادتها لله تعالى وكانت عليها السلام تصلى فى أوقات الرخاء واليسر، فكيف بالسيده زينب قد واظبت على عبادتها فى أوقات الشده والأعداء يحاصرونها ويحرمونها من الماء وهم يشتمون آل البيت ويستهينون بكل المقدسات والقيم.

وقد بانت علاقتها القويه مع الله من خلال عبادتها وخطبها وكلماتها مع الجميع، بانت وكأنها رساله إلهيه تتحرك بين أبناء البشر ومع كل الظروف الصعبه يأتى الإيمان والعلاقه الطيبه مع الله ليكون المعين على الثبات على العقيده وعلى تحمل القول الثقيل والقدره فى التحكم فى المشاعر والأهواء والاستمرار فى طريق ذات الشوكه دون ارتخاء أو تنازل.. ولو سألنا أنفسنا ما هى أزمه الإنسان المعاصر - الرجل والمرأه - لوجدنا ان أزماته كلها الروحيه والاجتماعيه والنفسيه تعود إلى أزمته الأصليه فى غياب العلاقه مع الله وعدم وجود الذخيره الروحيه الناتجه عن ذلك والقادره على فتح أبواب الأزمات والشبهات أمامه والتى ترسم له هدفيته الواضحه فى الحياه.

والسيده زينب عليها السلام رفضت الاستغلال السيّئ للفاجعه فرفضت ان

۱- الشريف الجواهرى، مثير الأحزان، ص ۵۶۰.

تـدخل علیهن ای امرأه کـانت واشترطت ان لاـ یسـمح بالـدخول علیهن الاّـ لامرأه مسبیه أو أم ولـد لکن هـذا لم ینفِ الحضور الاجتماعی المتین الذی رسم آثاره فی کل موقع نزلت فیه.

ومما ینقله أصـحاب المقاتل ان السـیده زینب لم تسـتقبل أیاً من أصـحاب الواجهات فصاحت (زینب) بالناس: لا تدخل علینا إلا مملوکه أو أم ولد فانهن سبین کما سبینا.(۱)

ومن المعروف ان الطـامعین والطـامحین إلی تحصـیل المنـاصب والمقامـات العلیا یحاولون تقویه وجودهم من خلال اسـتغلالهم لهـذه المواقف، ولهـذا کثیراً ما نری الإعلام یعرض لنا الرؤساء (الجلادین) کیف انهم یساعـدون الفقراء أو یزورون المرضـی أو یزورون الشخصـیه العلمائیه أو یقدمون لها دعماً أیاً کان.. السـیده زینب علیها السلام قطعت السبیل امام هذا النمط من الاستغلال فرفضت دخول أی امرأه ما لم تکن امرأه عاشت مأساتهم ومصائبهم.

ورغم کل المصائب والمصاعب کانت السـیده علیها السلام شخصیه متوازنه لم یطح بها الاضطراب النفسی الذی یئن منه الرجال والنساء؛ لأن الإنسان المؤمن یفرغ همومه من خلال إیمانه بانتصار العداله الإلهیه، ومن خلال یقینه بعدم ضـیاع جهوده أو أعماله فی الحیاه الدنیا.

کانت السـیده من أولیاء الله الذین یعیشون همّ الآخرین وکیفیه انقاذهم من الشقاء، ولأجل ذلک هاجرت مع أخیها وتحملت کل شیء.. وعاشت أهدافاً واضـحه فی الثوره ولم تعش الضـبابیه التی تعیشها نساؤنا ورجالنا فی معرفه ما هو المطلوب وما هو الهدف وکیف الطریق إلی الهدف.

۱- المقرم، مقتل الحسین علیه السلام، ص ۳۲۶.

لقد كانت المحن التى مرت بها من شهاده أمها وهى صغيره واختفاء قبرها ومتابعه شؤون والدها المقصى عن الساحه كلها لا عن الخلافه وحدها ورؤيه مصائب أبيها واخيها الحسن ومن بعدُ الإمام الحسين عليه السلام. كل ذلك اكسبها القدره على التحمل وبهذا تحول العسر الذى عاشته إلى طريق نحو تكاملها. ورغم ان التاريخ لا يتحدث كثيراً عن السيده وعن عموم آل البيت منذ وفاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى تولى أمير المؤمنين عليه السلام خلافه الدوله الإسلاميه الكبرى عام ۳۵ه. فلقد كان للسيده زينب عليها السلام مجالسها الثقافيه فى الكوفه إبّان خلافه أبيها عليه السلام فى المده ما بين ۳۵ - ۴۰ ه وبذلك أسهمت كثيراً فى نشر الوعى الثقافى بين النساء خاصه إذ إنّ الكوفه كانت بعيده عن مركز الوحى ومنطلق الإسلام الأول، وقد كان لهذه المجالس أثر كبير فى وعى النساء الكوفيات وفى جعل الكوفه بالذات بلداً متميزاً بولائه لأهل البيت عليهم السلام ومتميزاً بنسائه فى الطفوف وقبلها - راجع سير الوافدات على معاويه -(۱).

بهذا تبدو السيده زينب عليها السلام نموذجاً ثقافياً عالياً اشار إليه الإمام زين العابدين عليه السلام بقوله: فأنت عالمه غير معلَّمه فهمه غير مفهَّمه.(۲)

وهذا ما اثبتته هى فى مجالسها وخطبها وكلامها وسلوكها وهى أيضاً نموذج لصوره متكامله لما تحتاج إليه المرأه المسلمه من ثقافه.. وبخاصهٍ فى عصرنا عصر العولمه وعصر القريه الكونيه وعصر تحدى الثقافات وعصر مسخ الثقافات.

فلهذا زينب عليها السلام عالمه، عظيمه الصبر قويه فى الله قمه ساميه فى إيمانها وشجاعه نادره أمام أعدائها أين كل هذا من الصوره السلبيه التى نحملها نحن فى وعينا

۱- محمد الصدر، أخلاق أهل البيت.

۲- المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص۳۱۳.

عن السیده زینب بانها - والعیاذ بالله - المنهاره، الشاکیه، القلیله الصبر.

تقول عنها بنت الشاطیء: وکانت «زینب» هی التی جعلت من مصرع «الحسین» مأساه خالده، لا نعرف ما هو أبعد منها أثراً فی تطور العقیده عن الشیعه.

وکانت هی التی صیرت من لیله العاشر من المحرم، مأتماً سنویاً للأحزان والآلام، یحج فیه أحفاد «التوابین» إلی المشهد المقدس فی «کربلاء»، حیث یعیدون تمثیل المأساه، وکانت هی التی سلطت علیها - من أنفسهم - نکالاً ألیماً لا ینتهی بالموت، وإنما هی نار «الندم» الجامحه، یصلاها منهم الجیل بعد الجیل.(۱)

بهذا یمکن القول: ان لنساء الطفوف أنواعاً متنوعه من الذکاءات وقد نحصر جلها فی السیده زینب علیها السلام بوصفها سیده الطف الأولی، فقد کان لها ذکاء لغوی ولفظی من خلال الإفاده من أکثر الکلمات تأثیراً وآثاراً علی المستمع کما هو ملاحظ فی خطبتها. کما ان هذا النوع من الذکاء قد اشار إلی موقعیه الکلمات فی التأثیر المختلف بین الموالین المتخاذلین وبین الأعداء الحاقدین فلکلّ کلماته التی تؤثر علیه.

کما کشفت السیده عن نمط عالٍ من الذکاء العاطفی والذی یمثل ۸۵٪ من الاداء المرتفع للأفراد القیادیی، والذی یتمثل فی قدرتها علی التحکم فی عواطفها وفی توجیه عواطف الاخریات والآخرین (کما فی کلامها مع الإمام زین العابدین علیه السلام). وفی توجیه العواطف لتکون سلاحاً قویاً بارزاً وخالداً أمام الأعداء. وهذا الذکاء هو الذی صان هؤلاء من الوقوع اسری العواطف السلبیه کالیأس والغضب والخوف وتحرک المنظومه کلها باتجاه التفاؤل (کد کیدک...) وباتجاه تحقیق الأهداف العلیا للثوره الحسینیه (انما خرجت لطلب الإصلاح فی أمه جدی أرید ان آمر بالمعروف وأنهی عن المنکر). وأیضاً کشفت عن درجه علیا فی مقاییس الذکاء الاجتماعی والذی

۱- بنت الشاطی، دکتوره عائشه عبد الرحمن، السیده زینب، ص ۱۶۷.

عرفه (ثوراندیک) بانه القدره على فهم الرجال والنساء والبنين والبنات وقيادتهم ليعملوا بحكمه فى العلاقات الإنسانيه. وعرفه آخرون بانه القدره على التعامل مع الناس، والقدره على اصدار الأحكام فى المواقف الاجتماعيه والقدره على التعرف على حاله المتكلم النفسيه إلى غير ذلك.. ولم نشاهد فى سلوكيات نساء الطفوف أى خلل فى سياق التعامل الاجتماعى سواء معهم فيما بينهم كمنظومه آل البيت عليهم السلام أو مع الآخرين من المناصرين والموازرين الذين نصروا الإمام الحسين عليه السلام بأصنافهم، لا نجد هناك سلوكاً خاطئاً وموقفاً يتم الاعتذار منه هيهات لقد كانت السلوكيات كلها فى المضامن العليا.

لقد كان حسن التصرف - بالتعبير الحديث - أحد أهم مظاهر السلوك لدى هؤلاء النساء الخالدات.

مضافاً إلى الذكاء الذاتى الفردى والذى يميز صاحبه بقوه اراده وبقدرته على تحفيز ذاته بذاته دون وجود أشخاص آخرين (فهو سند لغيره) ويعيش أهدافه العليا ويسعى من أجلها كما انه يمتلك حلوله لمشكلاته - ومشكلات الآخرين - بعيداً عن الحيل النفسيه وحالات الانكفاء على الذات والطفوله.

وهناك الذكاء الحركى الذى يهتم باختيار المكان ونمط الحركه فالسيده زينب عليها السلام تقف على التل الزينبى وقفه شموخ سائله عن مصير الإمام، والتاريخ يسجل هذه اللحظات الصعبه بل ويبقى صوره التل الزينبى انموذجاً للتواصل بين السيده وأخيها، وأيضاَ نتقصى حركتها فى الشام فى تتبع الإمام زين العابدين عليه السلام لما خرج من الخربه.

وقد بقى لزينب عليها السلام رمزها فى ارض الطفوف فالتل الزينبى كان يشرف على مصارع القتلى فى حادثه الطف. إذ كانت السيده زينب الكبرى (سلام الله عليها)

تتفقد حال اخيها الحسين (عليه السلام). هذا التل يشير إلى رحلتها المقدسه إلى كربلاء ويعرّف بدورها وبطولاتها ويجعلنا بحاجه إلى اعاده النظر فى أنفسنا لنرى ما هى المسافه بيننا وبينهن واين هو موقفنا أمام المشكلات والخطوب العاصفه بالاسلام.

ولقد صدق مطهرى حينما قال: من بدايه الخليقه الى الآن لم تأت اِمرأه من نساء الاولياء والانبياء بصبر وحلم زينب.

تأملات فى خطاب السيده زينب (عليها السلام) فى مجلس ابن زياد

اشاره

تأملات فى خطاب السيده زينب (عليها السلام) فى مجلس ابن زياد (۱)

إنّ خطاب السيده زينب عليها السلام كان يومئذٍ يتدفق كالشلال الهادر الذى ينحدر من قمه الجبل، يجرف معه ما يواجهه من الصخور، والأحجار، التى يقتلعها عن مستقرّها لا يصدّه شىء، ويرغمك أن تفتح له سمعك وقلبك.. كذلك كان تأثير هذا الكلام يومئذٍ على ذلك الجمهور الغفير الذى جاء متفرجاً على مأساه أهل البيت عليهم السلام، وليس متعاطفاً، كما يتفرج الناس على أى مشهد يثير فضولهم... فأرغمهم الخطاب على ان يعدلوا عن هذا الموقف إلى التعاطف والتفاعل، وأبكاهم فاجهشوا بالبكاء، وارتفع نحيبهم وصراخهم، وهزّهم من الأعماق. لقد أحبطت السيده زينب عليها السلام بكلماتها كل الجهد الذى بذله الطاغيه فى إداره هذا المشهد الإعلامى وإعداده. إنّها كانت حمماً، وليست كلمات، قذفتها ابنه على والزهراء على كل ما شيّده طاغيه بنى أميه فى الشام وعاملهم فى الكوفه فهدمت كلما صنعوا من مجد كاذب وغرور وكبرياء وسلطان.

ولست أدرى ماذا أودع الله تعالى فى خطابها واشاراتها، من التأثير والنفوذ والقوه يومئذٍ، عندما أشارت إلى ذلك الجمهور المتفرّج اللاغط: أن اسكتوا، فسكنت الأنفاس والأجراس، كما تقول الروايه.

۱- نص منقول بتصرف من كتاب الخطاب الحسينى للشيخ الآصفى.

ولیس لنا أن نتوقف بالتأمّل فی کلمات ابنه الزهراء ووارثه علم علی وشجاعته وبلاغته، ومن الخیر أن نمضی مع هذا السیل الجارف المتدفق من الخطاب الزینبی الهادر، ولا نشوّش علی القارئ هذه الفرصه، حتی یرتوی من الخطاب کما یحب ویشتهی.

ولکن أجد من النافع أن أِشرح بعض مقاطع هذا الخطاب لیعرف القارئ خلفیاته فی القرآن والحدیث والتاریخ. وإلیک طائفه من هذه النقاط، معتذراً إلی سیده نساء کربلاء وابنه سیده نساء العالمین.

۱ – الشجب والتأنیب والتقریع

کان أهل البیت علیهم السلام عند دخولهم إلی الکوفه بعد مأساه کربلاء بتلک الحاله المزریه، یتحدثون مع أهل الکوفه بمراره وألم، لا نعرف فی تاریخ أهل البیت علیهم السلام مثله قط بل إنهم اتبعوا فی ذلک المنهج ما أسست له بضعه النبی صلی الله علیه وآله وسلم فاطمه علیها السلام فهی أول من شجب وأنب وقرع المتخاذلین فضلاً عن التخصیص فی الخطاب لذوی النخب ومن علیهم المتّکأ: یکشفها ابتداءً قولها علیها السلام: إیه بنی قبله. وکانوا یؤنّبون أهل الکوفه، ویشجبون تخاذلهم عن نصره الحسین علیه السلام وغدرهم، وقعودهم عنه، بل خروجهم لقتال الحسین ومشارکتهم فی محاربته.. أشدّ ما یکون الشجب والتقریع بعدما دعوه وکاتبوه، ووعدوه أن ینصروه ویقفوا معه، وتواترت إلیه علیه السلام کتبهم، فتقول بحرقه وبألم ما بعده ألم:

«یا أهل الکوفه یا أهل الختل والخذل (الغدر)».

وعندما رأتهم یتصارخون بالبکاء قالت لهم:

«أتبکون فلا رقأت الدمعه».

وتقرّعهم بما جنت أیدیهم من الجریمه التی تخر الجبال لها هداً، فتقول: «أتدرون، ویلکم أی کبد لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فریتم، وأی دم له سفکتم، وأی

حرمه له انتهكتم، لقد جئتم شيئاً إدّاً تكاد السموات يتفطرن منه، وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدّاً».

ويتكرر هذا التأنيب والتقريع والشجب بكل ما تحمل الكلمه من حرقه وألم وأذى فى كلمات الإمام على بن الحسين عليهما السلام وفاطمه الصغرى والسيده أم كلثوم فى أوّل لقاء التقوا فيه أهل الكوفه وجهاً لوجه.

وعندما ارتفع نحيبهم وأجهشوا بالبكاء ندماً وحسره قالت لهم:

«أتبكون وتنتحبون، أى والله، فأبكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل أبداً».

ولسوف يطول بكاؤكم ويقل فرحكم وسروركم ولن تغسلوا عار تلك الجريمه، وأنى تغسل الدموع عار تلك الجريمه التى شاركوا ودخلوا فيها وتخاذلوا فيها عن الحسين عليه السلام ونصرته، واصطفّوا مع أعدائه، رَهَباً أو رَغباً.

سبحان الله! ما هذه بكلمات، ولكنها أفلاذ من كبد الحوراء، بنت فاطمه، تتقطّع حسره وألماً فى هذه المأساه التى سجلها الله تعالى فى ذاكره التاريخ ليعرف الأجيال التى تأتى فيما بعد، بأىّ ثمن حفظت هذه الثله من أهل البيت عليهم السلام الإسلام فى تلك الحقبه الصعبه من التاريخ.

۲ – عاقبه الخذلان

ولن يطول الأمر بالذين تركوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحده، فى مقابله عدوان بنى أميه وبطشهم، وانتهاكهم لحرمات الله، فلم يغضبوا لله، ولم يضربوا معه بسيف، وخذلوه وخانوه، وصفوا مع الطاغيه، وتعاونوا معه على قتله، وهو يدعوهم إلى الله، والطاغيه يدعوهم إلى النار...

فلن يطول بهم الامر حتى يذلهم الله على يد طغاه بنى أميه الذين آثروا نصرهم

والوقوف معهم على الانتصار للحسين عليه السلام، وهذه سنن الله عزّ وجل تلقيها الحوراء زينب عليها السلام فى ذلك المشهد العجيب، بعد عودتها من مأساه كربلاء... فلن يطول بهم الزمان حتى يحكمهم الحجّاج بالسيف والقهر والذل والبطش، ويذلهم ببطشه، ويسفك دماءهم.

وكأنما ترى الحوراء فى ذلك اليوم بطش الحجّاج بهم وإذلاله لهم، بعد أن تخاذلوا عن نصره أخيها بكربلاء وهو يدعوهم إلى الله ورسوله:

«فتعساً ونكساً، وبعداً لكم، وسحقاً، وبؤتم بغضب من الله ورسوله، وضربت عليهم الذله والمسكنه».

إنّ السيوف التى غُمدت عن نصره الحسين عليه السلام سُلّت بعد ذلك لقتال الحسين جنباً إلى جنب مع الطاغيه يوم عاشوراء، ثم لم تطل بهم العافيه التى طلبوها فى الدنيا بجانب بنى أميه، حتى استبدّ بهم طغاه بنى أميه وحكمهم الحجّاج فأكثر فيهم القتل وانتهك حرماتهم، وأراهم الرعب والخوف والذل والبطش.

وتتنبأ الحوراء زينب عليها السلام بهذه العاقبه لأولئك الناس يومئذٍ، حينما تقول: «وبؤتم بغضب من الله ورسوله، وضربت عليكم الذله والمسكنه».

۳ - التعميم فى الخطاب

يلفت النظر فى هذا الخطاب التقريعى ان السيّده زينب عليها السلام تعمّم التقريع والتأنيب بقتلهم للحسين عليه السلام على الحاضرين الذى استقبلوهم بظهر الكوفه، وعلى المشاركين فى قتال أخيها على نحو سواء فتقول:

«أتدرون أى كبد لرسول الله فريتم، وأى كريمه له أبرزتم، وأى دم له سفكتم، وأى حرمه له انتهكتم. فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل أبداً».

ولم يكن فى ذلك الجمهور نفر كثير ممن شارك فى قتل الحسين عليه السلام، فإن الجلاوزه جاءوا بأهل البيت عليهم السلام والرؤوس الشريفه قبل عوده الجيش إلى الكوفه، على أننا نستبعد أن يكون هؤلاء الذين استقبلوا أهل البيت عليهم السلام بالبكاء والنحيب ممن تلطّخت أيديهم بدماء شهداء الطف.

فمن هذا الخطاب، كما هو ظاهر لا يخص الذين تولّوا قتل الحسين وأصحابه عليهم السلام، وإنّما يشمل جمهوراً كبيراً من أهل الكوفه، الذين تخاذلوا عن نصره الحسين عليه السلام، ورضوا بمقتله ولم يغضبوا لقتل الحسين عليه السلام، هؤلاء يشملهم هذا الخطاب، وملاك التعميم هو الرضا والسخط.

فإنّ الرضا والسخط يجمعان الناس الذين يجمعهم الرضا والسخط، وان تباعدت أزمانهم وبلادهم ويقرّبان الناس الذين يفرّقهم الرضا والسخط، وإن تقارب مكانهم وزمانهم.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«أيّها الناس إنّما يجمع الناس الرضا والسخط، وإنّما عقر ناقه ثمود رجل واحد، فعمّهم الله بالعذاب لما عمّوه بالرضا، قال سبحانه:

((فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ))(۱).

فما كان إلا أن خارت أرضهم بالخسفه خوار السكه المحماه من الأرض الخواره».(۲)

وهؤلاء الناس رضوا بقتل الحسين عليه السلام، حتى الذين لم يشاركوا منهم فى قتال الحسين عليه السلام، وأصحابه يوم عاشوراء، وآيه هذا الرضا انّهم لم يسخطوا ولم

۱- سوره الشعراء، الآيه ۱۵۷.

۲- نهج البلاغه، ۲/۲۰۷.

یغضبوا، ولم یثوروا بوجه الطاغیه، ولم یتلاوموا فیما بینهم علی تخاذلهم عن دعوه ابن بنت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، ولا نستثنی منهم إلا (التوّابین) الذین عادوا إلی رشدهم فیما بعد، وتلاوموا وتعاهدوا علی الثأر لدم الحسین علیه السلام، إذ فاتهم الانتصار للحسین علیه السلام.

روی محمد بن الأرقط عن أبی عبد الله الصادق علیه السلام، قال:

«تنزل الکوفه؟

قلت: نعم. قال:

فترون قتله الحسین بین أظهرکم،

قلت: جعلت فداک ما رأیت أحداً منهم. قال:

فإذن أنت لا تری القاتل إلا من قتل أو وُلی القتل، ألم تسمع إلی قول الله عزّ وجل:

((قَدْ جَاءکُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِی بِالْبَیِّنَاتِ وَبِالَّذِی قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن کُنتُمْ صَادِقِینَ))(۱).

فأی رسول قتل الذی کان محمد صلی الله علیه وآله وسلم بین أظهرهم ولم یکن بینه وبین عیسی علیه السلام رسول، وإنّما رضوا قتل أولئک فسمّوا قاتلین».(۲)

ویشیر الإمام علیه السلام فی هذه الروایه إلی الآیات (۱۸۱ - ۱۸۳) من سوره آل عمران:

((لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِینَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِیرٌ وَنَحْنُ أَغْنِیَاء سَنَکْتُبُ مَا قَالُواْ

۱- سوره آل عمران، الآیه ۱۸۳.

۲- تفسیر البرهان: ۱/۳۲۸ .

وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ (۱۸۱) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّم لِّلْعَبِيدِ (۱۸۲) الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىَ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)).

فإنّ هؤلاء الذين ينسب الله تعالى إليهم القول بأن الله فقير ونحن أغنياء وقتلوا الأنبياء بغير حق... قد قالوا هذه الكلمه، كما يثبتها المفسرون فى شأن نزول هذه الآيه، ولكن لم يقتلوا نبيّاً قط... وقد جاءت هذه النسبه إليهم بوضوح فى موضعين من هذه الآيات، فأى نبى قتل هؤلاء، وبينهم وبين أنبياء بنى إسرائيل عدّه قرون من الزمان... وإنّما الذى قتل الأنبياء من بين إسرائيل وأنكر نبوتهم وجحدهم سلفهم من اليهود.

والجواب: إنّ اليهود فى عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانوا راضين بجرائم آبائهم، ولم يتبرّأوا منهم، ولم ينكروا عليهم، ولم يعلنوا رفضهم وبراءتهم عنهم، فنسب الله تعالى إليهم جرائم آبائهم فى قتل الأنبياء.

وتشير السيده زينب بطله مأساه كربلاء إلى هذه الحقيقه.

فإنّ هؤلاء شاهدوا أبشع جريمه فى عمل بنى أميه، وأنصع دعوه فى تاريخ الإسلام فى دعوه الحسين عليه السلام، فلم يقفوا مع الحسين عليه السلام وينكروا على طغاه بنى أميه جريمتهم بحق الحسين عليه السلام وأصحابه.

ولم يتبرأوا من فعلتهم، ولم يعلنوا سخطهم وانكارهم وبراءتهم منهم، وآثروا العافيه فى كل ذلك على مرضاه الله، فسكتوا ورضخوا وخذلوا إمام المسلمين عليه

السلام... ولا نستثنى منهم إلا الذين عادوا إلى رشدهم وتابوا وأعلنوا غضبهم وخروجهم على بنى أميه بعد ذلك.

فتخاطبهم الحوراء بهذا الخطاب المؤلم الشامل، وبهذا التقريع الشديد العام:

«فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً، وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوه، ومعدن الرساله. . وسيد شباب أهل الجنه ألا ساء ما تزرون».

«ويلكم يا أهل الكوفه، أتدرون أى كبد لرسول الله فريتم؟ وأى كريمه له أبرزتم؟ وأى دم له سفكتم؟ واى حرمه له انتهكتم؟».

ثم تعمّهم بالدعاء بعد أن عمّتهم الجريمه:

«فتعساً ونكساً وبعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعى، وتبت الأيدى، وخسرت الصفقه، وبؤتم بغضب من الله ورسوله، وضربت عليكم الذله والمسكنه».

۴ – الإمهال فى العذاب

وتنذرهم ابنه على عليه السلام فى هذا الخطاب بعذاب الدنيا وأليم عذاب الآخره:

أفعجبتم إن مطرت السماء دماً.

((وَلَعَذَابُ الْآخِرَهِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ)).

وأى عذاب هذا العذاب؟ أن تمطر السماء دماً، ثم تنذرهم بأنّ عذاب الآخره أشد وآلم.

ثم تنذرهم مره أخرى أن لا يغرّنهم، ولا يستخفّنهم تأجيل العذاب عنهم إلى حين، فإنّ الله تعالى يمهل ولا يهمل، تقول عليها السلام:

«فلا يستخفنكم المهل، فإنّه لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثار، وان ربّكم لبالمرصاد».

ومن أشد ما يعاقب الله تعالى عباده أن يمهلهم ويستدرجهم إلى العصيان والإثم، ويملى لهم، ثم ينقضّ عليهم العذاب، فيأخذهم فجأه، ضحىً وهم يلعبون.

يقول تعالى:

((وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ))(۱). ((فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ))(۲).

فتنذرهم السيده أن لا يستخفنهم الإمهال فى العذاب، فإنّ الله تعالى لا يحفزه البدار، ولا يستعجل بعذاب عباده، وفى ذلك نقمه وعقاب لمن يستحق النقمه والعقاب فلا يتوب ولا يؤوب إلى رشده فيزداد إثماً، ويستدرجه الإمهال إلى الامعان فى العصيان والإثم.

عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام:

«إذا أراد الله عزّ وجلّ بعبد خيراً، فأذنب ذنباً تبعه بنقمه يُذكِّره الاستغفار، وإذا أراد الله بعبد شرّاً فأذنب تبعه بنعمه لينسيه الاستغفار ويتمادى به، وهو قول الله عزّ وجل:

((سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ))(۳).»(۴)

۱- سوره آل عمران، الآيه ۱۷۸.

۲- سوره الأنعام، الآيه ۴۴.

۳- سوره الاعراف، الآيه ۱۸۲.

۴- بحار الأنوار: ۷۳/ ۳۸۷.

وما من عقوبه للأمم التی استحقت العقوبه بالعصیان والإثم أشد من الاملاء والإمهال.

یقول أمیر المؤمنین علیه السلام، والکلام فی نهج البلاغه:

«أیها الناس لیراکم الله من النعمه وجلین، کما یراکم من النقمه فرقین، إنّه مَن وسّع علیه فی ذات یده، فلم یر ذلک استدراجاً فقد أمن مخوفاً، ومن ضیّق علیه فی ذات یده فلم یر ذلک اختباراً فقد ضیّع مأمولاً».(۱)

ویقول علیه السلام:

«کم من مستدرج بالاحسان إلیه، ومغرور بالستر علیه، ومفتون بحسن القول فیه، وما ابتلی الله أحداً بمثل الإملاء له».(۲)

ولم یطل الإملاء والإمهال الإلهی بهؤلاء القوم الذین أنذرتهم ابنه الزهراء علیها السلام بعذاب الله فی ذلک الیوم الرهیب، طویلاً فما مرَ علیهم سنوات خمس حتی سلّط الله تعالی علیهم المختار رحمه الله فاستتبعهم ولاحقهم والتقطهم وعاقبهم تحت شعار: «الثأر من قتله الحسین»، ولم یسلم منهم إلا القلیل وأذاقهم الذل والخوف والرعب وحر الحدید، ولعذاب الآخره آلم وأشد وأقسی.

ثم لم یمضِ بعد ذلک سنوات حتی سلط الله علیهم الحجاج بن یوسف لعنه الله، فأذاقهم الذل والهوان والقتل وسلب منهم الأمان والعافیه التی کانوا یطلبونها لدنیاهم فخذلوا الحسین علیه السلام، فعاقبهم الله بالحجّاج.

ثم توالت علیهم المحن والنکبات محنه بعد محنه ونکبه بعد نکبه، وتتابع علیهم طغاه بنی أمیه طاغیه بعد طاغیه.

۱- نهج البلاغه، حکمه رقم ۳۵۸.

۲- نهج البلاغه، حکمه رقم ۱۱۶.

۵ – الإحباط

وتذكّرهم زينب عليها السلام بقوله تعالى:

((وَلَا تَكُونُواْ كَالَّتِی نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ...)).(۱)و(۲)

فقد نقض القوم كل ما شيّدوه وعملوه من قبل، وقد كان فيهم من وقف مع علی عليه السلام فی الجمل وصفين والنهروان، ولكنهم نقضوا كل ذلك فی عاشوراء عام (۶۱ه) بخذلانهم للحسين عليه السلام ووقوفهم إلی جنب الطاغيه وقتالهم الحسين، ورضاهم بقتالهم. إن المحافظه علی الأعمال الصالحه قد تكون أشق من أصل العمل، وليس بقليل الذين أحسنوا، وعملوا الأعمال الصالحه، ثمّ أفسدوا أعمالهم وأبطلوها.

يقول تعالی:

((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَی لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (۳۲) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ)).(۳)

ويقول تعالی:

((وَقَدِمْنَا إِلَی مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا)).(۴)

۱- سوره النحل، الآيه ۹۲.

۲- النقض يقابل الإبرام، وهو بمعنی افساد ما أحكم من حبل أو غزل. والنكث بمعنی النقض، وكل شیء نقض بعد الفتل فهو أنكاث حبلًا كان أو غزلًا، والآيه الكريمه تنهاهم عن أن يكونوا كالمرأه التی تغزل ثم تعود فتنقض ما غزلت وتهدم ما بنت.

۳- سوره محمد، الآيه ۳۲ – ۳۳.

۴- سوره الفرقان، الآيه ۲۳.

وكما أن السيئات تحبط الحسنات، كذلك الحسنات تكفّر السيئات وتغطيها.

والقرآن يشير إلى كل من هذين: الاحباط والتكفير، يقول تعالى:

((يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)).(۱)

ويقول تعالى:

((وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ...)).(۲)

فالأعمال، كالأشياء الماديه، فيها بناء وهدم، وفيها إعاده بناء ما هدمه الإنسان، وهدم ما بناه.

إنّ السلوك الاجتماعى والسياسى والمالى فى وسط المجتمع من أشق الأمور، فقد يهدم الإنسان فى موقف سياسى أو اجتماعى ما بناه وعمله فى حياته.

وتنصحهم السيده زينب ألا يكونوا ممّن أحبطوا أعمالهم.

((وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا)).

وألا يتخذوا أيمانهم ومواثيقهم التى أعطوها للحسين عليه السلام من قبل حين سألوه القدوم إليهم، دخلاً وأداه للغدر والخيانه.

وطالما يجدون فرصه للعوده والتوبه إلى الله فعليهم أن يعودوا ويتوبوا إلى الله عن الخذلان والتقصير، الذى حصل منهم تجاه دعوه سيد شباب أهل الجنه.

۱- سوره الأنفال، الآيه ۲۹.

۲- سوره هود، الآيه ۱۱۴.

ولئن كان فی كلمات السیده زینب علیها السلام تقریع موجع یعبّر عن آلام بطله مأساه كربلاء... فإنّها (علیها السلام) تفتح لهم طریق العوده إلی الله مره أخری، وان یؤوبوا إلی أنفسهم، ویستغفروا الله، ولئن فاتهم أن ینصروا الحسین علیه السلام فلا یفوتهم أن یثأروا له وللكوكبه الصالحه التی خرجت معه، وأن ینتقموا من الظالمین الذین أكثروا الفساد فی الأرض.

۶ – علاقه الكوارث الكونیه بسیّئات الناس

اشاره

نجد فی كلام السیده زینب علیها السلام إشارتین جدیرتین بالتوقف والتأمّل فی علاقه الكوارث الكونیه والعذاب الإلهی النازل علی الأرض بسیّئات الناس وذنوبهم.

فهی تخاطبهم منذره إیّاهم من عذاب الله: أتدرون أی كبد لرسول الله فریتم؟ وأی كریمه له ابرزتم؟ وأی دم له سفكتم؟ وای حرمه له انتهكتم؟

((لَقَدْ جِئْتُمْ شَیْئًا إِدًّا (۸۹) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ یَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا)).(۱)

ثم تقول بعد ذلك، وفی نفس السیاق: «ولقد أتیتم بها خرقاء شوهاء كطلاع الأرض، وملء السماء، أفعجبتم ان مطرت السماء دماً، ولعذاب الآخره أخزی».

۱- سوره مریم، الآیه ۸۹. الآیه الكریمه من سوره مریم: ۸۹، وهی بصدد تهویل الشرك بالله، وأن بالشرك بالله تكاد السماوات أن تتفطر وتكاد الأرض أن تنشق وتكاد الجبال أن تسقط (تخر) هدّاً (أی هدماً) یعنی تكاد أن تنهدم الجبال وتتساقط. و(الإد) الذنب الفظیع، وواضح أن الآیه الكریمه بصدد التهویل، وتحسیس المشركین بهذه المظاهر الكونیه المحسوسه علی عظم الجریمه، ولكنها واضحه فی علاقه العذابات الكونیه كالزلازل والكوارث الكونیه بسیّئات أعمال الناس وجرائمهم.

الكوارث الكونيه عند مصرع الحسين عليه السلام

وقد استفاضت الروايات أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان قد أخبر أم المؤمنين أم سلمه رحمها الله بمصرع الحسين عليه السلام وأودع عندها قاروره، وعرّفها أنها إذا فاضت دماً فهو علامه مصرع ولده الحسين عليه السلام... فلمّا خرج الحسين عليه السلام من المدينه إلى مكه ومنها إلى العراق كانت أم سلمه تنظر إلى القاروره كل يوم، وتقول: إنّ يوماً تتحولين إلى دم ليوم عظيم.

فرأت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى اليوم العاشر من المحرم فى المنام أشعث، مغبرّاً، وعلى رأسه التراب، فقالت له: مالى أراك يا رسول الله مغبراً؟!

فقال لها: قتل ولدى الحسين عليه السلام، ومازلت أحفر القبور له ولأصحابه، فانتبهت من منامها مذعوره، فبادرت إلى القاروره التى جعلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علامه لها فإذا بها تفور دماً.

فنادت أم سلمه: قتل الحسين، ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً، فأقبلوا النساء عليها، وقلنَ لها: (من أين علمت ذلك فأخبرتهنّ برؤياها، وتصارخت النسوه، حتى ضجت المدينه، وهذه الروايه معروفه وقد ذكرها جمله من المؤرخين».(۱)

وقال ابن حجر الهيتمى فى الصواعق المحرقه: (ومما ظهر يوم قتله عليه السلام من الآيات أيضاً أن السماء اسودّت اسوداداً عظيماً، حتى رؤيت النجوم نهاراً، ولم يرفع حجر إلا وجد تحته دم عبيط).(۲)

۱- منهم ابن عساكر فى تاريخ دمشق: ۱۳/۸۵ و ۴/۳۴۰، واليافعى فى مرآه الجنان: ۱/۱۳۴، وأحمد فى (المسند): ۱/۲۴۲، وابن الأثير فى الكامل: ۴/۳۸، والخوارزمى فى المقتل: ۲/۹۵، والمحب الطبرى فى ذخائر العقبى: ۱۴۸، والسيوطى فى تاريخ الخلفاء: ۱۳۹، وابن حجر فى تهذيب التهذيب: ۲/۳۵۵. والشيخ الطوسى فى الأمالى: ۳/۵۶، والطريحى فى (المنتخب): ۲۳۵، والسيوطى فى (الخصائص): ۲/۱۲۶، ومصادر أخرى أخذناها من مقتل الحسين للعلامه الفقيد السيد عبد الرزاق المقرّم (ره): ۳۴۳.

۲- الآصفى: الخطاب الحسينى، نقلاً عن مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم: ۳۴۵.

يقول السيد عبد الرزاق المقرّم فى المقتل:

(أظلمت الدنيا ثلاثه أيام واسودّت سواداً عظيماً حتى ظن الناس ان القيامه قامت وبدت الكواكب نصف النهار ولم ير نور الشمس.

والروايات التاريخيه فى ذلك متضافره، تناقلها أئمه التاريخ والسيره، وحفّاظ الحديث النبوى، ولا نريد أن نسهب فى هذا الأمر أكثر من هذا الحد.

الكوارث الكونيه وعلاقتها بسيئات الناس فى القرآن

والقرآن صريح وواضح بعلاقه الكوارث الكونيه بسيئات أعمال الناس. وإليك هذه الآيات من كتاب الله:

يقول تعالى:

((وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَهٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ)).(۱)

ويقول تعالى:

((ظَهَرَ الْفَسَادُ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)).(۲)

ويقول تعالى:

((أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَهُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّهً وَآثَارًا فِى الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ)).(۳)

۱- سوره الشورى، الآيه ۳۰.

۲- سوره الروم، الآيه ۴۱.

۳- سوره المؤمن، الآيه ۲۱.

ویقول تعالی:

((وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا)).(۱)

ویقول تعالی:

((كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (۱۱) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (۱۲) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (۱۳) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (۱۴) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا)).(۲)

وقال تعالی:

((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (۶) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (۷) الَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى الْبِلَادِ (۸) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (۹) وَفِرْعَوْنَ ذِى الْأَوْتَادِ (۱۰) الَّذِينَ طَغَوْا فِى الْبِلَادِ (۱۱) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (۱۲) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (۱۳) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ)).(۳)

ویقول تعالی فی قوم:

((مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا)).(۴)

۱- سوره الإسراء، الآیه ۱۶.

۲- سوره الشمس، الآیات ۱۱ - ۱۴.

۳- سوره الفجر، الآیه ۶ - ۱۴.

۴- سوره نوح، الآیه ۲۵.

النعمه وعلاقتها بالتقوى

والعكس أيضاً صحيح، فكما تنزل الكوارث والنقم بسيئات أعمال الإنسان، كذلك تنزل النعم والخيرات والبركات على الأرض بحسنات أفعال الناس.

وكما تكون الآثام والمعاصي سبباً في نزول الكوارث من زلزله وصاعقه وفقر وبأس وابتلاء وأمراض وحروب كذلك تكون التقوى سبباً لنزول الرحمه، من لدن الله إلى الأرض، ويفتح الله تعالى على الناس بالتقوى بركات الأرض والسماء.

يقول تعالى:

((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)).(۱)

والسنّه الإلهيه العامه في هذا وذاك انّ الله تعالى لا يغير ما بالناس من نعمه ورحمه أو ابتلاء وشدّه إلا بسيئات أعمالهم وحسناتها، فإذا حسنت أعمالهم أحسن الله إليهم، وإذا ساءت أعمالهم عاقبهم الله تعالى فساءت أحوالهم.

يقول تعالى:

((إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ)).(۲)

ويقول تعالى:

((ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ)).(۳)

۱- سوره الأعراف، الآيه ۹۶.

۲- سوره الرعد، الآيه ۱۱.

۳- سوره الأنفال، الآيه ۵۳.

وهاتان الآيتان واضحتان فى الدلاله على العلاقه بين أحوال الناس وأوضاعهم السياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه وبين أعمالهم، فإذا ساءت أعمالهم ساءت أحوالهم وأوضاعهم، وإذا حسنت أعمالهم طابت وحسنت أوضاعهم وأحوالهم.

العلاقه بين العمل والجزاء

ولا نريد أن نترك هذا الحديث قبل أن نتطرق إلى القانون العام الشامل لكل ما ذكرناه، وهو علاقه العمل بالجزاء فى المعايير الإلهيه.

إنّ الجزاء الوارد فى النصوص الإسلاميه من كتاب وسنّه من قبيل نتائج الأعمال وآثارها التكوينيه، وليست من قبيل العلاقه بين العمل والجزاء فى الدنيا. فإنّ العلاقه بين العمل والجزاء فى الدنيا علاقه قانونيه تدخل فى دائره التقنين والتشريع، ويختلف الجزاء من أمه إلى أخرى، حسب اختلاف القوانين والتشريعات، فقد تكون القوانين متسامحه فى تقدير العقوبه، فتكون العقوبه هيّنه، وقد تكون القوانين متشدّده فتكون العقوبه شديده وقاسيه.

ولكن الجزاء فى الآخره، عقوبه ومثوبه، من قبيل النتائج والآثار التكوينيه للأعمال، ولا تدخل فى حقل القرارات التشريعيه... ومثل ذلك فى الدنيا أن من لا يتحفظ على صحته ولا يحتمِ يمرض. والمرض هنا نتيجه عدم الاحتماء، والتاجر الذى يهمل الحركه فى السوق يصيبه الفقر والخسران. والفقر والخساره نتيجه لانعدام السعى والحركه فى السوق. والطالب الذى يكسل عن الدراسه ولا يجتهد فى الدرس يفشل فى الامتحان، والذى يسعى ويجتهد ينجح ويتقدم.

كذلك العلاقه بين العمل والجزاء فى الآخره من هذا القبيل، وكذلك فى الدنيا، فى غير العقوبات التشريعيه التى تدخل فى دائره التقنين والتشريع.

۷ – ما يقدمه الإنسان بين يديه إلى الله

تقول الحوراء زينب عليها السلام فى خطابها لأهل الكوفه:

«ألا بئس ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفى العذاب أنتم خالدون».

وهذه الفقره من كلام السيده مقتبسه من قوله تعالى:

((تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ)).(۱)

وهذه النقطه من كلام السيده عليها السلام ذات علاقه بالنقطه السابقه، فى علاقه العمل بالجزاء. إنّ جزاء عمل الإنسان فى الآخره هو نتيجه عمله فى الدنيا، وهذه النتيجه هى باطن عمل الإنسان تتراءى له فى الدنيا بغير هذه الصوره، وتتجلى له فى الآخره بصورته الحقيقيه. حيث يكشف عن بصر الإنسان، فيرى واقع عمله وباطنه الذى كان يخفى عليه فى الدنيا. يقول تعالى:

((لَقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَهٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ)).(۲)

وكأنّ الإنسان كان فى غفله من حقيقه السيئه وواقعها وجوهرها فارتكبها، فلمّا كُشِفَ عن عينه الغطاء بالموت وجد ما غفل عنه.

إنّ مال اليتيم الذى يأكله الناس حراماً، ظاهره ذهب وفضه ومتاع وضياع، وباطنه نار يغفل عنها الإنسان، فإذا حل به الموت وكشف عن عينيه الغطاء، عرف ما غفل عنه فى الدنيا.

۱- سوره المائده، الآيه ۸۰.

۲- سوره ق، الآيه ۲۲.

يقول تعالى:

((إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا)).(۱)

إنّ الناس لا يرون من هذه النقود والضياع فى الدنيا إلا ظاهرها، فإذا ماتوا عرفوا ما غفلوا عنه وعرفوا أنّ الذى أكلوه من أموال اليتامى كان ناراً فى بطونهم.

وان الثمن البخس الذى يبيع به علماء أهل الكتاب ما عرفوا من التوراه والانجيل فأخفوه عن الناس وتكتّموا به... إنّ لهذا الثمن البخس الذى تلقوه إزاء هذا الكتمان ناراً فى بطونهم غفلوا عنه فى الدنيا، فإذا ماتوا عرفوا به:

((إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَهِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)).(۲)

ويقول تعالى:

((... وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّهَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (۳۴) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ)).(۳)

إنّ تعبيرات القرآن فى هذه النقطه واضحه وصريحه مثل:

۱- سوره النساء، الآيه ۱۰.

۲- سوره البقره، الآيه ۱۷۴.

۳- سوره التوبه، الآيتان ۳۴ - ۳۵.

((هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ)) ((إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِی بُطُونِهِمْ نَارًا)) ((مَا يَأْكُلُونَ فِی بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ)).

وأمثال ذلك، وهی تأبی الحمل علی المجاز. وهـذا هو باطن عمل الإنسان وجوهره الـذی كان يخفی عليه فی الـدنيا. وما يصـدر عن الإنسـان من عمل من خير وشـر، يبقی ولا ينعـدم، فإذا مات الإنسان أحضـره الله تعالی عنـده، فوجـد ما عمله من خير أو شـر حاضراً.

((يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ...)).(۱)

ها هنا يجد الإنسان عمله حاضراً أمامه بعينه، فإذا كان عمله سوءاً تمنی أن يكون بينه وبين عمله أمد بعيد، وان يتخلص من عمله، ولكن هيهات

((... تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ))(۲).

وجزاء الإنسان فی الآخره بنفس عمله، وعمله جزاؤه.

يقول تعالی:

((... لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)).(۳)

ويقول تعالی:

((... ثُمَّ تُوَفَّی كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ...)).(۴)

۱- سوره آل عمران، الآيه ۳۰.

۲- سوره آل عمران، الآيه ۳۰.

۳- سوره التحريم، ۷.

۴- سوره البقره، الآيه ۲۸۱.

وفی سوره الإسراء نلتقی آیه عجیبه فی کتاب الله:

((وَکُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِی عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ یَوْمَ الْقِیَامَهِ کِتَابًا یَلْقَاهُ مَنشُورًا (۱۳) اقْرَأْ کَتَابَکَ کَفَی بِنَفْسِکَ الْیَوْمَ عَلَیْکَ حَسِیبًا)).(۱)

و(الطائر) هو (العمل). ویوم القیامه یجعل الله أعمال الناس فی أعناقهم، وهو کتابهم الذی یعکس أعمالهم، إنّ أعمالهم هو کتابهم الذی یلقون به الله تعالی، والإنسان هو الذی یقرأ کتابه یومئذٍ، لا غیره ((اقْرَأْ کَتَابَکَ)) وهو الذی یحاسب نفسه ویحکم علی نفسه:

((کَفَی بِنَفْسِکَ الْیَوْمَ عَلَیْکَ حَسِیبًا)).

إذن جزاء الإنسان هو عمل الإنسان، باطن عمل الإنسان، وهذا الباطن کان قائماً فی الدنیا غیر أن الإنسان کان غافلاً عنه.

فإذا مات الإنسان انکشف باطن عمله، وأُحضر عمله إلیه، ویری الإنسان عندئذٍ عمله الذی قدمه لنفسه، یقول تعالی:

((یَوْمَئِذٍ یَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّیُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (۶) فَمَن یَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّهٍ خَیْرًا یَرَهُ (۷) وَمَن یَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّهٍ شَرًّا یَرَهُ)).(۲)

إنّ الإنسان یومئذٍ یری عمله من خیر أو شر، فإذا عمل خیراً رآه أمامه، ولو کان مثقال ذره من الخیر.

ومن عمل شرّاً یره أمامه، ولو کان مثقال ذرّه من الشّر، فإنّ المیزان والحساب دقیق، غیر أن الله رؤوف بعباده رحیم.

۱- سوره الإسراء، الآیتان ۱۳ - ۱۴.

۲- سوره الزلزله، الآیات ۶ - ۸

فما يعمله الإنسان من عمل فی الدنيا من خير أو شر، إنّما يقدمه الإنسان لنفسه فی الآخره فإذا مات وجده أمامه.

يقول تعالی:

((...وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَیْءٍ أحْصَیْنَاهُ فِی إِمَامٍ مُبِینٍ)).(۱)

وهنا (الإمام المبين) لا يغفل عن شیء قدمه الإنسان أبداً فهو يحصی كل صغيره وكبيره مما قدمه الإنسان لنفسه إحصاءً دقيقاً.

((وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ)).(۲)

وتأمّلوا فی هذه الآيه من كتاب الله:

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)).(۳)

حيث يأتی الأمر بأن ينظر الإنسان فيما يقدمه لآخرته، بعد الأمر بالتقوی وقبله، وهو يستوقف الإنسان طويلاً، فإذا كان ما يعمله الإنسان من عمل هو ما يقدّمه لغد، فما أحراه بأن يتقی الله تعالی فی عمل يعمله من صغير وكبير.(۴)

السلام علی من أصبح حرمها موئل آمال الآملين وملتقی وفود الزائرين ويتمسك بضريحها جميع المحبين والمحتاجين ويأتمّ بقبرها الخلائق فی كل حين.

۱- سوره يس، الآيه ۱۲.

۲- سوره البقره، الآيه ۱۱۰ والآيه ۲۲۳.

۳- سوره الحشر: الآيه ۱۸.

۴- الآصفی، آيه الله الشيخ محمد مهدی، الخطاب الحسينی، المرحله الثانيه للثوره الحسينيه، ص۷۴.

المصادر

۱. ابن طاووس، اللهوف فی قتلی الطفوف.

۲. آیه الله الشیخ محمد مهدی الآصفی، الخطاب الحسینی، المرحله الثانیه للثوره الحسینیه.

۳. بنت الشاطیء, بطله کربلاء.

۴. د. أحمد علی کنعان، أدب الأطفال والقیم التربویه.

۵. السید حسین معن، الإعداد الروحی.

۶. السید محمد باقر الحکیم، دور المرأه فی النهضه الحسینیه.

۷. عبد الحسین أحمد الأمینی النجفی، الغدیر فی الکتاب والسنّه والادب.

۸. عبد الرزاق المقرم، مقتل الحسین علیه السلام.

۹. عبد الوهاب الکاشی، مأساه الحسین بین السائل والمجیب.

۱۰. العلامه السید مرتضی العسکری، معالم المدرستین.

۱۱. کفاح الحداد النجاح فی عالم المرأه.

۱۲. کفاح الحداد، المرأه والعمل السیاسی.

۱۳. مؤسسه البلاغ، الإمام الحسین علیه السلام یوم عاشوراء.

۱۴. مؤسسه البلاغ، زینب وفاجعه کربلاء.

۱۵. مؤسسه البلاغ، نساء المثل الأعلی.

۱۶. مجموعه باحثین، مجله المنعطف، العدد ۱۵/ ۱۶.

۱۷. مجموعه مؤلفین، المرأه فی الفکر الإسلامی المعاصر، کتاب المنهاج.

۱۸. محمد جواد مغنیه، الحسین وبطله کربلاء.

۱۹. محمد مهدی الآصفی، فی رحاب الإمام الحسین علیه السلام.

۲۰. محمد مهدی شمس الدین، ثوره الحسین.

۲۱. مرتضی مطهری، الملحمه الحسینیه.

۲۲. المسعودی، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقیق محمد محی الدین عبد الحمید.

المحتويات

الاهداء. ۵

مقدمه اللجنه العلميه. ۶

المقدمه. ۸

الفصل الأول

المرأه قبل الطفوف

۱ - المرأه فی العصر الجاهلی.. ۱۵

۲ - المرأه فی العصر النبوی (العصر الذهبی). ۱۷

۳ - المرأه فی عصر خلافه الشیخین.. ۲۹

۴ - المرأه فی العصر الأموی.. ۴۳

الفصل الثانی

نساء الطفوف

لماذا حمل الإمام نساءه وعیاله إلی کربلاء؟. ۶۱

أدوار النساء فی ملحمه الطفوف... ۶۹

۱ - دور نصره الثوره ودعمها بشتی الوسائل... ۶۹

ألف - دور حرائر أهل البیت فی نصره الإمام الحسین علیه السلام ونصره ثورته. ۶۹

باء - دلهم بنت عمیر. ۷۱

جیم - دور طوعه فی نصره مسلم بن عقیل سفیر الإمام الحسین علیه السلام. ۷۴

ص: ۲۶۶

دال – دور ام وهب فی نصره آل البیت علیهم السلام. ۷۵

هاء – ام عمرو بن جناده الانصاری.. ۷۷

واو– دور ماریه بنت منقذ العبدی.. ۷۷

زاء – دور النساء النادبات علی الإمام علیه السلام فی منع تعیین عمر بن سعد والیاً علی الکوفه. ۷۹

حاء – ام سلمه تبکی الإمام علیه السلام. ۸۰

طاء – مجالس العزاء. ۸۲

۲ – دور المتابعه والحمایه. ۸۲

۳ – الدور القیمی... ۸۹

ألف . الدفاع عن المقدس... ۹۱

باء . قیم حمایه المرأه. ۹۶

۱ – منع الإمام الحسین علیه السلام النساء من القتال.. ۹۷

۲ – خاطب الإمام الأعداء بان لا یتعرضوا للنساء فهو الذی یقاتل... ۹۷

۳ – حفر الخندق حول الخیام. ۹۸

۴ – منع النساء من الخروج من الخیام حتی استشهاده علیه السلام. ۹۸

۵ – مراعاه مشاعر النساء. ۹۹

جیم . ادب التعامل مع المصاب الجلل.. ۱۰۳

دال . ایثار المصلحه العامه علی المصلحه الخاصه. ۱۰۶

۱ . الأم تحث ولدها علی الشهاده لنصره الإمام. ۱۰۸

۲ . ام عمرو بن جناده الانصاری... ۱۰۸

٣ . دلهم تحث زوجها على الالتحاق بالحسين عليه السلام. ١٠٨

هاء . القيم الانسانيه والاخلاقيه. ١٠٩

أ- قيمه الوفاء. ١٠٩

ب - قيمه استنكار الظلم.. ١١٠

ج - قيمه الصدق... ١١٤

د - قيمه حفظ العز.. ١١٤

ه - قيم العطاء. ١١٤

و - قيمه الإيثار والتضحيه. ١١٥

ز - قيمه الصبر.. ١١٦

واو . قيم تكامل الشخصيه. ١١٧

أ - التكيف الذكى... ١١٧

ب - التصميم والإراده. ١١٨

ج - الأمل بالمستقبل... ١١٩

د - الثقه بالنفس..... ١١٩

ه - الجرأه الشخصيه. ١١٩

٤ - الدور الإعلامى... ١٢٠

المرحله الأولى.. ١٢٢

ص: ۲۶۷

ألف - مجیء النساء إلی أرض المعرکه بعد الاستشهاد. ۱۲۲

باء - عند باب الکوفه. ۱۲۵

جیم - فی مجلس ابن زیاد. ۱۳۳

المرحله الثانیه من الدور الإعلامی.. ۱۳۷

محطات من خطاب السیده زینب علیها السلام فی قصر یزید.. ۱۴۱

المرحله الثالثه من الدور الإعلامی.. ۱۴۵

ألف - القسم الأول.. ۱۴۵

باء - القسم الثانی... ۱۴۷

الدور الإعلامی فی المیزان.. ۱۵۱

۵ - روایه المقتل الحسینی... ۱۵۷

۶ - اعلان الحزن العام (الحداد الرسمی). ۱۵۹

السبی.. المأساه الکبری.. ۱۶۱

الفصل الثالث

نساء الطفوف فی دائره الضوء

الموازنه بین أدوار الجنسین.. ۱۷۷

العنف السیاسی ضد نساء الطفوف.... ۱۷۹

التعامل مع الضغوط... ۱۸۱

غیاب الشکوی... ۱۸۳

المهارات الحیاتیه. ۱۸۴

١ – مهارات الحوار. ١٨٤

٢ – مهاره التعاون والمشاركه. ١٨٥

٣ – مهاره الاتصال الشفوى والتواصل اللفظى.. ١٨٥

٤ – مهاره التعاطف.... ١٨٥

٥ – مهاره الاقناع عبر تقديم الدليل والبرهان.. ١٨٥

٦ – مهاره اتخاذ القرار وحل المشكلات... ١٨٦

٧ – مهارات إداره المشاعر. ١٨٦

الضبط العاطفى... ١٨٦

الاستقلاليه. ١٩٠

نساء الطفوف.. صلاح وإصلاح.. ١٩٢

الإمام الحسين رائد الإصلاح... ١٩٥

غیاب أم حضور.. ۱۹۷

دور المرأه فی صناعه التاریخ... ۱۹۷

نساء بین النهضتین.. ۲۰۳

ما بین نساء الانتظار ونساء الطفوف.... ۲۰۳

نساء الطفوف.. القدوه الخالده. ۲۱۲

السیده زینب علیها السلام .. المثل الأعلی للمره المسلمه. ۲۱۲

نساء الطفوف ... القدوه الحسنه. ۲۱۴

الشهیده بنت الهدی ..نموذج معاصر.. ۲۱۷

کیف تبقی صورهم فی الذاکره. ۲۱۹

الفصل الرابع

سیده الطف الأولی

السیده زینب بنت علی بن أبی طالب علیه السلام. ۲۲۵

مناقبها الفاضله. ۲۲۶

زواجها المبارک..... ۲۲۷

زینب... المرأه الصابره. ۲۲۸

تأملات فی خطاب السیده زینب (علیها السلام) فی مجلس ابن زیاد. ۲۳۹

۱ - الشجب والتأنیب والتقریع. ۲۳۹

۲ - عاقبه الخذلان.. ۲۳۹

۳ - التعمیم فی الخطاب... ۲۳۹

٤ – الإمهال فى العذاب... ٢٣٩

٥ – الإحباط.. ٢٣٩

٦ – علاقه الكوارث الكونيه بسيّئات الناس... ٢٣٩

الكوارث الكونيه عند مصرع الحسين عليه السلام. ٢٣٩

الكوارث الكونيه وعلاقتها بسيئات الناس فى القرآن.. ٢٣٩

النعمه وعلاقتها بالتقوى... ٢٣٩

العلاقه بين العمل والجزاء. ٢٣٩

٧ – ما يقدمه الإنسان بين يديه إلى الله.. ٢٣٩

المصادر. ٢٣٩

اصدارات قسم الشؤون الفكريه والثقافيه

فى العتبه الحسينيه المقدسه

تأليف

اسم الكتاب

ت

السيد محمد مهدى الخرسان

السجود على التربه الحسينيه

۱

زياره الإمام الحسين عليه السلام باللغه الانكليزيه

۲

زياره الإمام الحسين عليه السلام باللغه الأردو

۳

الشيخ على الفتلاوى

النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام الطبعه الأولى

۴

الشيخ على الفتلاوى

هذه عقيدتى الطبعه الأولى

۵

الشيخ على الفتلاوى

الإمام الحسين عليه السلام فى وجدان الفرد العراقى

٦

الشيخ وسام البلداوى

منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان

٧

السيد نبيل الحسنى

الجمال فى عاشوراء

٨

الشيخ وسام البلداوى

إبكِ فإنك على حق

٩

الشيخ وسام البلداوى

المجاب بردّ السلام

١٠

السيد نبيل الحسنى

ثقافه العيديه

١١

السيد عبدالله شبر

الأخلاق (تحقيق: شعبه التحقيق) جزآن

١٢

الشيخ جميل الربيعى

الزياره تعهد والتزام ودعاء فى مشاهد المطهرين

١٣

لبيب السعدى

من هو؟

١٤

السيد نبيل الحسنى

اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل؟

١٥

الشيخ على الفتلاوى

المرأه فى حياه الإمام الحسين عليه السلام

١٦

السيد نبيل الحسنى

أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم

١٧

السيد محمدحسين الطباطبائى

حياه ما بعد الموت (مراجعه وتعليق شعبه التحقيق)

١٨

ص: ۲۷۰

السید یاسین الموسوی

الحیره فی عصر الغیبه الصغری

۱۹

السید یاسین الموسوی

الحیره فی عصر الغیبه الکبری

۲۰

الشیخ باقر شریف القرشی

حیاه الإمام الحسین بن علی (علیهما السلام) ج۱

۲۱

الشیخ باقر شریف القرشی

حیاه الإمام الحسین بن علی (علیهما السلام) ج۲

۲۲

الشیخ باقر شریف القرشی

حیاه الإمام الحسین بن علی (علیهما السلام) ج۳

۲۳

الشیخ وسام البلداوی

القول الحسن فی عدد زوجات الإمام الحسن علیه السلام

۲۴

السید محمد علی الحلو

الولايتان التكوينيه والتشريعيه عند الشيعه وأهل السنه

٢٥

الشيخ حسن الشمرى

قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام

٢٦

السيد نبيل الحسنى

حقيقه الأثر الغيبى فى التربه الحسينيه

٢٧

السيد نبيل الحسنى

موجز علم السيره النبويه

٢٨

الشيخ على الفتلاوى

رساله فى فن الإلقاء والحوار والمناظره

٢٩

علاء محمدجواد الأعسم

التعريف بمهنه الفهرسه والتصنيف وفق النظام العالمى (LC)

٣٠

السيد نبيل الحسنى

الأنثروبولوجيا الاجتماعيه الثقافيه لمجتمع الكوفه عند الإمام الحسين عليه السلام

٣١

السید نبیل الحسنی

الشیعه والسیره النبویه بین التدوین والاضطهاد (دراسه)

۳۲

الدکتور عبدالکاظم الیاسری

الخطاب الحسینی فی معرکه الطف دراسه لغویه وتحلیل

۳۳

الشیخ وسام البلداوی

رسالتان فی الإمام المهدی

۳۴

الشیخ وسام البلداوی

السفاره فی الغیبه الکبری

۳۵

السید نبیل الحسنی

حرکه التاریخ وسننه عند علی وفاطمه علیهما السلام (دراسه)

۳۶

السید نبیل الحسنی

دعاء الإمام الحسین علیه السلام فی یوم عاشوراء بین النظریه العلمیه والأثر الغیبی (دراسه) من جزءین

۳۷

الشیخ علی الفتلاوی

النوران الزهراء والحوراء علیهما السلام الطبعه الثانیه

۳۸

شعبه التحقیق

زهیر بن القین

۳۹

السید محمد علی الحلو

تفسیر الإمام الحسین علیه السلام

۴۰

الأستاذ عباس الشیبانی

منهل الظمآن فی أحکام تلاوه القرآن

۴۱

السید عبد الرضا الشهرستانی

السجود علی التربه الحسینیه

۴۲

السید علی القصیر

حیاه حبیب بن مظاهر الأسدی

۴۳

الشیخ علی الکورانی العاملی

الإمام الکاظم سید بغداد وحامیها وشفیعها

۴۴

جمع وتحقیق: باسم الساعدی

السقیفه وفدک، تصنیف: أبی بکر الجوهری

۴۵

نظم وشرح: حسین النصار

موسوعه الألوف فی نظم تاریخ الطفوف ثلاثه أجزاء

۴۶

السید محمدعلی الحلو

الظاهره الحسینیه

۴۷

السید عبدالکریم القزوینی

الوثائق الرسمیه لثوره الإمام الحسین علیه السلام

۴۸

السید محمدعلی الحلو

الأصول التمهیدیه فی المعارف المهدویه

۴۹

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ۱۴۲۶ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتناب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:
طبع الكتب والملزمات والدوريات
إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب
إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية
إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية
افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com
إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...
الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها
تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms
إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس
إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين
إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛
١.JAVA
٢.ANDROID
٣.EPUB
٤.CHM
٥.PDF
٦.HTML
٧.CHM
٨.GHB
إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية
١.ANDROID
٢.IOS
٣.WINDOWS PHONE
٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مرکز القائمیة
للبحوث والدراسات الکمبیوتریة
اصفهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹